جامعة اليرموك
كلية الآداب
قسم اللّغة العربيّة، اللّغة والنحو

العلاقات التسلسليّة الأفقيّة في اللّغة العربيّة

دراسة دلاليّة في معجم العين

Syntagmatic Relations in Arabic

Semantical Study in AL-ayn Dictionary

رسالة تقدم بها

محمود مصطفى أحمد القويدر

إلى مجلس كليّة الآداب في جامعة اليرموك وهي جزء من متطلّبات
درجة الدكتوراه في فلسفة اللّغة العربيّة وآدابها (لغة ونحو)

بإشراف الأستاذ الدكتور

سلمان محمد القضاة

٢٢ رجب ١٤٢٧هـ - ١٦ آب ٢٠٠٦م

العلاقات التسلسلية الأفقية
في اللغة العربية

دراسة دلالية في معجم العين

Syntagmatic Relations in Arabic
Semantical Study in AL-ayn Dictionary

رسالة تقدم بها

محمود مصطفى أحمد القويدر

إلى مجلس كلية الآداب في جامعة اليرموك وهي جزء من متطلبات
درجة الدكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها (لغة ونحو)

وافق عليها:

١. الأستاذ الدكتور سلمان محمد القضاة .... مشرفا ورئيسا

٢. الأستاذ الدكتور سمير شريف استيتية .... عضوا

٣. الأستاذ الدكتور علي توفيق الحمد .... عضوا

٤. الأستاذ الدكتور فيصل إبراهيم صفا .... عضوا

٥. الأستاذ الدكتور يحيى عطية عبابنة .... عضوا

٢٢ رجب ١٤٢٧هـ - ١٦ آب ٢٠٠٦م

قال أبو عمرو بن العلاء :

" ما انتهى إليكم ممّا قالت العرب إلاّ

أقلّه، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم

وشعر كثير "

نزهة الألباء ١٧/ الأنباري

الإهداء

إلى من أكنّ لهما كلّ مشاعر الحب والتقدير

... والدي ووالدتي

إلى رفيقة دربي التي شحذت فيّ الهمّة وقوّت فيّ العزيمة على الاستمرار

... زوجي

إلى التي بدأت أولى خطواتها في حياتي

... بان

إلى الذي لم ير النور بعد ... جلال

ترنيمة حبٍّ ووفاءٍ ...

المحتوى

المقـدّمـة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّد الخلق الأمين، سيّدنا محمـد صـاحب السّراج المنير، وعلى آله الطيّبين الطاهرين، وصحبه الغرّ المجاهدين، ومن اتّبع هديه إلـى يـوم الدّين، وبعد:

فإنّ اللّغة في أيّ أمّة من الأمم تعدّ من أبرز الخصائص التي تتمتع بها تلك الأمّة، واللّغـة العربيّة من بين هذه اللّغات التي تعيش في قلوب النّاطقين بها، فهي ليست حروفاً وكلماتٍ منطوقـةً أو مكتوبةً حسب، دون أن يكون لها دورٌ آخر، بل إنّها من أهمّ عوامل وحدة الأمّة، لذلك فتأثيرهـا كبير في نفوس أبنائها؛ لأنّها لغة القرآن الكريم الذي أُنزل على نبيّنـا المـصطفى – صـلوات الله وسلامه عليه – الذي تفرّد بلغته العالية التي أعجزت كلّ البلغاء، وأعجبت كلّ العلماء.

وبقيت اللّغة العربيّة هذا الأمد الطويل، على الرّغم من أنّها امتزجت بأممٍ، وواجهت مدنيات، وتحديات حضاريّة، فلم يزدها ذلك إلا قداسةً وغنىً وجلالاً ونضارةً؛ لأنّها لغة القرآن الذي حفـظ أصولها وقواعدها، ولولاه لأصبحت في ذمة التاريخ، كما حدث لغيرها من لغات الأمم الأخرى.

ولذا جنّد الكثير من علماء العربيّة أنفسهم للحفاظ على هذه اللّغة فكتبوا في كلّ العلوم اللّغويّة وأبدعوا فيها، تلك الكتب التي تعدّ نقطة انطلاق نحو دراسة اللّغة وتطويرها وحمايتها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

أمّا موضوع البحث فهو من الموضوعات الجديدة التي طرقت باباً لم أسبق إليه في حـدود علمي، وهو البحث في العلاقات اللّغويّة في اللّغة العربيّة، وقد بان لي ذلك ممّا تقصيته من كتـب ورسائل وبحوث، فلم أجد من أفرد له عنواناً خاصاً به، وإن وجدت حديثاً عن تلك العلاقات اللّغويّة في مجلة جامعة البعث في جامعة البعث في حمص بسوريّة، حيث نشرت مقالة قصيرة عن انزياح المصاحبات المعجميّة في ديوان أمل دنقل / للدكتور يحيى القاسم(عبابنة) عام ١٩٩٩م، وهو دراسة

قصيرة أفدت منها في هذا البحث. وبعد أن قطعت شوطاً كبيراً في كتابة هذا البحث، ظهر كتاب بعنوان: علم اللّغة المعاصر – مقدمات وتطبيقات / للدكتور يحيى عبابنة والدكتورة آمنة الزعبي، حيث تناول المؤلّفان الحديث عن العلاقات اللّغويّة باختصار، ذلك من خلال المصاحبات المعجميّة للحديث عن العلاقات الأفقيّة، والحقل المعنوي للحديث عن العلاقات الرأسيّة.

وقد ارتأيت في هذا البحث الخوض في جانب مهمّ من جوانب العلاقات اللّغويّة في العربيّة، وهو العلاقات التسلسليّة الأفقيّة التي تبحث في ما اصطلح عليه بالمصاحبات المعجميّة Collocations.

وأشير إلى أنّ جانباً مهمّاً من جوانب أهميّة البحث يتأتى – أيضاً – من مصدر الدراسة، وهو معجم العين / للخليل بن أحمد الفراهيدي الذي يعدّ أوّل معجم لغوي شامل وصل إلينا، يحتوي على عدد كبير من الأنماط المرويّة رواية حيّة عن الأعراب الذين وردت أسماؤهم في مادة الكتاب.

وكانت طبيعة الموضوع تقضي بأن أجعل البحث في أربعة فصول يتقدمها تمهيد، وتقفوها خلاصة. كما تطلب الأمر أن تطغى نمطيّة المنهج عندي، ذلك بحكم فصول البحث وطبيعتها التي لا تقبل التجزئة.

ففي التمهيد عرضت للعلاقات اللّغويّة من منظور الدرس اللّغوي الحديث، فتحدثنا عن قسميها:ـ

- العلاقات التسلسليّة الأفقيّة: Syntagmatic Relations
- العلاقات التقابليّة العموديّة: Paradigmatic Relations

فقد وضّحت ما يدور حول هاتين العلاقتين من ناحية تعريفهما، والتسميات التي أطلقت عليهما، والنظريات التي انتهت إليهما، كنظريّة السياق، ونظريّة الحقول الدلاليّة. وبيّنت أنّ عناصر اللّغة ترتبط وتتآلف ضمن هذين النوعين من العلاقات، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فقد عرضت

للتصاحب الدّلالي بين الألفاظ في التراكيب اللّغويّة التي تحكمها قوانين لغويّة تضبطها في هذا التجمع، فالألفاظ لا تنتظم عشوائيّاً في التراكيب، بل تربطها علاقات تقوم على أساس العرف اللّغوي. ولكن قد يخرق أبناء اللّغة تلك القوانين، عندها تحدث فجوة أو لاتجانس، قد تصل إلى حدّ عدم القبول والفهم، وهذا ما يعرف بالانزياح، ومن ناحية ثالثة، فقد عرضت لمجال انتقال الدلالة في العلاقات التسلسليّة الأفقيّة، الذي تمثّل بعلاقات التّشابه.

واقتضت الضرورة تقسيم علاقات التّشابه ثلاثة أقسام:ـ

الأولى: علاقة التّشبيه البليغ.

الثّانية: علاقة الاستعارة (المكنيّة والتصريحيّة).

الثّالثة: علاقة الكناية عن صفة.

أمّا الفصل الأوّل فقد تناولت فيه: العلاقات الإسناديّة الأفقيّة، وأشرت من خلاله إشارات موجزة إلى المسند و المسند إليه؛ لأنّهما ركنان أساسيان للجملة في العربيّة. ومن ثمّ قمت برصد مجموعة من التراكيب الإسناديّة من معجم العين، ضمن المنهج الوصفي التفسيري، فدرستها وحلّلتها في إطار ما يعرف بالانزياح، ضمن علاقات التّشابه التي تمّ عن طريقها انتقال دلالات الألفاظ.

واقتضت الضرورة تقسيم تلك التراكيب قسمين:

الأوّل: وقع تحت عنوان العلاقة الأفقيّة الإسناديّة الاسميّة.

والآخر: وقع تحت عنوان العلاقة الأفقيّة الإسناديّة الفعليّة.

وتناولت في الفصل الثاني: علاقات الفضلات الأفقيّة. حيث عرضت إلى بعض أقسام الفضلات، ووضّحت أهميّتها في دلالة التراكيب التي لا تركّز على الإسناد. ثمّ قمت برصد مجموعة من التراكيب اللّغويّة التي تضمّ بين دفّتيها بعض أقسام الفضلات في معجم العين للدراسة والتحليل في إطار ما يعرف بالانزياح، ضمن علاقات التّشابه التي تمّ عن طريقها انتقال دلالات الألفاظ.

وقد وجدت المفعول به والوصف هما المسيطران على أصناف الفضلات الأخرى، فكانا كثيري التردد والدوران في تلك المجموعات اللّغويّة، أمّا باقي الفضلات فلم أقف لها إلاّ على أمثلة نادرة، لا تستحق الدراسة.

واقتضت الضرورة تقسيم علاقات الفضلات قسمين:

الأوّل: وقع تحت عنوان العلاقة الأفقيّة المفعوليّة.

والآخر: وقع تحت عنوان العلاقة الأفقيّة الوصفيّة.

وتناولت في الفصل الثالث: علاقة الإضافة الأفقيّة، مهّدت له بتوطئة، عرّفت فيها مفهوم الإضافة، ووضحت فيها العلاقة القويّة التي تربط المتضايفين بعضهما ببعض، وذلك من خلال علاقة التصاحب التي يتمتعان بها، أمّا إذا لم يكونا متصاحبين – هذا على مستوى اللّغة الفنيّة – فإنّ الإضافة تنعت بصفة الإضافة الكاذبة، أو غير المعقولة. وقد مثّل هذا الصنف من التصاحب جملة من التراكيب اللّغويّة في معجم العين.

وفي الختام لابدّ من أن أتقدم بجزيل الشكر إلى أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور سلمان القضاة الذي كان عوناً لي على إنجاز بحثي وتوجيهه الوجهة القويمة، فجزاه الله خير الجزاء.

ومن الوفاء – أيضاً – أن أخص بالشكر والثّناء، وفائق التقدير الأستاذ الدكتور يحيى عبابنة الذي أشرف على بدايات هذا البحث، واستمر في ذلك إلى أن استوى هذا البحث على سوقه، فقدّم لي العون والتوجيه، وفتح لي قلبه، وعقله، فكان مثال الأستاذ العالم والمرشد الموجه، فجزاه الله عني جزاء الصابرين.

كما أسجّل شكري وثنائي الأتمين والأكملين لأستاذيّ الأستاذ الدكتور سمير ستيتية، والدكتور عبد الحميد الأقطش، لما بذلاه معي من صبر وجهد في قراءة بعض فصول هذا البحث وإغنائه بملاحظاتهما السديدة وتوجيهاتهما المفيدة، فجزاهما الله عني خير الجزاء.

ولا بدّ من تقديم الشكر والامتنان لكلّ من قدّم لي يد العون والمساعدة، من أهل، وأصدقاء، وزملاء دراسة.

وتجدر الإشارة إلى:

١. استخدام المنهج الوصفي التفسيري الذي رصد الظواهر التي تهمّ موضوع البحث، وقدّم تفسيراً لها.

٢. استخدام رسم المصحف الكريم في كتابة الآيات القرآنية.

٣. ذكر سنة وفاة الأعلام القدماء عند ورود اسم العلم لأوّل مرّة.

٤. ذكر اسم الكتاب كاملاً عند وروده لأوّل مرّة.

وآخر دعواي أنِ الحمدُ لله ربّ العالمين...

محمود مصطفى القويدر

التمهيد

العلاقات اللّغويّة

أوّلاً: أقسام العلاقات اللّغويّة:

• قبل مجيء(دي سوسير)، وقبل ظهور المنهج البنيوي كان ينظر إلى الجملة على أنّها تراكم لوحدات مستقلّة هي الكلمات، ولم ينظر إليها نظرة تراكميّة – هذا ما يوصف بالمذهب الـذرّي أو التقليدي أو الأرسطي – واستمر هذا الأمر إلى أن جاء (دي سوسير) الذي قال: بأنّ اللّغة تتميز من الكلام، لكونها نظاماً من العلاقات التي تعبر عن أفكار، وبهذا تصبح عناصر اللّغة كتلة واحدة يعتمد كلّ عنصر فيها على الآخر[1]، والذي يمنح الكلمات دلالتها هو وجودها في بنية لغويّة، أمّا خـارج نظام اللّغة فلا قيمة لها، وبهذا فإنّ العلاقات التي تربط الكلمة بغيرها، هي أساس دلالة الكلمـة[2]. وعليه فإنّ الكلمة كالحجر، لا قيمة له خارج البناء، أمّا إذا وضع في البناء فيصبح له قيمة، وهـذا هو الأساس الذي قامت عليه النظريّة البنيويّة.

ويتساءل (دي سوسير) عن عمل العلاقات القائمة بين عناصر اللّغة بقوله: كيف تعمل هـذه العلاقات؟ فيجيب عن هذا السؤال بشكل منهجي، إذ يلاحظ أنّ العلاقة اللّغويّة تنطلق من مـستويين مختلفين، وأنّ كلّ مستوى منهما يولّد نظاماً معيناً من القيم، والتقابل بينهما هو ما يجعلنا نفهم طبيعة كلّ منهما. فهناك في القول علاقات تقوم بين الكلمات في تسلسلها، تعتمد على خاصيّة اللّغة الزمنيّة كخط مستقيم، يستبعد فيه إمكانيّة النطق بعنصرين في وقت واحد، بل تتابع العناصر بعضها إثـر الآخر، وتتآلف في سلسلة الكلام. هذا التآلف الذي يعتمد على الامتـداد يطلـق عليـه" العلاقـات السياقيّة"[3]. ويلاحظ أنّ التركيب بهذا الاعتبار يتآلف دائماً من عنصرين أو أكثر، مثل: الله أكبـر، الحياة الإنسانيّة، الطقس جميل. وعندما تدخل الكلمة في تركيب ما، فإنّها تكتسب قيمتها من مقابلتها لما يسبقها أو يلحقها من كلمات أخرى بالتداعي والإيحاء خارجة عن القول، ولكنّها تشترك معها في

---

(١) ينظر: علم اللّغة العام ٣٧–٣٨.

(٢) ينظر: دروس في الألسنيّة العامّة ١٧٥–١٧٩.

(٣) ينظر: نظريّة البنائيّة في النقد الأدبي ٣٥–٣٧.

علاقة ما بالذاكرة، ومن هنا تتكوّن مجموعة من الكلمات تقوم بينها علاقات متعدّدة، فكلمة تعليم مثلاً تتوارد معها على الذهن كلمات أخرى مثل: تربية ومعلم وعِلْم ومدرسة وطالب... الخ، ويلاحظ أنّ هذه التوافقات تختلف تماماً عن علاقات النوع الأوّل، فهي لا تعتمد على الامتداد الخطي، وإنّما نجد أنّ مقرّها هو الذهن، حيث تمثّل جزءاً من الكنز الداخلي الذي تتكون من لغة أيّ فرد، ويطلق (دي سوسير) على هذه العلاقات اسم (العلاقات الإيحائيّة) في حين يسمّيها علماء اللّغة المحدثون (العلاقات الاستبداليّة).

إذن أحدث (دي سوسير) نوعين متميّزين من العلاقات لكلّ حالة من حالات اللّغة:

١ـ العلاقات التسلسليّة الأفقيّة: Syntagmatic Relations.

٢ـ العلاقات التقابليّة العموديّة: paradigmatic Relations.

العلاقات التسلسليّة الأفقيّة: **Syntagmatic Relations**

يُطْلق على العلاقات التسلسليّة الأفقيّة عدّة أسماء، منها: (السينتاجماتيكيّة، السياقيّة، الخطيّــة، الطوليّة، التركيبيّة، المجاورة)، وهي علاقات تقوم على عنصرين فأكثر، كلّها موجودة في الوقــت نفسه ضمن سلسلة من العناصر المتعاقبة، تنتظمها علاقات مرتبطة بمساحات زمنيّة متنوعة يطلق عليها التراكيب أو السياقات[1]. فالسياق إذن يتكوّن دائماً من وحدتين متعاقبتين فأكثر، مثل: (جلسنا، رغم أنفه، الـــ ـــ رجل، الصّيام جنّة، عبدالله، إنْ تقرأ تنجح...الخ). واللّفظة لا قيمة لهـــا إلاّ مـــن خلال العلاقات القائمة بينها وبين الألفاظ المجاورة لها في السياق، على اعتبار أنّ "البنية المعجميّة للّغة ــ بنية مفرداتها ــ شبكة واسعة معقّدة من علاقات المعنى، أي: أنّها تشبه نـــسيج العنكبـــوت الواسع المتعدّد الأبعاد، يمثّل كلّ خيط فيه إحدى هذه العلاقات ، وتمثّل كلّ عقدة فيه وحدة معجميّة مختلفة"[2].

ومفهوم السياق لا ينطبق على الألفاظ فرادى فحسب، وإنّمـــا علـــى مجموعـــات الألفـــاظ والوحدات المركّبة مهما بلغت من الطول والتنوع (كالألفاظ المركّبة، والمشتقات، وأجزاء الجمـــل، والجمل الكاملة)[3].

لقد أدرك اللغويون قديماً وحديثاً أهميّة السياق، فهذا عبد القاهر الجرجـــاني (ت٤٧١هـــــ) يحدثنا عن النَّظْم والسياق وأثرهما في تحديد قيمة اللّفظة ودلالتها، فيقول: "إنّ الألفاظ المفردة التـــي هي أوضاع اللّغة لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها، ولكن لأن يضمّ بعضها إلى بعض فيعـــرف فيما بينها فوائد، وهذا علم شريف، وأصل عظيم"[4]. واللّفظة عنده لا تعتبر فـــصيحة إلا باعتبـــار

---

(١) ينظر: في الفكر اللّغوي ٦٣.

(٢) اللّغة والمعنى والسياق ٨٣.

(٣) ينظر: دروس في الألسنيّة العامّة ١٨٧-١٨٨.

(٤) دلائل الإعجاز ٤١٥.

"مكانها من النَّظْم، وحسن ملاءمة معناها لمعاني جاراتها، وفضل مؤانستها لأخواتها"[١]. وأنّ الذي يعيّن قيمة اللّفظة في كلّ الحالات – كما يقول (فندريس): "إنّما هو السياق، إذ إنّ الكلمة توجد في كلّ مرّة تستعمل فيها في جوّ يحدّد معناها تحديداً مؤقّتاً، والسياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة، بالرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدلّ عليها. والسياق – أيضاً – هو الذي يخلّص الكلمة من الدّلالات الماضية التي تدعها الذاكرة تتراكم عليها، وهو الذي يخلق لها قيمة حضوريّة"[٢]. وهذا يقودنا إلى القول بأنّ العلاقات الأفقيّة علاقات حضوريّة موجودة في السياق.

وقد أعاد العالم الإنجليزي (فيرث Firth) الحياة إلى نظريّة السياق، إذ صاغ من فكرة السياق نظريّة علميّة اتفقت في بعض جوانبها مع ما جاء به القدماء، واختلفت من حيث المنهج وطريقة التطبيق، فأصبحت نظريّة كاملة في دراسة المعنى[٣]. حيث عالج موضوع العلاقة البنيويّة السياقيّة بين المفردات المعجميّة من خلال "الاقتران اللّفظي" أو التصاحب اللّفظي Collocation[٤]، إذ وجد أنّ الألفاظ تتجه إلى الاقتران مع مفردات معيّنة في التراكيب اللّغويّة أكثر من غيرها. وأنّ المعنى لا ينكشف إلاّ من خلال تسييق الوحدة اللّغويّة، أي وضعها في سياقات مختلفة، إذ إنّ معظم الوحدات الدّلاليّة تقع في مجاورة وحدات أخرى، ومعاني هذه الوحدات لا يمكن وضعها أو تحديدها إلاّ بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها[٥].

---

(١) دلائل الإعجاز ٣٦.

(٢) اللّغة ٢٣١.

(٣) ينظر: علم اللّسانيات الحديثة ٥٣١-٥٣٢.

(٤) في موضوع التصاحب اللّفظي ينظر: علم الدلالة "بالمر" ٨٧-٩١.

(٥) ينظر: علم الدلالة، عمر ٦٨-٦٩.

أمّا المدرسة التحويليّة "Transformational Grammar" فقد عالجت قـضية العلاقـات الأفقية من خلال القواعد الانتقائية "Selectional Rules"[1]؛ أي القواعد التي تحكم انتقاء الألفاظ في موقع ما من السياق اللّغوي على أساس الخواص الدّلاليّة لما يرد قبلها وما بعدها من المفردات، وهي لا تختلف في مضمونها عن "التصاحب اللّفظي" عند (فيرث)، وإن كان هدفها ضبط الموضوع في أطر شكليّة أكثر صرامة وتحديداً وضمن سلسلة من القوانين الدقيقة[2].

والناظر إلى الألفاظ في المعجمات العربيّة يجدها ذات أبعاد دلاليّة مختلفة تجعلها صـالحة لسياقات متعدّدة. فمثلاً لفظة (صاحب) استعملت استعمالات متعدّدة في السياقات الآتية:

١ــ صاحب البيت	بمعنى	مالكه
٢ــ صاحبي	بمعنى	صديقي
٣ــ صاحب رسول الله	بمعنى	رفيق
٤ــ صاحب المصلحة	بمعنى	منتفع
٥ــ صاحب الحق	بمعنى	مستحق
٦ــ صاحب نصيب الأسد	بمعنى	مستقسم[3]

وهذا يعني أنّ اللّفظة المعزولة عن السياق لا تدلّ إلاّ على دلالات عامّة.

وعند تطبيقنا ما سبق على اللّغة العربيّة نجد أنّها تمتلك التنوعات التركيبيّة التاليّة[4]:

١ــ الكلمات؛ نحو: (لا، رقَمٌ، سَقَمٌ)، تربطها جملة من العلاقات الأفقيّة الواقعة ضمن دائرة

---

(١) في موضوع القواعد الانتقائية، ينظر: علم الدلالة، "بالمر" ٩١-٩٥.

(٢) ينظر: التطوّر الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن الكريم – دراسة دلاليّة مقارنة ٧٨.

(٣) اللّغة العربيّة، معناها ومبناها ٣٣٤.

(٤) ينظر: في الفكر اللّغوي ٦٣- ٦٥.

الدرس الفونولوجي لأصوات العربيّة الفصيحة، وهي روابط موجودة بين صوت(اللام) والفتحة الطويلة التالية له (الألف)، وبين المقطع(رَ) وبقيّة الكلمة (قَمْ)، وبين التتابع الصوتي (سَـقَ) وصوت (الميم)، كما تؤكّد ذلك على التوالي العلاقات (الروابط) العموديّة بين (لام) لا، و(ميم) ما. وبين صوت (الراء) في رَقَم و(السين) في سَقَمْ، وبين (ميم) سَقَم و(راء) سَقَرْ.

٢ـ الصورة التصريفيّة؛ نحو: (يجلسان، يجلسون)، تربطها مجموعة من العلاقات الأفقيّة تتعلّق بإمكانات التجزيء التصريفي للأشكال التصريفيّة للفعل في العربيّة. وهذه العلاقات هي روابط كائنة بين "يـ" و "جلسان"، وبين "يجلس" و "ان"، وبين "يـ" و "جلسون". وكذلك الروابط العموديّة، فإنّها تظهر بين "يـ" و "تـ" في "يجلسان وتجلسان"، و "ان" و "ون" في "يجلسان ويجلسون"، و "يـ" و "تـ" في "يجلسون وتجلسون"، و "انْ" و "ينْ" في "تقومان وتقومين" على التوالي.

٣ـ التراكيب التي تشير إلى مسمّى واحد، ومنها التراكيب الإضافيّة التالية: "لُعاب الطفل"، و"عبدالله" فكلّ منهما تركيب يتكون من وحدتين تربطهما علاقة أفقيّة، وتؤكدهما العلاقة العموديّة الواقعة بين "الطفل"، و "الصبي" في قولنا: (لُعاب الصبي) من جهة، وبين "الله"، و "الرحمن" في قولنا: (عبد الرحمن) من جهة أخرى.

٤ـ التراكيب الاسميّة الوصفيّة والتراكيب الفعليّة، وغيرهما من التراكيب النحويّة، التي لا تشير إلى مسمّى واحد. ويقصد بالتراكيب الأولى تلك التراكيب المكوّنة من الصفة والموصوف نحو:

ـ الرجل الشديد

ـ الرجل الأنيق الصديق.

فكلّ واحد منهما تركيب: يتكوّن التركيب الأوّل من وحدتين تربطهما علاقة أفقيّة، تؤكدها العلاقة العموديّة بين "الشديد" و "القويّ" في قولنا: (الرجل القويّ). كما يتكوّن التركيب الثّاني

من وحدتين تضمّ الثّانية وحدتين صغيرتين. ويؤكّد ذلك العلاقتان العموديّتان التاليتان: العلاقة العموديّة بين "الأنيق ا لصديق" ـ وهي وحدة من وحدات التركيب الأكبر: "الرجل الأنيق الصديق" ـ و"النشيط"، وهي العلاقة التي تنتج "الرجل النشيط"، والعلاقة بين "الأنيق" ـ وحدة التركيب: "الأنيق الصديق" ـ و"النشيط"، وهي التي تنتج التركيب: "الرجل النشيط الصديق".

أمّا التراكيب الفعليّة فيقصد بها التراكيب المكوّنة من الفعل وما يتطلبه من مفعول به، نحو:

ـ يشعل أنوار المدينة المتوهّجة/ في: "يشعل المهندس أنوار المدينة المتوهّجة".

إذ يتكوّن التركيب في هذا التعبير من وحدتين تمثل الثّانية "أنوار المدينة المتوهجة" تركيباً، يتكون بدوره من وحدتين تعتبر الأولى: "أنوار المدينة" تركيباً ثالثاً. وبناء على ما سبقت الإشارة إليه من تحليل تركيبي، يمكن معرفة وحدات هذه التراكيب وتأكيد العلاقة الكائنة بينها.

٥ـ النوع الخامس من أنواع التراكيب في العربيّة: الجملة التي ترتكز إلى ركنين رئيسين هما: المسند والمسند إليه، وهما أساس بناء الكلم فيها. وكما هو معروف فإنّ هناك نوعين من الجمل في العربيّة، هما:

أ ـ الجملة الاسميّة، نحو: "الرجل العاقل حكيم في بيته".

فالجملة الاسميّة السابقة عبارة عن تركيب يتكون من وحدتين تربطهما علاقة أفقيّة، تؤكدها العلاقة العموديّة بين "الرجل العاقل" وهي وحدة من وحدات التركيب الأكبر: "الرجل العاقل حكيم في بيته"، و"الحليم" وهي العلاقة التي تنتج "الرجل الحليم"، والعلاقة بين "العاقل" وحدة التركيب: "العاقل الحكيم" و"الحليم" وهي التي تنتج التركيب "الرجل الحليم حكيم"، إلى غير ذلك من التحليلات التركيبيّة المتعدّدة.

ب ـ الجملة الفعليّة، نحو: "يقرأ العالم المبدع المعلومات التي تفرضها عليه متطلبات عصره".

فهي تركيب يتكون من وحدتين:

ـ العالم المبدع.

ـ يقرأ المعلومات التي تفرضها عليه متطلبات عصره.

فكلتا هاتين الوحدتين تركيب مستقلّ، وأنّ الوحدة الثّانية يمكن أن تحلل تركيبيّاً تحليلا أبعد من ذلك، فهي تتكون من عنصرين يضمّ ثانيهما – يقرأ المعلومات التي تفرضها عليه متطلبات عصره – تركيبين آخرين، وهكذا.

والذي يهمّنا من هذه الأنواع التركيبيّة النوع الثّالث والرّابع والخّامس، وهي مدار حديثنا في بحثنا هذا.

العلاقات التقابليّة العموديّة: Paradigmatic Relations

يوجد مصطلحات وأوصاف كثيرة تطلق على هذا النوع من العلاقات، منهـا:(العموديّـة، النظاميّة الترابطيّة، الجدوليّة، التشابهيّة)، وهي علاقات غير موجودة في السياق، تربط بين عدد من العناصر ضمن سلسلة وهميّة تعين الذاكرة وتساعدها(١)، ويقوم هذا الترابط بين تلك العناصر على أساس من الدلالة (روابط دلاليّة)، أو الشكل (روابط لفظيّة)، أو كليهما(٢). فمثال الأول الترابط بين الكلمات التالية: دراسة، استيعاب، تثقيف، توعية، تعليم، تدريس... الخ، ومثال الثاني الترابط بين: دارس، لاعب، كاتب، مهندس، مدرّس، مستفتح... الخ، فهي اسم فاعل ودلالة صيغتها واحدة تـدلّ على من فعل الحدث. وأمّا الأخير فمثاله الترابط بين الكلمات التالية: مدروس، مسروق ، منظور ، مدسوس ، ملعوب، محمول... الخ، فهي ذات صيغة واحدة ودلالة ثابتة، أي أنّها جاءت على وزن مفعول. وتدلّ على من وقع عليه الفعل.

ويفهم ممّا سبقت الإشارة إليه من حديث عن مجموعات الألفاظ أنّ تلك الألفاظ قد انتظمت في مجالات أو حقول دلاليّة، قامت عليها نظريّة الحقول الدلاليّة، "وهي نظريّة تتصل في كثير من جوانبها بفكرة العلاقات الدلاليّة، ذلك لأنّ علم اللّغة المعاصر بناءً على هاتين النظـريتين زعـزع الفكرة التي كانت سائدة من قبل، والتي كانت تنظر إلى الكلمات على أنّها وحدات دلاليّة ومعجميّة مستقلّة ومتناثرة لا صلة بينها"(٣).

فالمفردة طبقاً لهذه النظريّة لا تتحدّد قيمتها الدلاليّة في نفسها وإنّما يتـأتى معناهـا مـن وظيفتها التركيبيّة، في إطار الجملة، ومن خلال علاقتها بالمفردات الأخرى في التركيـب ضـمن المصاحبات اللّفظيّة. أضف إلى ذلك أنّ جزءًا من معنى المفردة وطريقة استخدامها يعتمـد علـى

---

(١) ينظر: دروس في الألسنيّة العامّة ١٨٧.

(٢) ينظر: في الفكر اللّغوي ٦٦.

(٣) الكلمة ١٤٣.

مجموعة المفردات التي ترتبط جميعها بحقل معيّن، وهو حقل معنويّ ترتبط به مجموعة معيّنة من المفردات، كحقل الألوان، أو الأمراض، أو حقل الصيغة الصرفيّة (فُعال)، أو حقل الصفات... الخ، وهذه الحقول الدلاليّة ليست واحدة في اللّغات البشريّة، بل تختلف بين أمّة وأخرى، نتيجة تنوع البيئات والاهتمامات وأنماط التفكير، وهذا لا يمنع وجود حقول مشتركة بين الأمم، فالأمّة التي تقطن الصحراء تزخر حقولها المعنويّة بألفاظ الصحراء وموجوداتها التي لا نجدها عند أمّة جبليّة أو بحريّة أو سهليّة، أو غوريّة[1].

وتشبه نظريّة الحقول الدلاليّة شبكة (الانترنت) من خلال شبكتها الواسعة من التفرعات، وهي تقدّم خدماتها لكلّ المشتركين، قادتها إلى وضع معاجم الحقول الدلاليّة، كمعجم روجر الإنجليزي، الذي رتّبه حسب المعاني، وهو أحد طرائق السيمانتيك الوصفي الإنتاجيّة[2]. وقد سُجّل مجال السَّبْق للغويين العرب على المعجميين الغربيين في هذا المجال، فعلى سبيل المثال لا الحصر، تلك الرسائل التي ضمّت الألفاظ المتّصلة بمجال واحد، كرسائل الأصمعي (ت٢١٧هـ) في النبات، والشّجر، والخيل، والإبل، وخلق الإنسان، لا بل قام بعض أصحاب المعاجم العربيّة القديمة بترتيبها حسب موضوعات معيّنة، أو بمعنى آخر، ضمن حقول دلاليّة معيّنة، كأبي عبيد القاسم بن سلاّم (ت٢٢٤هـ) في "الغريب المصنف"، وابن سيده (ت٤٥٨هـ) في مخصّصه، وغيرهما.

وقد طبّق علماء اللّغة المعاصرون هذه النظريّة على مجموعات محدّدة من الألفاظ ذات حقل دلالي محدود كألفاظ القرابة، ومجموعة ألوان الطيف. وقد بدأوا دراساتهم بالتعرّف إلى العلاقة الدلاليّة بين كلمتين أو أكثر من خلال منهج التحليل الدلالي الذي يتبع عادة في مثل هذا اللّون من

---

(١) ينظر: علم اللّغة المعاصر – مقدّمات وتطبيقات ٩١-٩٢.

(٢) علم اللّسانيّات الحديثة ٥٥٩.

الدراسة. وتبيّن لهم أنّ هناك ارتباطاً وثيقاً بين نظريّة العلاقات الدلاليّة (المشترك اللّفظي، الترادف، التضاد) ونظريّة الحقول الدلاليّة التي حلّت مشكلة الترادف حلاً علميّاً. أضف إلى ذلك أنّ الدراسات المعجميّة والدلاليّة للألفاظ قد استفادت بشكل كبير من التحليل الذي قدّمته تلك النظريّة، وذلك في التعرّف على الدلالة الدقيقة للّفظة. كما أنّ المقارنة بين مجموعة من الألفاظ ذات حقل دلالي واحد وأخرى ذات حقل دلالي يتصل بالمجموعة الأولى، يسهم بشكل كبير بإدراك طبيعة العلاقات الدلاليّة بين الألفاظ. لذلك لابدّ للمعجمي من اقتناص الفرصة للاستفادة والالتفات إلى مثل هذه الحقول الدلاليّة باعتبارها ثمرة من ثمرات الدراسة الدلاليّة التي يستفيد منها في عمل معجمه[1].

وأخيراً فإنّ لهذه النظريّة "رؤية جديدة لمعالجة حدود المفردات اللّغويّة على مستوى البناء الدلالي، لكنّها تبقى في الآخر رؤية لسانيّة – معجميّة يشوبها بعض القصور للتداخل بين مكوّنات الحقل الدلالي الواحد"[2].

(١) ينظر: الكلمة ١٤٥-١٥٤.

(٢) علم اللّسانيات الحديثة ٥٥٩.

ثانياً: التصاحب الدّلالي والانزياح عن الاستعمال المباشر:

تأتي بعض الألفاظ اللّغويّة مصاحبة لألفاظ أخرى، ومقترنة بها في أكثر التراكيب اللّغويّة، إذ إنّ بعض الألفاظ يستدعي ذِكْرَ ألفاظ أخرى تناظرها وتقابلها في بعض الأحيان، وقد تكون العلاقة بين اللّفظتين علاقة اشتراك أو علاقة تضاد. فالعِلْم يتصف بأوصاف النور والإباء والحريّة، والاستبداد يقترن بأوصاف الظلم والتعسّف والجهالة، والجود يقترن بأوصاف البذل والعطاء، والعدل يضاده الظلم، والشجاعة نقيضها الجبن، واليُسر يقابله العُسْر، والحسنة يناقضها السيئة، إلى غير ذلك من الألفاظ المتلازمة أو المتعارضة.

وقد لاحظنا نوعين من أنواع التصاحب الدّلالي لألفاظ اللّغة من خلال البحث والدراسة:ـــ

الأول: التصاحب الدّلالي المنفصل؛ وهو التصاحب الذي يكون فيه حرف (الواو) فاصلاً بين اللّفظتين المتصاحبتين، كما في قوله تعالى: ﴿ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴾ [الفرقان:٤]، إذ فصل حرف العطف (الواو) بين لفظتي: (ظلماً، زوراً) المتصاحبتين، وعن طريق هذا التصاحب فسّر مجاهد (ت١٠٤هـ) لفظة (الظلم) بمعنى (الكذب) (١). ومعنى الظلم في أصل الوضع اللّغويّ: "وَضْعُ الشّيء في غير مَوْضِعه تَعَدّياً"(٢). وكما يبدو لنا أنّه وَجَّهَ لفظة (الظلم) إلى معنى الكذب بسبب اقترانها بلفظة (الزور) التي تعني أيضاً: "الكذب؛ لأنّه مائل عن طريقة الحق"(٣). فكلتا اللّفظتين تدلان على الميل والانحراف عن الحق. قال الراغب (ت٤٢٥هـ): "وقيل للكذب زور لكونه مائلاً عن جهته"(٤).

(١) ينظر: تفسير مجاهد ٤٤٧؛ جامع البيان في تفسير القرآن ١٣٧/١٨.
(٢) مقاييس اللّغة ٤٦٨/٣.
(٣) المصدر نفسه ٣٦/٣.
(٤) المفردات ٣٨٧.

ومن الأمثلة على هذا النوع من التصاحب قوله تعالى: ﴿ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰ ﴾ [النجم:٣٤]. فحرف (الواو) فصل بين تركيبين متصاحبين: (أعطى قليلاً)، (أكدى). وقد فُسِّر الفعل (أكدى) بالانقطاع. قال ابن عباس (ت٦٨هـ): أَعْطَى قَلِيْلاً ثمّ انْقَطَع. وقال مجاهد: انْقَطَع فلا يُعْطِي شيئاً، ألم تَرَ إلى البِئْرِ يُقَالُ لها أَكْدَتْ [1]. وقال أبو عبيدة (ت٢١٠هـ): "إنّ معنى (أكدى) قَطَع، وهو مأخوذ من كُدْيَة البِئْر: وهو أن يحفر حتى يَيْأس من الماءِ فيقول: بَلَغْنَا كُدْيَتَها"[2]. وجاء في لسان العرب أنّ الفعل (أكدى) يَدُلُّ على البُخْل وعلى العَطَاء القَلِيل[3]. لكن الفعل (أكدى) في هذا التأويل وُجِّه إلى معنى قَطْع العَطَاء بشكل تام، بسبب مصاحبته تعبير: (أعطى قليلاً)، إذ إنّ العطاء الكثير قد يقابله تقليل العطاء، ولكن إذا كان ذلك العطاء قليلاً في الأصل فإنّ أسوأ الحالات هي قطعه كليّاً.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ الفعل (أكدى) منقول من مجال استعماله إلى مجال آخر، حيث شُبّه به الإنسان الذي يعطي القليل ثمّ يقطع ذلك القليل. أو الإنسان الذي يؤمن على وَجَل ثمّ يرجع عن إيمانه ذاك، وقد جاء في العديد من الروايات أنّ المعنيّ بهذه الآية هو الوليد بن المغيرة[4].

ومن الألفاظ التي حملت هذا النوع من التصاحب:

- (شواظ، نحاس) في قوله تعالى: ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴾[الرحمن:٣٥].

- (شمس، زمهرير) في قوله تعالى: ﴿ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴾[الإنسان:١٣].

---

(١) جامع البيان في تفسير القرآن ٨٢/٢٧.

(٢) مجاز القرآن ٢٣٨/٢.

(٣) لسان العرب ٢١٦/١٥.

(٤) ينظر: تفسير مجاهد ٦٣١؛ صفوة التفاسير ٢٧٨/٣.

- (ألواح، دسر) في قوله تعالى:﴿ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴾ [القمر:١٣].

- (الصلاة، الزكاة) في قوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [البقرة:٤٣].

- (الحسنة، السيئة) في قوله تعالى: ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ [النساء:٧٩].

- (خير، شرّ) في قوله تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة:٧،٨].

والآخر: التصاحب الدّلالي المتّصل؛ وهو التصاحب الذي تكون فيه اللّفظتان في التركيب نفسه، دون أن تفصلهما (الواو)، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾[الشرح:٦]، وفي قوله تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ [الهمزة:١] ، وفي قوله تعالى: ﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴾ [الفيل:٣]. فكلّ لفظتين من الألفاظ : (عسر ــ يسر؛ همزة ــ لُمزة؛ طير ــ أبابيل) متصاحبتان على التوالي. "فالكلمات في التركيب تكتسب قيمتها من مقابلتها لما يسبقها أو يلحقها من كلمات " [(١)]، أو ما يسمى بالمصاحبات اللّغويّة.

والذي نعنيه بالمصاحبات اللّغويّة "العلاقات العرفيّة الاعتياديّة القائمة في لغة ما بين مفردة معنيّة ومفردات أخرى في التركيب، كما نعني بالمفردة هنا المفردة العينيّة المعجميّة، وليس الأصناف النحويّة العامّة "[(٢)].

---

(١) البلاغة والأسلوبيّة ٢٣٠.

(٢) علم اللّغة المعاصر ــ مقدّمات وتطبيقات ٨٩.

وقد بات واضحاً للعيان أنّ الألفاظ العينيّة المعجميّة، لا تتتابع في التراكيب اللّغويّة بشكل عشوائي بل تقوم بينها (علاقات وشائجيّة) ــ إن جاز لنا التعبير ــ يمكن توقعها مسبقاً على أساس العرف اللّغويّ، ولو حاول كلّ منّا الوقوف في جملة معيّنة عند لفظة معيّنة قبل أن يكتمل الخطاب اللّغويّ، ثمّ حاول تكملتها، فإنّه لن يختار إلا ألفاظاً تأتي في العادة بعد اللّفظة التي انتهينا إليها؛ لأنّ اللّفظة في أيّ نقطة من نقاط التعبير، تفرض قيوداً على الألفاظ التي تليها، على الرغم من كثرة الاحتمالات الجائزة في هذا المجال بسبب الطاقات الواسعة للّغة، إلاّ أنّها تنضبط في أطر معنويّة معيّنة، فلفظة (ضحك) مثلاً، يمكن أن تستدعي العديد من الألفاظ الجائزة التي تتصف بصفات معنويّة عامة مشتركة تنطلق من الإنسان أو من متعلقاته. فالألفاظ تميل إلى التجمع والتصاحب بصورة انتقائيّة في التعبيرات، إذ إنّ الألفاظ لا تتصاحب وكلّ المفردات اللّغويّة الأخرى، بل تتصاحب وألفاظاً من نوع معيّن، حتى تصبح تلك المصاحبات جزءاً مهماً من معنى اللّفظة[1]. إذن لا تظهر القيمة اللّغويّة للألفاظ المفردة بصورة نهائيّة إلاّ عن طريق مجاورتها للألفاظ السابقة واللاحقة لها، سواء أكانت في التركيب أم في الجملة أم في النص أم في الموضوع ككلّ. فالحكم "على دلالة اللّفظ في نص ما، أدقّ وأوثق ممّا لو استقيناه من المعاجم وحدها"[2].

ففي تعبير (لُعَابُ الصبيّ) مثلاً، نجد أنّ لفظة (الصبّي) قد ساهمت بشكل أو بآخر في دلالة لفظة (لُعَاب) ــ هي وغيرها من الألفاظ التي يجوز أن تصاحب كلمة (لُعَاب) في هذا النمط التركيبي ــ كونها من الألفاظ المصاحبة لها، وقد تكون هذه العلاقة المعنويّة التركيبيّة التي تقوم بين المصاحبات اللّفظيّة مبنيّة على علاقة معنويّة إشارية تشير إلى وجود خارجي حقيقي، كما في التعبير السابق (لُعَاب الصبّي). ولكن علاقات المصاحبات اللّفظيّة ليست مبنيّة دائماً على رابطة

---

(١) ينظر: انزياح المصاحبات المعجميّة– دراسة في شعر أمل دنقل (بحث) ١٥٢.

(٢) دلالة الألفاظ ٢١٣.

إشارية معنويّة خارجيّة، فألفاظ مثل: مات، توفي، هلك، نفق، كلّها ترتبط بمعنى إشاري واحد، إلاّ أنّها لا تستعمل مع المصاحبات اللّفظيّة نفسها، فكلمة (مات) مثلاً يجوز أن تتصاحب مع الإنسان والحيوان معاً. أمّا لفظة (توفي) فلا تتصاحب إلاّ مع الإنسان. وهذا يقودنا إلى أنّ علاقة المصاحبة اللّفظيّة تقوم في جانب رئيسي منها على العرف اللّغويّ[1].

وتختلف أعداد مصاحبات الألفاظ التي يجوز أن تأتي معها في التركيب باختلاف الألفاظ، فمنها ما هي مفتوحة المصاحبات كالأدوات النحويّة، ومنها ما هي محدودة المصاحبات، وفي هذه الحالة فإنّ دلالة الألفاظ ترتكز بالدرجة الأولى على تلك المصاحبات، نحو: خرير في عبارة (خرير الماء)، وصرير التي لا تترافق إلاّ مع الباب والقلم. وكذلك لفظة (حومة) التي تتصاحب مع المعركة، وما يتعلّق بها. وما دامت العلاقة بين اللّفظة وما يصاحبها من الألفاظ الأخرى، هي علاقة عرفيّة، فإنّه يصعب علينا إيجاد ضوابط دقيقة فاصلة للصحة والخطأ بينها، " فهناك مفردات أعلى من غيرها في سلم التوقع النسبي، وتتدرج في السلم حتى نصل إلى منطقة قلقة لا نستطيع أن نقرر معها بصورة حاسمة درجة شذوذ الاستعمال أو صحته. وهنا لا بدّ من استرجاع الموقف اللّغوي لتغليب الرأي"[2]. فمثلاً:

- تَنَفّس الإنسان – الحيوان، الشجر، الصبح، الضمير، السوق، إلى غير ذلك من الألفاظ المتدرّجة في القبول.
- تَنَفّس الصَّبر: ندخل هنا في اللاتجانس، وإن كانت الاستعمالات الشعريّة تجيزه لما يمتاز به الشعر من انزياحات يمكن تأويلها.
- تَنَفّس الحجر: عدم تجانس مع عدم فهم، عدا الاستعمالات الشعريّة.

---

(١) ينظر: انزياح المصاحبات المعجميّة (بحث) ١٥٢-١٥٣.

(٢) التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن الكريم ٧٨.

- تَنَفّس النَّفَس: هذا غير متجانس، و غير مفهوم، وغير معقول ، وغير متوقع أبداً . أمّا في اللّغة الشعريّة فقد يكون مقبولاً مع التأويل.

وقد ترتبط المصاحبات المعجميّة اللّفظيّة بمواقف لغويّة معيّنة، إذ لا تفهم إلاّ بإطارها، فتصبح من الخصائص الشكليّة الأسلوبيّة المميزة لأسلوب ذلك الموقف اللّغويّ، وذلك نحو: حرب النّجوم، تعويم العملة، الانقلاب الأبيض، السّوق المالي، الصّحافة الصّفراء... الخ. فمثل هذه المصاحبات والتعبيرات ترتبط بأسلوب الصّحافة بالدرجة الأولى. وترتبط بعض الألفاظ ضمن علاقة المصاحبة اللّفظيّة ارتباطاً محكماً، بحيث إذا استخدمنا معاً يصبح معناهما معنى المفردة الواحدة، ولا يفهم معناها العام من خلال المعاني الأصليّة لمفرداتها منفردة، بل يصبح لها مقابل معنوي واحد، وهذا ما يطلق عليه (الكنايات العامّة) نحو: عَادَ بِخُفَّي حُنَيْن، أعْطِ الخُبْزَ إلى خَبَّازِه، على أهْلِها جَنَتْ بَرَاقِش... الخ.

وربّما تشترك لفظتان أو أكثر في بعض المصاحبات اللّفظيّة، ولكن من الصعب أن نجد لفظتين تشتركان في كلّ المصاحبات اللّفظيّة، فلفظة (جميل) تتصاحب مع المرأة والرجل، ولكن لفظة (وسيم) لا تتصاحب إلاّ مع الرجل. ومثل ذلك لفظة (البُصَاق) فإنّها تتصاحب مع الرجل والمرأة والصّبي، وأمّا لفظة (لعاب) فهي مختصة بمصاحبة الصّبي (١).

وتعدّ المصاحبات المعجميّة نوعاً من التحفيز اللّغويّ الذي يندرج تحت نظام الأنساق، حيث لا يظهر التحفيز إن كانت اللّفظتان المتصاحبتان مقبولتين معجميّاً، وعلى العكس من ذلك إذا ابتعدنا بعداً كبيراً، فإنّ هذا البعد يحفز المتلقي إلى إعمال ذهنه في التأويل والربط بين اللّفظتين المتصاحبتين، إذ إنّ تصاحبهما قد يدفع المتلقي إلى نوع من الوهم الذي يبدو على شكل احتمال،

---

(١) ينظر: علم اللّغة المعاصر – مقدّمات وتطبيقات ٩٠.

وذلك لأنّ قوانين التركيب البنيويّة للّغة لا تشترك مع الاحتماليّة في شيء، وهذا يلقي على المتلقي تبعيّة تفسير تصاحب هاتين اللّفظتين [١].

وممّا لا شك فيه أنّ المفردات المعجميّة تحكمها مجموعة من القوانين لضبطها وإحكام أمرها عندما تتجمع وتتآلف لتشكيل التراكيب اللّغويّة. يقول ريمون طحّان: "الكلام هو ما تركب من مجموعة متناسقة من المفردات لها معنى مفيد، والجملة هي الصورة اللّفظية الصغرى، أو الوحدة الكتابيّة الدنيا للقول أو للكلام الموضوع للفهم والإفهام، وهي تبين أنّ صورة ذهنيّة كانت قد تألفت أجزاؤها في ذهن المتكلم الذي سعى في نقلها، حسب قواعد معيّنة وأساليب شائعة، إلى ذهن السّامع، ولا يكون الكلام تاماً والجملة مفيدة إلاّ إذا روعيت فيهما شروط خاصة منها تعود إلى المنطق، ومنها تعود إلى متطلبات اللّغة وقيودها"[٢]. ولكن قد تنشأ قوانين جديدة تؤدي إلى تباعد تلك الألفاظ المتصاحبة، ممّا يؤدي إلى خرق قاعدة من قواعد اللّغة أو مبدأ من مبادئها. فاستعمال "المبدع للّغة مفرداتٍ وتراكيبَ وصوراً استعمالاً يخرج بها عمّا هو معتاد ومألوف بحيث يؤدي ما ينبغي له أن يتصف به من تفرّد وإبداع وقوّة جذب وأسر "[٣] يطلق عليه الانزياح.

ومفهوم الانزياح تعدّدت مصطلحاته وأوصافه، نذكر منها على سبيل التمثيل لا الحصر[٤]: (التجاوز، الانحراف، العدول، الاختلال، الانتهاك، التحريف، الغرابة...الخ). أمّا من حيث شيوع استعمالات هذه المصطلحات لدى الأسلوبيين والنقاد العرب فإنّ مصطلح الانزياح يقع في المرتبة الثّانية بعد الانحراف [٥].

---

(١) ينظر: نظرية المنهج الشّكلي ١٩٣-٢٠٤.

(٢) الألسنيّة العربيّة ٤٤.

(٣) الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبيّة ٧.

(٤) للاستزاده ينظر: نظرية اللّغة الأدبيّة ٢٨؛ الأسلوبيّة والأسلوب١٠٠-١٠١؛ الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبيّة ٣١-٣٤.

(٥) ينظر: الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبيّة ٤٨.

يقول ريمون طحان: "إذا أمعنا النظر بالجمل غير الأصوليّة رأينا أنّها تتفاوت في درجات الخروج عن الأصوليّة، ولا يجوز حينئذ أن تقوم كتب اللّغة بتعداد كافة الجمل الأصوليّة بل عليها أن تبيّن التعديلات التي يجب أن تدخلها على الجمل غير الأصوليّة لكي تصبح صحيحة، وأن تبيّن درجة انحراف الجمل غير الأصوليّة عن محور الأصوليّة "(١). وقد اتّسعت رقعة استعمال مصطلح الانزياح في الدراسات الأسلوبيّة الحديثة التي أقرّت أنّ عِلْمَ الأسلوب(٢) هو بحث الدّلالات الوجدانيّة للاستعمالات اللّغويّة التي تنحرف (تخرج) عن النمط اللّغويّ العاديّ.

أمّا وظيفة الانزياح اللّغويّ فإنّها تتمثل في ما يُحدثه من مفاجأة المتلقي، وجذب انتباهه. ناهيك عن أنّه يفتح فضاءات واسعة لشتّى الأصناف اللّغويّة والأدبيّة، ورفدها بتراكيب لغويّة جديدة تلبي حاجة أبناء اللّغة في التعبير عن حاجاتهم، وتلبية ما يدور في خلدهم. يقول شكري عياد: "والكتابة الفنيّة تتطلب من الكاتب أن يفاجئ قارئة من حين إلى حين بعبارة تثير انتباهه حتى لا تفتر حماسته لمتابعة القراءة أو يفوته معنى يحرص الكاتب على إبلاغه إياه... وفي هذا تختلف الكتابة الفنيّة عن الاستعمال العاديّ للّغة، فأنت في حديثك العاديّ تستطيع أن تلجأ إلى وسائل كثيرة مصاحبة للكلام كي تنبّه سامعك على فحوى الرسالة: من استخدام النّبر، والتعبير بحركات الوجه، والإشارة باليدين، إلى هزّ ذراع سامعك أو كتفه أحياناً، إذا كنت في حالة انفعالية تدفعك إلى ذلك أو تجعله مقبولاً منك... وإذا كانت هذه الحركات والنّبرات في لغة الحديث لا تفعل فعلها إلاّ لكونها خارجة عن المألوف – فالمرأة الشكّاءة البكّاءة لا تلفت نظر زوجها إليها مهما تتنهد، والإنسان الذي لا يفتأ يجذب كُمَّ مُحَدِّثِه لينصرف إليه لا يزيد على أن يضجره ويسخطه – فكذلك وسائل اللّغة التي يراد بها جذب الانتباه إنّما تحدث ذلك بفضل ما فيها من المفاجأة أو الخروج على سياق الكلام

---

(١) الألسنيّة العربيّة ٤٨.

(٢) ينظر: مذكرات في علم الأسلوب ١٣؛ البلاغة والأسلوبيّة ١٩٨.

العاديّ؛ أي بفضل ما فيها من الانحراف"[1]. وبناءً على ذلك فإنّ "كلّ شيء يخالف العادة هو أكثر تأثيراً في الفهم من المألوف"[2].

وقد ميّز عبد السلام المسدّي الخطاب اللّغوي (الفنيّ) من خطاب الحياة اليوميّة (الخطاب اللّغويّ العاديّ)، وبيّن أنّ صياغة الأوّل مقصودة لذاتها؛ لأنّها لا تنشأ عن مجموعة انعكاسات مكتسبة بالمران والملكة، بل إنّها صَوْغ للّغة عن وعي وإدراك، إنّه حاجز بلوري طلي صوراً ونقوشاً وألواناً تَصُدّ أشعة البصر عن اختراقه[3]. فالقصديّة التي تتمتع بها اللّغة الفنيّة هي التي مازتها من لغة الخطاب العاديّ.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ لغة الشعر تتكئ على اللاتجانس أو الفجوة في توسيع فضاء الخطاب الشعري (الفني)، إذ يرى بعض نقاد الشعريّة أنّ الفجوة أو اللاتجانس لا تتحقق إلاّ في النص الذي أُفعم بالشعريّة. ومثل لهذا بعبارة (لعاب العطايا) في قول الشاعر حكمت النوايسة[4]:

جمعت حروف النداء وكلّ الذي

علمتني المدائح

كيما أفوز بعطف الجموع ندى في لعاب العطايا

التي تحتوي على اللاتجانس (الفجوة)؛ لأنّ الشاعر جمع بين كلمتين لم تلتقيا من قبل عن طريق الإضافة، إذ أضاف السمة الإنسانيّة (اللعاب) إلى شيء لا يتعلّق بالآدميين (العطايا)، معتمداً على الاتصال الوثيق بين المفردتين من مستوى آخر، إذ يسيل لعاب الشاعر للعطايا التي تقدّم له عندما يرخّص شعره للسادة، ويذلّه على عتبات القصور. وأشار هذا الناقد أيضاً إلى وجود وجوه من

---

(١) اللّغة والإبداع ٨١.

(٢) التّطور النّحوي ٨٦.

(٣) ينظر: النظرية الأسلوبيّة في النقد الأدبي (بحث) ٨٤.

(٤) الصّعود إلى مؤتة ٢٢.

اللاملاءمة أو اللاتجانس، وذلك بين الفعل والفاعل إذا توافرت بينهما الفجوة المشار إليهـا، وبـين الفعل ومفعوله، وهو لاتجانس دلالي[1]. وكان الكاتب الإسباني (باي انكلان) يقـول: "يـا لـشقاء الشاعر الذي لم يجرؤ يوماً على أن يجمع بين كلمتين لم تلتقيا من قبل على الإطلاق"[2].

وأخيراً فإنّ هذا البحث سيركز على أشكال التصاحب الـدلالي البعيـدة عـن المـصاحبة المعجميّة المباشرة، والتي تمثّلت بما يلي:

١. التصاحب الدلالي في العلاقات الأفقيّة الإسناديّة: (العلاقة الأفقيّة الإسناديّة الاسميّة، العلاقة الأفقيّة الإسناديّة الفعليّة).

٢. التصاحب الدلالي في علاقة الفضلات الأفقيّة: (علاقة المفعوليّة الأفقيّة، علاقـة الوصـف الأفقيّة).

٣. التصاحب الدلالي في علاقة الإضافة الأفقيّة.

وقد شكّلت هذه الأشكال نمطاً من أنماط الانزياح بصوره المختلفة، وهي ما أشـرنا إليهـا ــ من قبل ــ باللاتجانس أو اللاملاءمة أو الفجوة، وقد اخترنا معجم (العين) للخليـل بـن أحمـد الفراهيدي للتطبيق عليه، لما يمتاز به من تراكيب لغويّة خرجت عن المألوف اللّغويّ، أضف إلـى ذلك أنّ هذا المؤلّف كان قريباً جداً من فترة الاحتجاج اللّغويّ.

---

(١) الصّعود إلى مؤتة ١١-١٢؛ انزياح المصاحبات المعجميّة ١٥٤-١٥٥.

(٢) نظريّة البنائيّة في النقد الأدبي ٤٥٦.

ثالثاً: انتقال الدلالة في العلاقات التسلسليّة الأفقيّة:

ينتقل اللفظ من مجال دلالته إلى مجال دلالة أخرى لتشابه بين الدلالتين أو لقرب بينهما أو لعلاقة أو مناسبة واضحة بين الدلالتين(١)، ويتمّ هذا الانتقال ضمن علاقات قائمة على التجوّز والاستعارة، سواء أكان النقل عن عمد أم عن غير عمد(٢). "فإذا استقرّت الألفاظ على المعاني التي جعلت علامات لها... صار الناس بعد ذلك إلى النسخ والتجوّز في العبارة بالألفاظ، فعبّر عن المعنى بغير اسمه الذي جُعِل له أولاً، وجُعِل الاسم الذي كان لمعنًى ما راتباً له دالاً على ذاته، عبارة عن شيء آخر، متى كان له به تَعلُّق ولو كان يسيراً، إمّا لشَبه بعيد، وإمّا لغير ذلك، من غير أنْ يَجْعل ذلك راتباً للثاني دالاً على ذاته فيحدث حينئذٍ الاستعارات والمجازات"(٣).

وتقسم العلاقات المسوِّغة لانتقال الدلالة من مجال إلى آخر في العلاقات التسلسلية الأفقيّة قسمين:

أ. علاقات التّشابه.

ب. علاقات المجاز المرسل.

وعندما استقرأتُ المادة اللّغويّة في معجم العين ، وجدتُ علاقات التّشابه كثيرة التردد والدوران فيه. أمّا علاقات المجاز المرسل فلم نقف لها على أمثلة. وتتضمن علاقات التّشابه ثلاث علاقات، هي:

---

(١) ينظر: الأضداد في اللّغة العربيّة ٦٧.

(٢) ينظر: دلالة الألفاظ ١٦٠.

(٣) الحروف ١٥٦.

١. علاقة التّشبيه البليغ:

يتمّ هذا المظهر من التطور الدلالي عن طريق انتقال مجال الدلالة لوجود علاقة التّشابه بين المدلول الأصلي والمدلول المُستحدَث، حين تؤدي إلى انتقال التسمية.

٢. علاقة الاستعارة (المكنيّة والتصريحيّة):

الاستعارة – كما قال عنها ابن فارس – من سنن العرب[١]، وهي كما يعرّفها ثعلب(ت٢٩١هـ): "أنْ يُستَعَار للشَّيْء اسْمُ غيرِه أو معنى سِوَاه"[٢]، ونقصد بها الاستعارة اللّغويّة التي تقع ضمن المجاز الذي علاقته التّشبيه، وهي أن تنتقل دلالة اللّفظة الأصليّة أو الأولى قبل أن يعتريها التغيّر الدّلاليّ إلى دلالة أخرى مجازيّة بوجود علاقة التشابه بين الدلالتين، ويكون ذلك من باب الاستعارة لا من باب التّشبيه، ومن أمثلتها استعمال أهل الأندلس كلمة القِلاَدَة في معنى الحِزَام، وهي ما يحيط بالعنق، وبين المدلولين تشابه، فالحزام يحيط بالوسط كما تحيط القلادة بالعنق[٣].

٣. علاقة الكناية عن صفة:

تنتقل المعاني الحقيقية إلى معان أخرى مجازيّة عن طريق الكناية بوجود علاقة التّشابه بين الدلالتين. "فإذا عرضت اللّغات للناحية الجنسيّة وما يتصل بها رأينا التطوّر الدلالي أسرع، وشهدنا أنّ الكناية والتعمية مطلوبة مستحبّة، فلأعضاء التناسل في كلّ لغة كلمات مبتذلة وأخرى محترمة، وللعمليّة الجنسيّة في كلّ لغة كلمات مفضوحة ينفر منها الناس، وأخرى معمّاة مكنيّة يقبلون عليها، وكذلك كلّ ما يتعلّق بالزنا أو هتك العرض أو العربدة، بل بلغ الأمر ببعض اللّغات أن أصبحت تكنى عن أسماء الزوجة، وعن الملابس الداخليّة للإنسان ممّا هو معروف شائع"[٤].

---

(١) ينظر: الصاحبي ٢٠٤.

(٢) قواعد الشعر ٥٣.

(٣) ينظر: لحن العامة في ضوء الدراسات اللّغويّة الحديثة ٢٨٥.

(٤) دلالة الألفاظ ١٤٢.

الفصل الأوّل

العلاقات الأفقيّة الإسناديّة

توطئة:

تتألف الجملة العربيّة من ركنين رئيسين هما: المسند والمسند إليه، وهما أساس بناء الكلم فيها، وما زاد على عنصري الإسناد فضلة إلاّ أنّه مهمّ في المعنى.

وقد عرّف ريمون طحان الجملة بأنّها "الصورة اللفظيّة الصغرى، أو الوحدة الكتابيّة الدنيا للقول أو للكلام الموضوع للفهم والإفهام، وهي تبين أنّ صورة ذهنيّة كانت قد تألفت أجزاؤها في ذهن المتكلم الذي سعى في نقلها، حسب قواعد معيّنة وأساليب شائعة في ذهن السّامع"(١). ولكي تصبح الجملة ذات معنى " ينبغي أن تخضع لنوعين من القواعد. النوع الأول منها يمتاز بالاطّراد أي أنّه يخضع لقانون. أمّا الثاني فلا يخضع لذلك"(٢). وعليه فالجملة العربيّة وحدة تركيبيّة متكاملة تتشكّل من الألفاظ؛ لتؤدّي معنًى تامّاً وفكرة مقصودة، يتلقّفها المتلقّي.

أمّا المفردات اللّغوية فإنّها تميل "إلى أن تتجمّــع وأن تتــصاحب بــصورة انتقائيّــة فــي التعبيرات، فالمفردة اللّغويّة لا تتصاحب مع كلّ مفردات اللّغة الأخرى، بل مع مفردات مــن نــوع معين، وهذه المصاحبات تصبح جزءاً مهماً من معنى الكلمة"(٣). أي إنّ دلالة اللّفظة في التراكيــب اللّغويّة تنشأ من علاقاتها القائمة بين الألفاظ المجاورة لها، ومجموع القيم اللغويّة المتكوّنة من علاقة الألفاظ بعضها ببعض يسمّى السياق اللّغويّ. وليس للّفظة قيمة وحدها، بل قيمتها تتجلّى من خــلال تسييقها ضمن الوحدات اللغويّة. فعندما نسمع جملة أو نقرؤها نرى ألفاظها يفسّر بعضها بعضاً، فإذا كانت واحدة منها غير مألوفة لنا حاولنا معتمدين على سياق النصّ (٤).

---

(١) الألسنيّة العربيّة ٤٤.

(٢) بنية اللّغة الشّعريّة ١٠٢-١٠٣.

(٣) انزياح المصاحبات المعجميّة (بحث) ١٥٢.

(٤) ينظر: اللّغة ٢٥٢.

فالألفاظ إذن تربطها علاقات قويّة في التراكيب تقوم على أساس العرف اللّغوي، وما دام المسند والمسند إليه ضمّ أحدهما إلى الآخر لإفادة تمام المعنى، وهما عماد الجملة العربيّة ولا يستغنى عن أحدهما مطلقاً، فإنّه من الضروري أن تربطهما علاقة أفقيّة قويّة سديدة، ألا وهي العلاقة الإسناديّة التي تتسم بالتصاحب والملاءمة. ولكن قد يخرق أبناء اللّغة تلك العلاقة، عندها تحدث فجوة أو لاتجانس بين المسند والمسند إليه ، قد تصل إلى نقطة شذوذ الاستعمال ، يمكن قبولها في اللّغة الفنيّة على التأويل.

وتقسم العلاقات الأفقيّة الإسناديّة التي تحكم الجملة قسمين :

١. **العلاقة الأفقيّة الإسناديّة الاسميّة:** وهي ما يكون فيها المسند والمسند إليه اسمين.

٢. **العلاقة الأفقيّة الإسناديّة الفعليّة:** وهي ما كان المسند فيها فعلاً.

أولاً: العلاقة الأفقيّة الإسناديّة الاسميّة

العلاقة الأفقيّة الإسناديّة الاسميّة علاقة تركيبيّة، تعتمد على ركنين رئيسين هما: المبتدأ والخبر، وهما لا يخرجان عن طرفي الإسناد، إذ يسند الخبر إلى المبتدأ، فيسمّى الخبر مسنداً، والمبتدأ مسنداً إليه.

علاقات التّشابه في العلاقة الأفقيّة الإسناديّة الاسميّة:

تتمثل علاقات التّشابه التي يتمّ فيها انتقال مجال دلالة الألفاظ في العلاقة الأفقيّة الإسناديّة الاسميّة في كتاب العين بما يلي:

١ـ علاقة التّشبيه البليغ:

عندما تصفحتُ المادة اللّغوية في معجم العين، وجدتُ العديد من الألفاظ مثّلت علاقة التشبيه البليغ التي تمّ انتقال مجال الدلالة فيها بصورتين:

أ- انتقال الدلالة من المجال المحسوس إلى المجال المحسوس:

فممّا جاء من الألفاظ التي انتقلت دلالاتها من الدلالة الحسيّة إلى دلالة حسيّة أخرى عن طريق علاقة التّشبيه البليغ في كتاب (العين)، وكان التصاحب بين المسند والمسند إليه في العلاقة الأفقيّة الإسناديّة الاسميّة غير متجانس، ما رواه الخليل عن أصحاب اللّغة من العرب حول دلالة لفظة(الأذن)، فقال: "يقال للرجل: هو أُذُنٌ، وللمرأة: هي أُذُنٌ، وللقوم كذلك، أي يسمَعُ من كلٍّ أحد"(١). قال الراغب: "الأُذُنُ: الجارحة... ويستعار لمَنْ كثر استماعه وقوله لما يسمع، قال تعالى: (ويقولونَ هُوَ أُذنٌ قل أُذنُ خَيرٍ لكم) [التوبة:٦١] "(٢). وهذا يعني أنّ أصل الاستعمال اللّغويّ

---

(١) العين ١٩٩/٨ (أذن).

(٢) المفردات ٧٠.

للفظة(الأُذن) هو: العضو الذي يسمع منه الإنسان، وهي دلالة ماديّة. ثمّ انتقلت دلالة هذه اللّفظة عن طريق شبكة العلاقات المجازيّة ــ من باب علاقة التشبيه البليغ ــ من معناها الماديّ المحسوس إلى دلالة مستحدثة مجرّدة لتدلّ على مَنْ يسمَعُ من كلٍّ أحد: (هو أُذُنٌ).

وعليه فإنّ المسند (أُذُن) في ما رواه الخليل: (يقال للرجل: هو أُذُنٌ)، قد أسند إلى ضـمير الرفع المنفصل (هو) الذي يعود على كلمة (الرجل)، ومن الواضح أنّ هاتين المفردتين (هو أُذُنٌ) لا تترافقان معجمياً ولا تتساندان؛ لأنّ كلمة مثل (الإنسان) يمكن أن تترافق مع مسند مثل: مستَمِع، مصدِّق، مؤْمن، وغيرها، ولكن لمّا كانت الأُذُن تسمع كلّ ما يصل إليها من أصوات سواء أكانـت صاخبة أم هادئة، شُبِّه بها الإنسان الذي يسمع من كلّ أحد. قال ابن منظور: "وفي التنزيل العزيز: ويقولون هو أُذُنٌ قل أُذُنُ خيرٍ لكم؛ أكثرُ القرّاء يقرؤون قل أُذُنُ خيرٍ لكم، ومعناه وتَفْسيرُه أنّ فـي المُنافقينَ مَنْ كان يَعيب النَّبيّ، صلى الله عليه وسلم، ويقول: إن بَلَغَه عني شيء حَلَفْت له وقَبِلَ منّي لأنّه أُذُنٌ، فأَعْلَمه الله تعالى أنّه أُذُنُ خيرٍ لا أُذُنُ شرٍّ. وقوله تعالى: أُذُنُ خيرٍ لكم، أي مُسْتَمِعُ خيـرٍ لكم"(١).

ومن الألفاظ كذلك ما رواه الخليل عن العرب في كتابه (العين) حول لفظة (البَذْر)، فقال: " بَذَرْتُ الشَّيْءَ والحَبَّ بَذْراً بمعنى نَثَرْتُ ، ويقال للنَّسْل: البَذْرُ، يقالُ: هؤلاءِ بَذْرُ سَوْءٍ. والبَذْرُ اسم جامعٌ لما بَذَرْتَ من الحَبِّ"(٢). قال ابن فارس (ت٣٩٥هـ): "الباء والذال والراء أصلٌ واحدٌ، وهو نَثْر الشَّيْءِ وتفريقُه يقال: بذرْتُ البَذْرَ أَبْذُرُهُ بَذْراً، وبذَّرْتُ المَالَ أُبَذِّرُه تبذيراً"(٣). قـال الله تعـالى: ﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۝ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ﴾ [الإسراء:٢٦،٢٧]. وقال الزمخشري

---

(١) لسان العرب ١١/١٣.
(٢) العين ١٨٢/٨ (بذر).
(٣) مقاييس اللّغة ٢١٦.

(ت٥٣٨هـ) بعد أن ذكر أصل لفظة (البَذْر): "ومن المجاز: إنّ هؤلاءِ لبَـذْرُ سُـوءٍ، أي: نَـسل سُوءٍ"(١). فأصل البَذْر: نَثْر الحبِّ. قال أبو زيد الأنصاري (ت٢١٥هـ): "ويقال عِنْدَ بَذْرِ الأرضِ إذا بُذِرَتْ ما أَحْسَنَ وِرَاقَهَا إذا اخْضَرَّتْ وَخَرَجَ بِذَارُها"(٢)، وهذا هو المعنى الحقيقي للفظة (البَـذْر) في أصل الاستعمال اللّغويّ لها.

إلاّ أنّ انتقال دلالة اللّفظة عن طريق شبكة العلاقات المجازيّة لتدلّ على النَسْل جعل الإسناد الاسمي (هؤلاءِ بَذْرُ سُوءٍ) غير متجانس معجميّاً؛ لأنّ (النَّسْل) لا يسند إليهـا إلا كلمـة تناسـبها، وتتعلّق بها، كأن نقول: نَسْل الإنسان، نَسْل الحيوان، نَسْل الخيول... الخ، ولكن كون المرأة نَثَـرَتْ بطنها بخروج أبنائها إلى الحياة كما يُنْثَر الحَبُّ من اليد على الأرْض، جاز لنا عن طريق التـشبيه البليغ أن نطلق لفظة البَذْر على النَّسْل، فنقول: (هؤلاءِ بَذْرُ سُوءٍ). قال الراغب عندما وقـف عنـد قوله تعالى: ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ [البقرة:٢٢٣]، لتفسير لفظة (الحَرْث) وتوضيحها: "وذلك على سَبِيلِ التَّشْبيه، فبالنسَاءِ زرعُ ما به بقاء نوع الإنسان، كمـا أنَّ بـالأرضِ زرع ما به بقاء أشخاصهم"(٣). فالرجل عندما يأتي حرثه (امْرَأته) فإنه يزرع بـذره (أولاده) كمـا يُزْرع البَذْر في الأرض.

وممّا أوقفنا عليه الخليل من هذا الباب الذي انتقلت فيه الدلالة من الدلالة الحسيّة إلى دلالة حسيّة في العلاقة الإسناديّة الاسميّة الأفقيّة، ما رواه عن أصحاب اللّغة من العرب حـول لفظـة (القَبّ) فقال: "القَبُّ: ضَرْبٌ مِن اللُّجُم، أصْعَبُها وأعْظَمُها"(٤). وقال ابن منظور في الدّلالة نفـسها:

---

(١) أساس البلاغة ٣٨.

(٢) النوادر في اللّغة ٥٤٨.

(٣) المفردات ٢٢٦.

(٤) العين ٥/٢٩ (قب).

"والقَبُّ : ضَرْبٌ من اللُّجُم، أصْعَبُها وأعظمها"(١). وهذا هو المعنى الحقيقي للّفظة في أصل الاستعمال. وأضاف الخليل قائلاً: "ويُقال لشيخ القَوْم هو قَبُّهُم"(٢). قال الزمخشري: "ومن المجاز هو قَبُّ قَوْمِه، وهو القَبُّ الأكْبَر وهو الشيخ الذي عليه مَدَار أمْرِهم"(٣).

وعليه فإنّ دلالة لفظة (القَبّ) قد انتقلت من أصل وضعها اللّغويّ الدّال على نوع من اللُّجُم إلى دلالة أخرى جديدة لتدلّ على رئيس القوم. إلاّ أنّ التصاحب بين المسند إليه (هو) والمسند (القَبّ) في قول الخليل: (هو قَبُّهُم) غير متجانس من الناحية المعجميّة، وأنّ المسند إليه (هو) العائد على الإنسان لا يسند إليه إلاّ كلمة تناسبه وتتعلّق به، كأن نقول: شيخ، أمير، رئيس، إلى آخر ما يمكن أن يصاحب هذه اللّفظة معجمياً، ولكنّ القائل أراد إضفاء المزيد من القوّة على المعنى الذي أراده، فقال: (هو قَبُّهُم)، والقَبُّ ممّا يتعلّق بالخيل وهي التي تُلْجَم به. لذلك يعد هذا الإسناد انزياحاً عن المألوف، وأنّ الذي سوّغه هو أنّه لمّا كان شيخ القوم هو المسؤول عمّا يحدث لقومه، وله يد السُّلطة فيهم، فلا يُعصى أمره، ولا يُخالف رأيه، ولا يُقطع أمر دونه، كان بمثابة اللِّجَام للفرس، يتحكم بها أنّى شاء. قال كُراع النمل: "ويقال للرّأسِ الأكْبَر ــ يعني الخَلِيفَة أو المَلِكَ ــ : القَبُّ"(٤).

ب- انتقال الدلالة من المجال المحسوس إلى المجال المجرّد:

فمن هذا الباب الذي انتقلت فيه الدلالة من الدلالة الحسيّة إلى الدلالة المجرّدة عن طريق التشبيه البليغ في العلاقة الأفقيّة الإسناديّة الاسميّة، ما ذكره الخليل عن أهل اللّغة من معانٍ للفظة (البُوق)، فقال: "والبُوق: شِبْهُ مِنْقافٍ مُلْتوي الخَرْق، وربّما نَفَخَ فيه الطَّحّان، فيعلو صَوْتُه، ويُعْلَم المُراد به"(٥). وقال كُراع النّمل في الدلالة ذاتها: "والبُوْقُ: الذي يُنْفَخُ فِيهِ"(٦). وقال ابن منظور

(١) لسان العرب ٦٥٨/١.

(٢) العين ٢٩/٥ (قب).

(٣) أساس البلاغة ٧٣٧.

(٤) المنجّد في اللّغة ٣٠٤.

(٥) العين ٢٢٩/٥ (بوق).

(٦) المنجّد في اللّغة ١٤٦.

(ت٧١١هـ): "البُوقُ: شِبْهُ مِنْقافٍ مُلْتَوِي الخَرْق يَنْفخ فيه الطَّحَّان فيعلو صوته فيُعلم المُراد به"(١).

وهذا يدلّ على أنّ أصل لفظة (البُوق) استعمل في حقيقته للمعنى الماديّ المحسوس الذي يدلّ على تلك الآلة التي إذا نفخ فيها فإنّها تَزْمُر.

وتتبع الخليل انتقال دلالة هذه اللّفظة، فقال: "ويُقال لمَنْ لا يَكْتُم شيئاً: إنّما هو بُوق"(٢). فانتقلت دلالة لفظة (البُوق) عن طريق شبكة العلاقات المجازيّة ـ من باب علاقة التشبيه البليغ ـ من معناها الماديّ المحسوس الدّال على تلك الآلة إلى دلالة أخرى مجرّدة لتدلّ على مَنْ لا يَكْتُم شيئاً. وهذا ما أكّده ابن منظور عندما قال: "ويقالُ للإنسان الذي لا يكتُم السِّر: إنّما هو بُوق"(٣).

وعليه فإنّ المسند (بُوق) في ما رواه الخليل: (إنّما هو بُوق)، قد أسند إلى ضمير الرفع المنفصل (هو) الذي يعود على الاسم الموصول(مَنْ)، الذي يدلّ على العاقل، وهو الإنسان، ومن الواضح أنّ هاتين المفردتين (هو بُوق) لا تترافقان معجمياً ولا تتساندان؛ لأنّ كلمة مثل (الإنسان) يمكن أن تترافق مع مسند مثل: مِكْثَار، مِهْذَار، وغيرهما، ولكن لمّا كان البُوق لا يخفي شيئاً ممّا يُنْفَخ فيه ويُذَاع، شُبِّه به الإنسان الذي لا يَكْتُم شيئاً.

ومنه كذلك لفظة (الزَّمَع) التي رواها الخليل عن أصحاب اللّغة، فقال: "الزَّمَعُ: هَنَاتٌ شِبْه أُظْفَار الغَنَم في الرُّسْغ، في كلّ قائمة زَمَعَتَان كأنّهما خُلِقَتا من القُرون، تكون لكُلِّ ذي ظِلْفٍ"(٤). قال الجاحظ (ت٢٥٥هـ): "والزَّموع: التي تمشي عَلَى زَمَعاتها: مآخير رِجْلَيها. قال أبو المفضّل: توبِّر بيديها، وتَمْشِي عَلَى زَمَعاتها عَلَى رجليها، وهي مواضع الثُّنَن من الدوابّ، والزَّمَعِ المعلَّقِ خلفَ

---

(١) لسان العرب ٣١/١٠.

(٢) العين ٢٢٩/٥ (بوق).

(٣) لسان العرب ٣١/١٠.

(٤) العين ٣٦٧/١ (زمع).

الظِّلف من الشّاة والظبي والثور، قال: وكلّ ذلك توْبير. وهو أن تطأ علَى مآخير قوائمها، كي لا يعرفَ أثرها إنسانٌ ولا كلب"[1]. وقال ابن سيده (ت٤٥٨هـ) في الدلالة نفسها: "الزَّمَعةُ: الشَّعْرةُ التي خَلْف الثُّنَّة أو الرُّسغ. والزَّمَعة: الزّائدة وراء ظِلْف الشّاة. وهي أيضاً الشَّعْرة المُدَلاّة في مُؤخَّرِ رِجْل الشّاة والظّبْي والأرْنَب. والجمع: زَمَع وزِماع. قال أبو ذُؤَيب[2]:

فَراغَ وقَدْ نَشِبَتْ في الزّما

ع واستَحْكَمَتْ مثْلَ عَقْدِ الوتَرْ

وأرْنبٌ زَموع: تَمْشي على زَمَعَتِها: إذا دَنَتْ مِنْ مَوْضِعها، لئلا يُقَصَّ أَثَرُها. وقيل: الزَّموع السَّريعة"[3]. فأصل الزَّمَع هَنات في رسغ كل ذي ظلف. قال الشّمّاخ[4]:

فما تَنفَكُّ بَيْنَ عُوَيْرِضاتٍ

تَمُدُّ بِرَأْسِ عِكْرِشَةٍ زَمُوعِ

وهذا هو المعنى الحقيقي للّفظة في أصل الاستعمال، إلاّ أنّ دلالة لفظة (الزَّمَع) قد انتقلت عن طريق شبكة العلاقات المجازيّة إلى معنى آخر لتدلّ على الرُّذالة من الناس. قال الخليل على لسان أهل اللّغة: "ويُقال لرُذالة الناس: إنّما هم زَمَع"[5]. وهذا ما أكّده ابن فارس بقوله: "الزّاء والميم والعين أصلٌ واحدٌ يدلّ على الدُّون والقِلة والذِّلّة. من ذلك الزَّمَع، وهي التي تكونُ خَلْفَ أظْلافِ

---

(١) الحيوان ٥/٢٨٢-٢٨٣.

(٢) ديوان الهُذليين ١/١٤٨، وروايته: "فاستحكمت" في موضع "واستحكمت"، ولم تخلّ الرواية بموطن الشّاهد.

(٣) المحكم والمحيط الأعظم ١/٥٣٧-٥٣٨.

(٤) ديوانه ٢٣١؛ وينظر: الحيوان ٥-٢٨٢، وروايته : " تجُرُّ " في موضع " تَمُدُّ " ، ولم تخلّ الرّواية بموطن الشّاهد.

(٥) العين ١/٣٦٧ (زمع) .

الشّاءِ. وشُبِّهَ بذلك رُذَال النّاس"(١). وقال ابن سيده: "الزَّمَعُ: رُذالُ الناس وأتباعُهُم، بمنزلة الزَّمَعِ مِنَ الظِّلْف. والجمع أزْمَاع"(٢).

وعليه فإنّ ما أورده الخليل: (هم زمع) يحمل نوعاً من اللاتجانس، إذ أسند ما لغير العاقل للعاقل. ولكن لمّا كانت الزَّمَع أدنى ما يكون من الشّاء وتقع خلف الأظلاف، وتَطَأ بها كل مستقذر وغيره، جاز لنا عن طريق التشبيه البليغ أن نطلق على رُذَالة الناس الزَّمَع ، فنقول: (هم زَمَع)؛ لأنّهم خوالف الناس دائماً، ليس لهم قيمة، ولا يعتدّ برأيهم. قال ابن فارس: " يقال: إنّهُ مِنْ حُفَالَتِهم، وحُثَالَتِهم. وَهُوَ مِنْ زَمَعِهِم، وَمِنْ مآخِيرِهم: لَيسَ مِنْ صُدُورِهِم وَلا مِنْ سَرَوَاتِهِم. وَذَلِكَ أنَّ الزَمَعَ هي الرَّوَادِفُ الَّتي خَلفَ الأظلاَفِ. وأنّهم مِنْ رُذَالِهِم، وَأَوغَالِهِم، وَأَوغَادِهِم"(٣).

وممّا ذكره الخليل عن أهل اللّغة من العرب من أمثلة هذا المظهر ما قيل في معنى لفظة (الهَوَاء) فقال: "الهَواء مَمْدودٌ: هو الحَقُّ"(٤). قال الراغب: "الهَواء ما بين الأَرْض والسّماء"(٥). وهذا هو المعنى الحقيقي للّفظة في أصل الاستعمال اللّغويّ.

ويتابع الخليل ما رواه حول دلالة هذه اللّفظة إذ قال: "ويقال للإنسان الجَبَان: إنّهُ لهَواءٌ، وقلبُه هواءٌ"(٤). وقد استدلّ على ذلك بقوله عزّ وجلّ: ﴿ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴾ [إبراهيم:٤٣]. وبقول حسان بن ثابت(٦):

---

(١) مقاييس اللّغة ٣/٢٤ .

(٢) المحكم والمحيط الأعظم ١/٥٣٨ .

(٣) متخيّر الألفاظ ١٣٠ .

(٤) العين ٤/١٠٤ (هوى).

(٥) المفردات ٨٤٩.

(٦) ديوانه ١٦.

ألا أبْلِغ أبا سُفْيانَ عَنّي

فأنْتَ مُجَوَّفٌ نَخِبٌ هَواءُ

ممّا يدلّ على أنّ دلالة اللّفظة قد انتقلت من دلالتها الحسيّة عن طريق شبكة العلاقات المجازيّة ــ من باب علاقة التشبيه البليغ ــ إلى دلالة عقليّة مجرّدة مستحدثة لتدلّ على الجَبَان. قال الزمخشري: "ومن المجاز قولهم للجَبَان: إنَّه لَهَواء: خَالي القَلْب عن الجُرأة"(١).

وبناءً على ما سبق نجد أنّ المسند (هَواء) قد أسند إلى (الهاء) في (إنَّه لَهَواءٌ)؛ و(القَلْب) في (قَلْبُه هَواءٌ)؛ و(الأفئدة) في قوله تعالى: ﴿ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴾ [إبراهيم:٤٣] ، و(أنْتَ) في قول حسان: (أنْتَ مُجَوَّف نَخِبٌ هَواءُ) على التوالي، وأنّ هذا الإسناد لا يحدث على المستوى اللّغويّ العاديّ؛ لأنّ كلمة مثل (الإنسان) يمكن أن تترافق مع مسند مثل: شُجَاع، جَبَان، صادِق، كَاذِب، وغيرها. وأنّ كلمة مثل: (قَلْب) يمكن أن تترافق مع مسند مثل: عَاشِق، حَاقِد، مُحِبّ، عَفِيف، وغيرها. غير أن الإسناد هنا يعدّ انزياحاً عن المألوف. فلمّا كان الإنسان الجَبَان خَالِي القَلْب عن الجرأة كان بمثابة الهَواء في الخَلاءِ، ولمّا كانَتْ الأفئدة خَالِيةً لا تَعِي شيئاً كانَتْ بمَنْزِلة الهَواءِ الذي سمّى هَواء لِخُلُوّه(٢).

٢ــ علاقة الاستعارة المكنيّة:

لقد وقفتُ على هذا النوع من علاقة الاستعارة في ما أورده الخليل من ألفاظ في كتابه العين على لسان أصحاب اللّغة من العرب، إذ أورد جملة من الألفاظ انتقلت دلالاتها من المجال

---

(١) أساس البلاغة ١٠٧٠.

(٢) ينظر: مقاييس اللّغة ١٥/٦.

المحسوس إلى المجال المجرّد، وكان التصاحب بين المسند والمسند إليه في العلاقة الأفقيّة الإسناديّة الاسميّة يمثّل شكلاً من أشكال اللاتجانس الدّلاليّ، من ذلك ما أورده حول لفظة (السُّخْد) التي رواها عن أهل اللّغة من العرب، فقال: "السُّخْدُ: ما فيه الوَلَد في المَشيمَة من المرأة وهو ماء السَّلَى... وأصبح فلانٌ مُسَخَّداً، أي: ثقيلاً، من مرض أو غيره، كأنّهم يُريدون من مَعْنى السُّخْد"[١]. قال ابن القطّاع (ت٥١٥هـ): "وأسْخَدَتِ الرَّحِمُ صَارَ فيها السُّخْد وهو الماءُ الذي فيه الوَلَدُ"[٢].

وهذا يعني أنّ أصل لفظة (السُّخْد) هو الماء الذي يحيط بالطفل في المشيمة، وهي دلالة محسوسة، إلاّ أنّها انتقلت من تلك الدّلالة إلى دلالة أخرى مجازية تجريديّة لتدلّ على خاثِر النفس ثقيل. قال ابن فارس: "ويُقال: أصبح فلانٌ مُسَخَّداً، إذا أصبح خاثِرَ النَّفْسِ ثَقيلاً. ويُقال: إنَّ السُّخْدَ الوَرَمُ"[٣].

وعليه فإنّنا نتوقع أن يصبح فلانٌ تَعِباً، مَريضاً، مُنْهكاً، خَوُوراً، إلى غير ذلك من الألفاظ التي تتصاحب معجمياً مع المسند إليه (فلان) أمّا أنّه مُسَخَّدٌ فلا؛ لأنّهما لا تترافقان معجمياً، إذ ابتعد أهل اللّغة من الناحية الدّلاليّة عن أداء الوظيفة المعجميّة للكلمتين، والذي سوّغ لهم ذلك أنّه لمّا يخرج الطِّفْل من بطن أمّه قد يشرب السُّخْد فيصبح خاثِر النفس ثقيلاً، عديم الحِرَاك لا يَرْضَع، ومِثْله الإنسان عندما يمرض أو يُجْهِد نفسه، يصبح خاثر النفس ثقيلاً؛ لأنّ المرض والتعب يتفشى في جسده، فلا يقوي على الوقوف أو على الأكل.

وقال الخليل في لفظة(الصَّدأ): "والصَّدأ مهموز، بِمَنْزِلَة الوَسَخ على السَّيْف، وتقول صَدِئَ يصدأ صَدَأً"[٤]. وقد أشار الزمخشري إلى هذا المعنى بقوله: "سَيْفٌ صَدِئ. ومِرآة صَدِئة، وقد ركبه

---

(١) العين ١٩٣/٤ (سخد).

(٢) الأفعال ٢٤٦.

(٣) مجمل اللّغة ٣٧١.

(٤) العين ١٤٢/٧(صدئ).

الصَّدأ. وقد صدِئ، وأصدأه طول العهد بالصَّقل"(١). وهذا يعني أنّ دلالة لفظة (الصَّدأ) في أصل وضعها اللّغويّ كانت تدلّ على الوسخ الذي يعلو السَّيْف نتيجة عمليّة التأكسد ، أي أنّ الدّلالة الأصليّة للّفظة قد استعملت في حقيقتها للمعنى المادّيّ المحسوس.

وقد اعترى هذه اللّفظة التغيّر الدّلاليّ عن طريق شبكة العلاقات المجازيّة، فنقلها إلى دلالة عقليّة مستحدثة وضّحها الخليل بقوله: "وتقول: إنّه لصاغِرٌ صَدِئٌ أي لزِمَه صَدَأُ العارِ واللوم"(٢). وهذا ما أكّده الزمخشري بقوله: "ومن المجاز: رَجَعَ فُلانٌ صَاغِراً صَدِئاً: لزِمَه صَدَأ العَارِ واللوم"(١). أي أنّ دلالة لفظة (الصَّدأ) المادّيّة التي تدلّ على الوسخ الذي يعلو السَّيْف نتيجة عمليّة التأكسد قد انتقلت إلى دلالة أخرى مجازيّة تجريديّة لتدلّ على السُمْعَة السَّيِّئة التي يجلبها العار للإنسان.

والناظر في ما رواه الخليل: (إنّه لصاغِرٌ صَدِئٌ) يجد أنّ أمر الترافق بين المسند إليه (الهاء) في (إنّه) والمسند (صَدِئ) غير ممكن من الناحية المنطقيّة. إذ كيف يصْدَأُ الإنسان؟ وهل أصبح دم الإنسان ولحمه معدناً يتأكسد؟ لكنّه لمّا كان الصَّدَأُ يعيبُ المعادن، ويضعفها، ويلحق الضّرر بها، جاز لنا عن طريق التّشابه ــ من باب الاستعارة المكنيّة ــ أن نطلق على الإنسان الذي لزمه العار واللوم قولنا: (إنّه لصاغِرٌ صَدِئٌ)؛ لأنّ مَنْ يلزمه العار واللوم يذلّ ويضعف أمام الآخرين، ويُؤذى إيذاءً نفسياً شديداً.

ولا يغيب عن أذهاننا هنا أنّ القائل في قوله: (إنّه لصاغِرٌ صَدِئٌ) قد استعمل (إنّ) و (اللام المزحلقة) لإضفاء المزيد من التأكيد على المسند الذي أراده، ومعلوم لدينا أنّ (إنّ، ولام الابتداء)

---

(١) أساس البلاغة ٥٢٢.

(٢) العين ١٤٢/٧(صدئ).

ممّا يفيد التوكيد، إلاّ أنّ اللام زُحلقت في باب (إنّ) عن صدر الجملة كراهية ابتداء الكلام بمؤكدين(١).

ونقرأ في معنى لفظة (اللّفْظ) التي رواها الخليل عن أصحاب اللّغة من العرب، فقال:"اللّفْظ: أنْ تَرمِي بشيءٍ كان في فيك، والفعلُ لَفَظَ يَلْفِظُ لَفْظاً... والدُّنيا لافِظَةٌ تَرمي بِمَن فيها إلى الآخِرة"(٢). وقال الراغب في دلالة اللّفظة نفسها: "اللّفْظُ بالكلامِ مُسْتَعارٌ مِنْ: لَفْظِ الشيء من الفَمِ، ولَفْظِ الرَّحَى الدَقِيقَ، ومنه سُمِّيَ الدِّيكُ اللافِظَةِ؛ لِطَرْحِهِ بعضَ مَا يَلْتَقِطُهُ لِلدَّجَاجِ"(٣). قال الله تعالى: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[ق:١٨]. وقال الزمخشري: "ومن المجاز... الدُّنيا لافِظَةٌ بالناس إلى الآخرة"(٤).

نلاحظ ــ ممّا ذكره الخليل ــ أنّ دلالة لفظة (اللّفْظ) كانت تعني لفظ الشيء من الفم وهو المعنى الحقيقي للّفظة. ثمّ انتقلت هذه الدّلالة إلى معنى مجازي لتدلّ على رمي الناس مِن الدّنيا إلى الآخِرة. إلاّ أنّ نوعاً من اللاتجانس بين المسند إليه (الدّنيا) والمسند (لافظة) في جملة: (الدُّنيا لافِظَةٌ)، جعل أمر الترافق غير مقبول من الناحية المعجميّة، إذ كيف تلفظ الدُّنيا الناس من غير فم؟ ونحن نعلم أنّ الفم من مستلزمات الإنسان والحيوان، ولا يكون اللّفظ إلاّ به. ولكن لمّا كان قذف الشيء من فم الإنسان يُطلق عليه لفظاً، جاز لنا عن طريق التّشابه ــ من باب الاستعارة المكنيّة ــ أن نطلق على ما ترمي به الدّنيا لفظاً، والرابط في ذلك قَذْف الشيء من الداخل إلى الخارج.

وقال الخليل في لفظة (النَّظْم) التي رواها عن أهل اللّغة من العرب: "النَّظْم نَظْمُك خَرَزاً بَعْضَهُ إلى بعض في نِظامٍ واحد...والنِّظام: كُلُّ خَيْطٍ يُنْظَمُ به لُؤلُؤٌ أو غيره فهو نِظام، والجميع

---

(١) ينظر: مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب ١/٥٥ ، ٣٠٠.

(٢) العين ٨/١٦١ (لفظ).

(٣) المفردات ٧٤٣- ٧٤٤.

(٤) أساس البلاغة ٨٦١.

نُظُم، وفِعْلُكَ النَّظْم والتَّنظيم"(١). وقال الفيروزأبادي في الدّلالة نفسها: "ونَظَمَ اللُّؤْلُؤَ يَنْظمُه نَظْماً ونِظَاماً ونَظَّمَه أَلَّفه وجَمَعَه في سِلْكٍ فانْتَظَمَ وتَنَظَّمَ...والنِّظَامُ كُلُّ خَيْطٍ يُنْظَمُ به لُؤْلُؤٌ ونحوه"(٢). هذا يعني أنّ أصل لفظة (النِّظَام) هو الخيط الذي يُنْظَمُ به اللُّؤْلُؤُ أو غيره، ثمّ انتقلت دلالة تلك اللّفظة عن طريق شبكة العلاقات المجازيّة إلى دلالة أخرى لتدلّ على استقامة طريقة الإنسان في حياته. قال الخليل على لسان أهل اللّغة: "ليس لأمره نِظَامٌ، أي لا تستقيم طريقته"(١). وهذا ما أكده الزمخشري بقوله: "ومن المجاز... ليس لأمرِه نِظَامٌ إذا لم تستقم طريقته، وتقول: هذه أمورٌ عِظَامٌ لو كان لها نِظَامٌ"(٣).

فإذا أنعمنا النظر في عبارة: (ليس لأمره نظام) فإنّنا نجد الفعل الناقص (ليس) قد خرق أسلوب الإسناد الاسمي، وأفاد نفي نسبة المسند إلى المسند إليه، أمّا أمر الترافق بين كلمة (نظام) وكلمة (أمر) فهو غير مقبول من الناحية المعجميّة، إذ كيف يكون لأمر الإنسان خيط يرشده ويهديه؟ ولو وضع إنسان خيطاً لأمور حياته، لقيل عنه: إنّه مجنون. ولكن ما الذي سوّغ لنا هذا التصاحب؟ إنّه المجاز الذي علاقته التّشابه ــ من باب الاستعارة المكنيّة ــ إذ إنّ الإنسان الذي يختَطُّ لحياته طريقة واحدة ذات نمط ثابت مستقيم، كانت له بمثابة النِّظام(الخيط) للخَرَز الذي يُنْظَمُ بَعْضُهُ إلى بعض من خلاله.

٣ــ علاقة الكناية عن صفة:

عندما وقفتُ على ما أورده الخليل من ألفاظ في كتابه العين على لسان أهل اللّغة من العرب، وجدتُ نوعاً من علاقة الكناية (كناية عن صفة) قد انتقلت فيه دلالة الألفاظ من المجال

(١) العين ٨/١٦٥ــ١٦٦(نظم).

(٢) القاموس المحيط ٤/١٨١.

(٣) أساس البلاغة ٩٧٠.

المحسوس إلى المجال المجرّد، وكان التصاحب اللّغوي بين المسند والمسند إليه في العلاقة الأفقيّة الإسناديّة الاسميّة يمثّل شكلاً من أشكال اللاتجانس الدّلاليّ، من ذلك ما رواه الخليل عن أصحاب اللّغة من معان للفظة (الرِّقَّة)، فقال: "والرِّقَّة: مصدَر الرَّقيقِ في كلّ شَيْءٍ"[1]. قال الراغب: "الرِّقَّة: كالدِّقَّة، لكن الدِّقَّةُ تقال اعتباراً بمُرَاعَاةِ جَوانِبه، والرِّقَّة اعتباراً بعُمْقه. فمتى كانت الرِّقَّة في جسم تُضادُّها الصَّفَاقَةُ، نحوُ: ثوبٍ رَقيقٍ وصَفيقٍ، ومتى كانت في نَفْسٍ تُضَادُّهَا الجَفْوَةُ والقَسْوَةُ، يُقال: فُلانٌ رَقيقُ القَلْبِ، وقَاسِي القَلْبِ"[2].

وهذا يدلّ على أنّ أصل لفظة (الرِّقَّة) استعمل في حقيقته للمعنى المادّيّ المحسوس الذي يدلّ على أقلّ ما يكون من سُمْك الشَيْءِ وثَخَانته، كأن نقول: (الثَوْبُ رَقيقٌ). ثمّ انتقلت دلالة هذه اللّفظة عن طريق شبكة العلاقات المجازيّة إلى معنى عقليّ مجرّد مستحدث وضّحه الخليل على لسان أهل اللّغة بقوله: " يُقال: فلانٌ رَقيقٌ في الدِّين "[1]، وأكّده الزمخشري بقوله: "ومن المجاز ... هو رَقيقُ الدِّينِ ورَقيقُ الحَالِ"[3]. الدّال على الضَّعْف في الدِّين والحَال.

والناظر إلى ذلك يجد أنّ أمر الترافق بين قولنا: (فلانٌ) وكلمة (رَقيق) ممكن من الناحية المعجميّة، ولكنّ الذي جعله غير مقبول من الناحية المنطقيّة هو الجار والمجرور اللذان اتخذا دوراً دلالياً فاعلاً. إذ كيف يكون الدِّين رَقيقاً وهو أمر معنويّ؟ ولكن لمّا كانت الرِّقَّة تدلّ على أقلّ ما يكون من السُمْك والثَّخَانة للشّيْءِ، الذي يُؤَدّي بدوره إلى ضعف ذلك الشَّيءِ ووَهَنِه، وسهولة ثنيه وطيّه، جاز لنا عن طريق التّشابه – من باب شبكة العلاقات الكنائيّة – أن نطلق على مَنْ ضَعُفَ دينُه قولنا: (فلانٌ رَقيقٌ في الدِّين)؛ لأنّ ضعيف الدِّين لا يملك القدرة على الثَّبات على دينه، وأنّه بمجرّد أن يتعرّض إلى مؤثر خارجي ولو كان بسيطاً؛ فإنّه ينثني عنه إلى دين آخر، وكأنّ شيئاً لم

---

(١) العين ٥/٢٤ (رق).

(٢) المفردات ٣٦١.

(٣) أساس البلاغة ٣٦٣.

يكن. أي أنّ سبب انتقال دلالة هذا النمط إلى الدّلالة الجديدة كان التّشابه في سـهولة الثنـي بـين ضعيف الدِّين والشّيء الرّقيق الصّفيق.

وقد يخرق العلاقة الإسناديّة الاسميّة الأفقيّة فعل من الأفعال الناقصة (غير تامة الفعليّة) كـ (كان وأخواتها)، أو أداة من أدوات التوكيد كـ (إنّ وأخواتها)، يقول الخليل في لفظة (الظُّفْر) التي رواها عن أهل اللّغة من العرب: "جماعة الأظْفَار أظَافِير، لأنّ الأظفَار بوَزْن الأعْصَار، وتقـول: أظَافِير وأعَاصِير"(١). قال الراغب: "الظُّفْرُ يُقالُ في الإنسانِ وفي غَيره، قال تعـالى: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ﴾ [الأنعام:١٤٦] ، أي: ذي مخلب"(٢). وهكـذا نـرى أنّ دلالة لفظة (الظُّفْر) في أصل وضعها اللّغويّ تدلّ على ظُفُر الإنسان ومِخْلب الحيوان والطير.

وتتبع الخليل دلالة هذه اللّفظة عند أهل اللّغة من العرب، فقال: "ويُقـال للرّجـل القليـل الأذَى: إنَّه لمَقْلوم الظُّفْر. ويُقال للرّجل المَهين الضَّعيف: إنَّه لَكَليل الظفر أي لا يُنْكي عَدُوّاً"(١). وقد استدلّ على ذلك بقول طرفة بن العبد(٣):

... ... لَسْتَ بالفَاني ولا كَلِّ الظُّفُرْ

وقد أشار صاحب المفردات إلى هذا المعنى بقوله: "ويُعَبَّرُ عن السِّلاح به تـشبيهاً بظُفُـر الطائر، إذ هو له بمنزلة السِّلاح، ويُقال: فلانٌ كليلُ الظُّفُر"(٢).

---

(١) العين ١٥٧/٨ (ظفر).

(٢) المفردات ٥٣٥.

(٣) عجز بيت؛ وروايته في الديوان ٨٠ : لا كَبِيرٌ دَالِف مِنْ هَرَم أرْهَب اللّيل ولا كَلُّ الظُّفُرْ
ولم تخلّ الرّواية بموطن الشاهد ٨٠.

من خلال ذلك كلّه نلاحظ أنّ دلالة لفظة (الظّفر) قد انتقلت من معناها المادّيّ المحسوس الدّال على ظُفْر الإنسان، ومِخْلب الطير والحيوان، وهو المعنى الحقيقي للفظة إلى معنى مجازي مجرّد لتدلّ على القليل الأذى، والمَهين الضّعيف من الرِّجال.

أمّا أمر الترافق بين ضمير النّصب المتصل (الهاء) في (إنّه) وكلمة (مَقْلوم) في قولنا: (إنّه لَمَقْلوم الظُّفر) فهو غير مقبول من الناحية المعجميّة، إذ كيف يكون الإنسان مَقْلوماً؟ ولكنّ الذي سوّغ هذا التصاحب المضاف إليه (الظُّفر). إلاّ أنّ ما رواه الخليل عن العرب لم يكن على سبيل الحقيقة، وإنّما كان على سبيل المجاز ـ من باب شبكة العلاقات الكنائيّة ـ ليدلّ على القليل الأذى من الرجال ، إذ إنّ الطير أو الحيوان الذي تقلم أظافيره ـ وهي سلاحه ـ يقلّ أذاه ويضعف أمام فريسته ، وقد شُبِه به الإنسان الذي يستعمل الأذى سلاحاً له، فإذا حُطّمت شوكته كان كمقلُوم الأظَافير من الطير والحيوان.

وقال الخليل في لفظة (النّدَى) التي رواها عن أهل اللّغة: " النّدَى ما أصابَك من البَلَل"[١].
وقال الزمخشري: "ونَدِي المكانُ وتندَّى، ومكانٌ نَدٍ، وأرضٌ نديَّةٌ، وفيه نَدْوة ونَداوةٌ ونَدًى. ووقَعَ النّدى"[٢]. وهذا يعني أن أصل الاستعمال اللّغويّ للفظة (النّدَى) يدلّ على الرّطوبة أو ذرات الماء الخفيفة الموجودة على النّباتات في الصباح الباكر ، وهو المعنى الحقيقي للّفظة.

ويتابع الخليل تطوّر دلالة اللّفظة على لسان أهل اللّغة من العرب فيقول: "وإنّ يَدَه لَنَديَّةٌ بالمَعْرُوف"[١]. قال الراغب: "ويُعَبَّرُ عن السّخاء بالنَّدَى، فيقالُ: فُلانٌ أندَى كَفّاً من فُلانٍ، وهو يَتَندَّى على أصْحَابِه، أي: يَتَسَخَّى، وما نَديتُ بشيء من فُلانٍ، أي: ما نِلْتُ منه نَدًى"[٣]. ممّا يعني أنّ دلالة لفظة (النّدى) قد انتقلت من معناها المادّيّ المحسوس الذي يدلّ على ذرات الماء الخفيفة التي تحطّ

---

(١) العين ٧٧/٨ (ندى).

(٢) أساس البلاغة ٩٤٦.

(٣) المفردات ٧٩٧.

على أوراق الأشجار والنباتات في الصباح الباكر إلى دلالة أخرى تجريديّة مستحدثة لتدلّ على السخاء.

والناظر إلى قول الخليل الذي رواه عن أصحاب اللّغة: (إنّ يَدَه لَنَديَّة) يجده قد ابتعد من الناحية الدّلاليّة عن أداء الوظيفة المعجميّة لترافق المسند والمسند إليه، إذ نتوقع أنّ اليد مِعْطاءَة، مَبْسُوطة، مَقْبُوضة، مَشْدُودة، إلى غير ذلك من الألفاظ التي تترافق معجمياً معها، إلاّ أنّ الخليل أورد ما يخالف كلّ التوقعات من استعمال لغويّ، فقال: (إنّ يَدَه لنديّة) وبهذا اتجه أصحاب اللّغة إلى المجاز اللّغويّ الذي علاقته التّشابه للتوسّع الدّلاليّ. فلمّا كان النّدى يُعطي أوراق النّباتات الطّراوة واللّيونة لمواجهة يومها ذي الحرارة الشديدة، جاز لنا عن طريق التّشابه ــ من باب شبكة العلاقات الكنائيّة ــ أن نطلق على يد من يعطي الناس الخير لسدّ ما يحتاجون إليه في معيشتهم اليوميّة قولنا: (إنّ يَدَه لنَديَّه). قال الفيروزأبادي: "وتَنَدَّى تَسَخَّى وأَفْضَلَ كَأَنْدَى فهو نَدِيُّ الكَفِّ والنَّدى الثَّرى والشَّحْمُ والمَطَرُ والبَلَلُ والكَلأُ وشيءٌ يُتَطَيَّبُ به كالبَخور والمَدَى"(١).

وعندما روى الخليل لفظة (الوَسْم) عن العرب أصحاب اللّغة قال: "الوَسْمُ: أثَرُ كيٍّ. وبعيرٌ مَوْسُومٌ: وُسِمَ بسمةٍ يُعْرَف بها، مِنْ قَطْعِ أُذنٍ أو كيٍّ"(٢). قال الراغب: "الوَسْمُ: التـأثيرُ، والسِّمَة: الأثرُ. يقالُ وَسَمْتُ الشيءَ وسماً: إذا أثَّرْتَ فيه بِسِمَةٍ"(٣). قال الله تعالى: ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾ [الفتح:٢٩]، وهذا يدلّ على أنّ أصل لفظة (الوَسْم) استعمل في حقيقته للمعنى المادّيّ المحسوس.

---

(١) القاموس المحيط ٣٩٤/٤.

(٢) العين ٣٢١/٧ (وسم).

(٣) المفردات ٨٧١ .

وتابع الخليل انتقال دلالة اللّفظة لما رواه عن العرب، فقال: "وفُلانٌ مَوْسُوم بالخير والشَّرّ، أي: عليه علامته"(١). ممّا يدلّ على أنّ دلالة لفظة (الوَسْم) قد انتقلت عن طريق التّشابه ـ من باب شبكة العلاقات الكنائيّة ـ من معناها الحسّيّ في أصل الاستعمال الدّال على القَطْع أو الكيّ إلى دلالة معنويّة لتدلّ على علامة الخير أو الشَّرّ في الإنسان .قال الزمخشري: " ومن المجاز... هو مَوْسُوم بالخير والشَّرّ ومُتَّسِمٌ به"(٢). فالوَسْم ـ إذن ـ ممّا يتعلّق بالإبل والخَيل والغَنَم، وغيرها، ممّا كان يُرْخَى لها العِنان في المراعي فَتُوسَم بِوَسْمٍ تُعْرَف به.

وعليه فإنّ أمر التّرافق بين المسند (مَوْسُومٌ) والمسند إليه (فُلانٌ) في قولنا: (فلان موسوم بالخير) قد يكون مقبولاً من النّاحية المعجميّة ، لكنّ الجار والمجرور (بالخير) اعترضا الجانب اللّغويّ، ممّا أضفى على التركيب الأسلوبي نوعاً من عدم القبول معجميّاً، إذ كيف يُوْسَم الإنسان بشيء معنويّ؟ ولكن لمّا كانت أفْعَال الإنسان وأقْواله وسُلُوكيّاته دلائل وعلامات من علامات الخير أو الشَّرّ، كانت بمنزلة الوَسْم للإبل لِتُعْرَف من غيرها. قال ابن القطاع: "وَوَسَمَ الإنسان وَسَامةً: جَمُلَ، وَوُسِمَ بِخَيرٍ أو شَرٍّ: كانت عليه سِمَتُه"(٣).

وثَمَّة أمثلة أخرى على هذا النّوع من العلاقة الأفقيّة الإسناديّة الاسميّة في تضاعيف كتاب العين يمكن الرّجوع إليها(٤) .

---

(١) العين ٣٢١/٧ (وسم).

(٢) أساس البلاغة ١٠٢٠.

(٣) الأفعال ٥٢٩.

(٤) ينظر: ملحق (١) في آخر الرسالة.

ثانياً: العلاقة الأفقيّة الإسناديّة الفعليّة

للجملة الفعليّة في العربيّة ركنان رئيسيان هما: الفعل والفاعل، أو الفعل ونائب الفاعل، وهما لا يخرجان عن طرفي الإسناد، إذ يسند الفعل إلى الفاعل أو نائب الفاعل، فيسمى الفعل مسنداً، والفاعل أو نائبه مسنداً إليه.

علاقات التّشابه في العلاقة الأفقيّة الإسناديّة الفعليّة:

هناك علاقتان من علاقات التّشابه في كتاب العين يتمّ عن طريقهما انتقال دلالة الألفاظ في العلاقة الأفقيّة الإسناديّة الفعليّة ، هما:

١ـ علاقة الاستعارة المكنيّة:

عندما استقرأتُ المادة اللّغوية في معجم العين، وجدتُ جملة من الألفاظ مثّلت علاقة الاستعارة المكنيّة التي تمّ انتقال مجال الدلالة فيها بصورتين، هما:

أ- انتقال الدلالة من المجال المحسوس إلى المجال المجرّد:

يمثّل هذا النوع من انتقال المعنى جملة من الألفاظ التي انتقلت دلالاتها من الدلالة الحسيّة إلى الدلالة المجرّدة عن طريق علاقة الاستعارة المكنيّة في كتاب (العين)، وكان التصاحب بين المسند والمسند إليه في العلاقة الأفقيّة الإسناديّة الفعليّة غير متجانس . فممّا ورد ذكره من تلك الألفاظ لفظة (الأسَد)، قال الخليل: "الأسَدُ: مَعْرُوفٌ، وجَمْعُه: أُسْدٌ وأسَاوِدُ "[١]. قال الجاحظ: " والأسد سَيِّد السِّباع"[٢]. وقال ابن منظور: "الأسَدُ: من السِبَاع معروف، والجمع آسَادٌ وآسُدٌ ، مثل أجبال وأجبل، وأسُودٌ وأُسُدٌ، مقصور مثقل، وأسْدٌ مخفف، وأُسْدانٌ، والأنثى أسَدَةٌ، أسَدٌ آسِدٌ على

(١) العين ٧/٢٨٦ (أسد).

(٢) الحيوان ١/٢٢٨.

المبالغة، كما قالوا عَرادٌ عَرِدٌ؛ عن ابن الأعرابي. وأَسَدٌ بَيِّن الأَسَد نادرٌ كقولهم حِقَّةٌ بيِّن الحِقَّة"[١]. وهذا يعني أنّ المعنى الحقيقي للفظة (الأسد) في أصل الاستعمال اللّغويّ لها كانت تعني ذلك الحيوان المفترس الضاري من رتبة آكلات اللحوم من طائفة الثدييات. ثمّ انتقلت دلالة هذه اللّفظة إلى معنى مجازي عن طريق التّشابه لتدلّ على الطول والذهاب كلّ مذهب، قال الخليل: "واسْتَأْسَدَ النَّبَاتُ: طَالَ، وذَهَبَ كُلَّ مَذْهَب"[٢]. وممّا جمعه الثّعالبي مِنْ أقاويل الليث والنَّضْر وغيرهما في أحوال الزَّرْع قوله: "الزَّرْع ما دَام في البذْر فهو الحَبُّ. فإذا انشقَّ الحَبُّ عن الورَقَة فهوَ الفرْخُ والشَّطْءُ. فإذا طلع رَأسُهُ فهو الحقل. فإذا صار أَرْبَع وَرَقات أو خَمْساً قيلَ كوَّتَ تكويتاً. فإذا طالَ وَغلظَ قيل استَأْسَدَ ..."[٣]. وذكر الزمخشري أنّ "من المجاز... استَأْسَدَ النَّبْتُ : طَالَ وجُنَّ وذَهَبَ كُلَّ مَذْهَب"[٤].

وعليه فإنّ الفعل (استَأْسَد) قد أُسند إلى كلمة (النّبات) في قولنا: (استَأْسَدَ النَّباتُ)، وهذا يحمل نوعاً من اللاتجانس اللّغويّ، إذ كيف يصير النّبات أسداً؟ فكلمة (استأسد) يمكن أن تتصاحب مع كلمة تدلّ على (حيوان) مثلاً، بالرغم من أنّه يمكن أن يكون بعيداً أيضاً؛ لكنّ علاقة التّشابه هي التي سوّغت مثل هذا الإسناد، فعندما يطول النّبات ويرتفع عن الأَرْض متفرعاً في السماء يصبح قاسياً قويّاً، عندها لا يسمح للنباتات الأخرى أن تسيطر عليه، وربما أعاق حركة الكثير من الحيوانات، وهو بمثابة الأسد يصول ويجول في الغاب دون رادع له. لذلك "سُمِّي الأَسَدُ أَسَدَاً لِقُوّتِه، ومنه اشتقاقُ كلِّ ما أَشْبَهه، يقال استأسَدَ النَّبْتُ: قَوِيَ"[٥]. قال الحطيئة[٦] :

---

(١) لسان العرب ٧٢/٣.

(٢) العين ٢٨٦/٧ (أسد).

(٣) فقه اللّغة وأسرار العربيّة ١٩٥.

(٤) أساس البلاغة ١٢.

(٥) مقاييس اللّغة ٢٠٦/١.

(٦) ديوانه ١٩.

بِمُسْتَأْسِدِ القُرْيَــانِ حُوٌّ نَبَاتُهُ

فَنُوَّارُهُ مِيلٌ إلى الشَّمسِ زَاهِرُه

وقال الخليل في لفظة (السُكْر) التي رواها عن أصحاب اللّغة من العرب: "السُّكْرُ نَقِيضُ الصَّحْوِ، والسُكْرُ ثَلاثَة: سُكْرُ الشَّرابِ، وسُكْرُ المَالِ، وسُكْرُ السُّلْطَان"[١]. قال البَطلْيوسي: "ويقال: سَكِرَ مِنَ الشَّرابِ سُكْراً بالفتحِ وسُكْراً بالضمّ وسَكَراً بفتحِ السين والكاف"[٢]. فالسُّكْرُ إذن "حَالَةٌ تَعْرِضُ بَيْنَ المَرْءِ وعَقْلِهِ، وأَكْثَرُ ما يُسْتَعْمَلُ ذلك في الشَّرابِ، وقد يعتَرِي من الغَضَبِ والعِشْقِ"[٣]. ممّا يعني أنّ أصل استعمال لفظة (السُكر) يدلّ على غيبوبة العقل واختلاطه من الشّراب المُسْكِر، وهو المعنى الحقيقي لها ، ثمّ انتقلت دلالتها عن طريق شبكة العلاقات المجازيّة لتدل على سكون الريح. قال الخليل: "وَسَكَرَتِ الرِّيحُ تَسْكُرُ، أي: سَكَنَتْ"[١]. وقد استدلّ على ذلك بقول أوس بن حجر[٤]:

تُزادُ لَيالــيَّ في طُولِــها

فليسَتْ بطَلْقٍ ولا سَاكِرهْ

وقال الزمخشري: "ومن المجاز... سَكَرَتِ الرِّيحُ وَسَكِرَتْ: سَكَنَتْ، وَرِيحٌ سَاكِرَةٌ، ولَيْلَــةٌ سَــاكِرَةٌ، سَاكِنَةُ الرِّيحِ"[٥].

وعليه فانّ أمر الترافق بين الفعل (سَكَر) والفاعل (الرِّيح) يحمل نوعاً من اللاملاءمة، لأنّ الفعل في هذا التركيب الإسناديّ فعل ماديّ محسوس، وهو ممّا يرتبط إسناديّاً بالإنسان، فنقول مثلاً: سَكِرَ الرَّجُلُ، فُلانٌ، السَّائِقُ، العَامِلُ، وغيرها، ولكنّه جاء بمصاحب بعيد كلّ البعد عنه، ولا يمكــن

---

(١) العين ٣٠٩/٥ (سكر).

(٢) المثلث ٤١٣.

(٣) المفردات ٤١٦.

(٤) ديوانه ٣٤.

(٥) أساس البلاغة ٤٥٠.

أن يكون السُكْر من خصائصه أو متعلّقاته، فقال: (سَكَرَتِ الرِّيحُ)، ممّا أضفى على النسق التركيبي نوعاً من عدم القبول الذي يخالف قواعد لغة الخطاب العاديّ، فالرّيح لا تَسْكَر حقيقة، لأنّها لا عقل لها، ولكن لمّا كان السُكْر يُذْهِب عَقْل شَارِبِه ويُسْكِتُه عن بعض سُلوكيّاته العنيفة المشينة التي اعتاد عليها، جاز لنا عن طريق التّشابه ــ من باب الاستعارة المكنيّة ــ أن نطلق على سُكُونِ الرِّيحِ وهدوئها وسُكُوتها قولنا: (سَكَرَتِ الرِّيحُ)؛ لأنّ الرِّيح عندما تَسْكُن يَسْكُن معها الكَثِير من الأشياء في الطبيعة وعندما تَثُورُ يَثُورُ معها مُعْظَمُ الأشياءِ، وتكون رمزاً للخراب والدّمار، "وهيَ فيما قيلَ الهَواءُ المُتَحَرِّكُ. وعَامَّةُ المَوَاضِعِ التي ذَكَرَ اللهُ فيها إرْسالَ الرِّيحِ بِلَفْظِ الواحِدِ فعِبَارَةٌ عَنِ العَذابِ، وكُلُّ مَوْضِعٍ ذُكِرَ فيهِ بِلَفْظِ الجمعِ فعِبارَةٌ عَنِ الرَّحْمَةِ، فَمِنَ الرِّيحِ: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا ﴾ [القمر:١٩] ... وقال في الجمع: ﴿ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ ﴾ [الحجر:٢٢] ... وأمّا قولُهُ: ﴿ يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا ﴾(٠) [الروم:٤٨] ، فالأظْهَرُ فيه الرَّحْمَةُ، وقُرِئَ بِلَفْظِ الجمعِ، وهو أَصَحُّ"(١).

ومن ذلك أيضاً لفظة (الصَّدْع) التي رواها الخليل عن أصحاب اللّغة ، فقال: "الصَّدْع: شَقٌّ في شيء له صَلابة"(٢). وقال الراغب: "الصَّدْعُ: الشَقُّ في الأجْسَام الصُّلْبَة كالزُّجاجِ والحَديدِ ونحوِهما. يُقال صَدَعْتُهُ فَانْصَدَعَ، وصدَّعْتُهُ فتَصَدَّعَ"(٣). قال الله تعالى: ﴿ يَوۡمَئِذٖ يَصَّدَّعُونَ ﴾ [الروم:٤٣]، وهذا يعني أنّ دلالة لفظة (الصَّدْع) في أصل وضعها كانت تدلّ على الشّقِّ في الأشياء الصُّلْبَة. قال الثّعالبي(ت٤٣٠هـ): "الصَّدْع في الزُّجاج. الشَّقُّ في الثَّوْب"(٤).

---

(١) المفردات ٣٧٠.

(٠) "الرِّيح": قراءة ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وخلف؛ و"الرِّياح": قرأ بها نافع، وأبو جعفر الميداني، وأبو عمرو البصري، وابن عامر الشّامي، وعاصم الكوفي، ويعقوب البصري. إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر ٣٤٨.

(٢) العين ١/٢٩١ (صدع).

(٣) المفردات ٤٧٨.

(٤) فقه اللّغة وأسرار العربيّة ١٥١.

وتتبع الخليل دلالة هذه اللّفظة عند العرب، فقال: "والرَّجُل يَصْدَعُ بالحقّ: يتكلمُ به جهاراً"[1]. وقد استدلّ على ذلك بقول أبي ذؤيب[2]:

فكَأنَّهُنَّ رِبَابَةٌ وكأنَّهُ

يَسَرٌ يُفيضُ على القِداحِ ويَصْدَعُ

وهذا يدلّ على أنّ دلالة اللّفظة قد انتقلت من معناها الماديّ المحسوس إلى دلالة جديدة لتدلّ على التكلُّم بالحق علانية. قال الزمخشري: "ومن المجاز ... صَدَعَ بالحق: جَهَر به وصَرَّح مفرقاً بينه وبين البَاطِل"[3].

وإذا أنعمنا النظر في ما رواه الخليل: (والرّجل يَصْدَع بالحقّ) نجد أنّ أمر الترافق بين الضمير المستتر(هو) العائد على الرّجل ولفظة (يَصْدَع) وارد من الناحية المعجميّة، إلاّ أنّ الذي جعله غير ممكن من الناحية المنطقيّة هو الجار والمجرور (بالحقّ)، إذ كيف يَصْدَع الرّجل بالحقّ؟! فالحقّ لا يُصْدَع؛ لأنّه شيء معنويّ. ولكن كون الشيء الصّلب يُشَقُّ وتُفْصَل أجزاؤه بأداة معينة، جاز لنا عن طريق التّشابه ـــ من باب الاستعارة المكنيّة ـــ أن نطلق على من يتكلّم بالحقّ علانية قولنا:(صَدَع بالحقّ)؛ لأنّه عندما يقول الحقّ علانية فإنّه يفصل بين الحَقّ والبَاطِل ويفرّق بينهما. قال الله تعالى: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ ﴾ [الحجر:٩٤].

ومن تلك الألفاظ كذلك ما ذكره الخليل حول لفظة (الطَّعْن)على لسان أصحاب اللّغة من العرب، فقال: "وطَعَنَهُ بالرُّمْح يطعُنُ بضمة العين طَعْناً"[4]، هذا يعني أنّ أصل استعمال لفظة (الطَّعْن) يدلّ على الضَّرب بالرُّمْح. قال الرَّاغب: "الطَّعْنُ: الضَّرْب بالرُّمْح وبالقَرْن ومَا يَجْري

(١) العين ٢٩١/١ (صدع).

(٢) ديوان الهُذليين ٦/١، وروايته: "وكأنَّهنّ " في موضع "فكأنّهنّ "، ولم تخلّ الرّواية بموطن الشّاهد.

(٣) أساس البلاغة ٥٢٤.

(٤) العين ١٥/٢ (طعن).

مَجْرَاهما"(١). وفي متخيّر الألفاظ يقول ابن فارس: "والإشعَارُ: أَنْ تُطْعَنَ البَدَنَةُ (*) في سَنَامِهَا حَتَّى يَسيْلَ دَمَاً . وطَعَنَهُ فَاخْتَلَّهُ بالرُمْحِ . وَطَعَنَهُ فَجَوَّرَهُ وكَوَّرَهُ، أي صرَعَهُ. وطَعَنَهُ فَسَلَقَهُ، أي أَلقَاهُ على ظَهْرِهِ"(٢).

وتتبع الخليل التطوّر الدّلاليّ لهذه اللّفظة عند أصحاب اللّغة من العرب، فقال: "والإنسان يَطْعُن في مفازة ونحوها، أي: مَضَى وأمْعَن... وفي الليل إذا سَار فيه"(٣). وقال ابن فارس في دلالة اللّفظة نفسها: "الطّاء والعين والنّون أصل صحيحٌ مطّرد، وهو النَّخْس في الشّيء بما ينفذه، ثم يُحْمَل عليه ويُستَعار. من ذلك الطَّعْن بالرُمْح... وَطَعَن في المَفَازة: ذَهَبَ"(٤). وتتبع الراغب تطوّر دلالة هذه اللّفظة عندما ذكر أنّها استعيرت للوقيعَة(١). قال الله تعالى: ﴿ وَطَعْنًا فِي ٱلدِّينِ ﴾ [النساء:٤٦]، وقال تعالى: ﴿ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ ﴾ [التوبة:١٢].

وخلاصة ذلك أنّ لفظة الطَّعَن قد انتقلت دلالتها عن طريق التّشابه من معناها المادّيّ المحسوس في أصل اللّغة إلى دلالة معنويّة مجرّدة؛ لتدلّ على الذّهاب والسّير والوَقيعَة.

أمّا أمر الترافق بين الضمير(هو) العائد على (الإنسان) وقولنا: (يَطْعُن) في عبارة: (الإنسانُ يَطْعُن في مَفَازة) فهو وارد من الناحية المعجميّة، أي أنّنا أسندنا إلى الإنسان الطَّعْن، ولكنّ الذي جعله غير متجانس من الناحية العقليّة هو الجار والمجرور (في مفازة)، إذ كيف يَحْمِل الإنسانُ رُمْحاً ويَطْعَن في مَفَازة؟ ولو فعل ذلك دون سبب لقيل عنه مجنون؛ لأنّ مجال الطِّعَان في المَعَارك، والمُشاجَرات، والصّيد، وغيرها. فتعبير مثل: (الإنسانُ يَطْعَن) يمكن أن تترافق مع جار ومجرور مثل: في الصَّدْر، في البَطْن، في الظَّهْر، وغيرها.

---

(١) المفردات ٥٢٠.

(*) البدنة: ناقة أو بقرة تنحر بمكة، سمّيت بذلك لأنهم كانوا يُسمّنونها، والجمع بُدْنٌ وبُدُنٌ. لسان العرب١٣/٤٨.

(٢) متخيّر الألفاظ ١٩٣.

(٣) العين ٢/١٥ (طعن).

(٤) مقاييس اللّغة ٣/٤١٢.

وسؤالُنا هو: ما الذي سوّغ لنا هذا التصاحب؟ إنَّه المجاز الذي علاقته التّشابه ــ من بــاب الاستعارة المكنيّة ــ إذ إنّ المُضيّ والذَّهاب في المَفَازة يُبْعِد الشَّخْص عن الأنْظَار مُتَحمِّلا تَبِعَاتــه، مُحَطِّماً المَصَاعِب والمَتَاعِب التي تُواجِهه في سبيل الوُصُول إلى غَايَته، كذلك الذي يَسِير في الليل، كان كَمَنْ يَطْعَن بالرُّمْح مُتَحَمِّلاً تَبِعَات هذا الطَّعْن للوصول إلى هَدَفِه، زيادة على ذلك أنّ جزءاً من الرُّمْح يَخْتَفي داخل الجِّسْم

ويقول الخليل في لفظة (العُطَاس) التي رواها عن العرب: "المَعْطِسُ: الأَنْفُ مَنْ يَعْطُــسُ، والمَعْطِسُ مَنْ يَعْطِسُ... يقالُ عَطَسَ يَعْطُسُ عُطَاساً وعَطِسَ يَعْطُسُ عَطَساً. ويقــالُ: كــان سَــبَبُ عَطْسَة آدم عليه السلام أنّ الروح جَرَى في جَسَدِه، فَتَنَفَّسَ فَخَرَج مِنْ خَياشِيمه فَــصَارَتْ عَطْــسَة، فقال: الْحَمْدُ لله إلهاماً من الله، فقال له ربُّه: يَرْحَمُكَ الله، فَسَبَقَتْ رَحْمَتُه غَــضَبَه، فــصَارَت سُــنَّة التَّسْمِيت للعَاطِس"[١]. قال ابن فارس: "العُطَاسُ معرُوفٌ، عَطَسَ يَعْطِسُ ويَعْطُسُ، والأَجْوَدُ يَعْطِــسُ "[٢]. وهذا يعني أنّ أصل الاستعمال للفظة (العُطَاس) هو اندفاع الهواء من الأنف بعنف لعارض ما، وهو المعنى الحقيقي لها في أصل الوضع اللّغويّ، ثمّ انتقلت دلالتها عن طريق شــبكة العلاقــات المجازيّة ــ من باب الاستعارة المكنيّة ــ لتدلّ على انفِلاقِ الصُّبْحِ وانْبِلاجِه. قال الخليل: "وَعَطَسَ الصُّبْحُ: انْفَلَقَ، ولذلك سُمِّيَ الصُّبْحُ عُطَاساً"[١]. وقد استدلّ على ذلك بقول امرئ القيس[٣]:

وقَد أَغْتَدي قَبْلَ العُطَاسِ بِسَابِحٍ

أَقَبٌّ كَيَعْفُورِ الفَــلاةِ مُحَنَّــبِ

---

(١) العين ١/٣١٩ (عطس).

(٢) مجمل اللّغة ٥٢٦.

(٣) ديوان امرئ القيس ٧٥، وروايته : وقد أغتدي والطَّيْرُ في وُكُنَاتِها وماءُ النَّدى يَجْري على كلِّ مِذْنَبِ
وقد أخلّت الرّواية بموطن الشّاهد.

وقد أكّد ابن فارس ذلك بقوله: "العين والطاء والسين كلمةٌ واحدةٌ ثمّ تستعار، وهي العُطَاس، يقال: عَطَسَ يَعْطِسُ . ويُقالُ للأنفِ مَعْطَسٌ، بالكسر والفتح في الطاء، ويستعار ذلك فيقال: عَطَسَ الصُّبْحُ، إذا انفَلَقَ "(١).

يظهر لنا ممّا سبق أنّ إسناد الخليل الفعل (عَطَس) إلى كلمة (الصُّبْح) يحمل نوعاً من اللاتجانس، لأنّه ابتعد كثيراً عن المصاحبة المباشرة معجميّاً، إذ كيف يَعْطُسُ الصُّبْحُ ولا أنف له؟ ونحن نعرف بأن العُطَاس ممّا يتعلّق بالإنسان فقط ويترافق معه، فنقول على سبيل المثال لا الحصر: عَطَسَ الرَّجُلُ، الطِّفلُ، مُحَمّدٌ ، فُلانٌ، وغيرها. ولكن إسناده إلى (الصُّبْح) مثّل بعداً معجمياً غير مقبول في الخطاب اللّغويّ العادي، ولكن لمّا كان العُطَاسُ يزيل العَارِض من مجرى التنفّس ويفرّج عن الإنسان ما كان به، جاز لنا عن طريق التّشابه ــ من باب الاستعارة المكنيّة ــ أن نطلق على انْبِلاجِ الصُّبْح وانْفِلاقِه قولنا: (عَطَسَ الصُّبْحُ)؛ لأنّه يزيل ظلمة اللّيل، ويفرّج عن الكثير من المخلوقات بجعل حياتها سهلة يسرة لقضاء حوائجها.

وممّا ذكره الخليل كذلك عن العرب ما قيل في لفظة (النَّبات)، الواردة في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾ [نوح:١٧]. قال الخليل على لسان أهل اللّغة: "النَّبْتُ: الحشيش والنَّبَاتُ فِعْلُه، ويُجْرَى مُجْرَى اسمه. تقول: أنْبَتَ اللهُ النَّبات إنْبَاتاً ونَبَاتاً... والرجل يُنَبِّتُ الحَبَّ تَنبيتا، إذا غَرَسَه وزَرَعَه"(٢). وقال ابن فارس: "النون والباء والتاء أصلٌ واحدٌ يدلّ على نَمَاءٍ في مَزْرُوع ، ثمّ يُستَعار. فالنَّبت معروفٌ، يقال نَبَت. وأنْبَتَتِ الأرْض. ونَبَّتُّ الشَّجَرَ: غَرَسْتُه"(٣). وقال ابن القطاع في السياق ذاته: "ونَبَتَ البَقْلُ نَبَاتاً وأنْبَت، والأرض كذلك. ونَبَتَ الشّيءُ نَبَاتاً: خرج مِنَ

---

(١) مقاييس اللّغة ٣٥٤/٤- ٣٥٥.

(٢) العين ١٢٩/٨- ١٣٠ (نبت) .

(٣) مقاييس اللّغة ٣٧٨/٥.

الأرض"[١]. وهذا يعني أنّ أصل لفظة (الإنْبَات) غَرْس النّبات وزَرْعه. وهو المعنـــى الحقيقـــي للفظة في أصل الاستعمال .

ولم يقف الخليل عند هذا الحدّ من الدّلالة لما رواه عن هذه اللّفظة، بل تعدّاها عن طريق شبكة العلاقات المجازيّة إلى دلالة مستحدثة لتدلّ على الرعاية وحُسْن القِيَام على الشيء، فقال: "والرَّجُل يُنْبِت الجارِيةَ، أي يَغْذُوها ويُحْسِنُ القيام عليها رَجاءَ فَضْل رِبْحِها"[٢]. وهذا ما ذكره الزمخشري بقوله: "ومن المجاز... فلانٌ يُنَبِّت جاريتَه رَجاء الرِّبح فيها"[٣]. فالمسند (يُنَبِّت) صحيح الإسناد إلى المسند إليه الضمير(هو) العائد على الرجل في قولنا: (الرجل ينبت الجارية) ولكنّه لا يتصاحب بعد ذلك دلالياً إلا مع النّبات أو ما يتعلّق به، كأن نقول: الرجل ينبت النبات، أو الشجر، أو الزيتون، وغيرها، أمّا أن نقول: الرّجل يُنَبِّت الجاريَة، فإنّه بعيد كلّ البعد على المستوى اللّغويّ العاديّ، ولكنّه ممكن إذا كان انزياحاً عن القاعدة اللّغويّة، فكأنّ القائل يريد أن يقول: إنّ عمليّة تربية الجارية، وتَغْذِيَتها، وتَنْشِئَتها، وحُسْن القِيَام عليها رجاء الرِّبح فيها، تشابه عمليّة زَرْع، وغَرْس النّباتات، ورعايتها، وريّها، والمحافظة عليها رجاء الخير والعطاء منها ، سواء أكان الخير من خلال التمتع بمنظرها، أو جلب الغذاء من ثمرها.

وممّا رواه الخليل عن أصحاب اللّغة لفظة (النَّحْر)، فقال: "النَّحْر: ذَبْحُكَ البعيرَ بطَعْنه فـــي النَّحْر، حيثُ يبدو الحُلْقُوم من أعلى الصَّدْر، ونَحَرْتُه أنحَرُهُ نَحْرَاً"[٤]. وقـــال الراغـــب: "النَّحْـــرُ: مَوْضِعُ القِلادَةِ من الصَّدْرِ، ومنه: نحرُ البَعير"[٥]. وقال ابن القطاع في الدلالة ذاتها: "ونَحَرَ البَعيـــرَ نَحْرَاً: طَعَنَهُ في مَنْحَرِه، والرَّجُلَ ضَرَبَ نَحره، والرَّجُلُ قام في الصلاة فَرَفَع يَدَيه عند ذلك. ويقـــال

(١) الأفعال ٤٨٦ .

(٢) العين ٨/١٣٠ (نبت) .

(٣) أساس البلاغة ٩٢٧.

(٤) العين ٣/٢١٠ (نحر).

(٥) المفردات ٧٩٤.

بل وَضَع يَمينَه على شِمـاله فيها"(١). قال الله تعـالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر:٢]، وهذا يدلّ على أنّ أصل لفظة (النَّحْر) هو طَعْن البعير في نَحْره للذَّبْح، وهو المعنى الحقيقي فـي أصـل الاستعمال، ثمّ انتقلت دلالة اللّفظة إلى معنى مجازي لتدلّ على تقابل الأشياء. قال الخليل على لسان أصحاب اللّغة: "وهذه الدارُ تَنْحَرُ تلك الدارَ إذا استَقْبَلَتْها"(٢) . وقال ابن منظور في المعنـى نفسـه: "والدّاران تَتَناحَران أي تَتَقابلان، وإذا استَقْبَلَتْ دارٌ داراً قيل: هذه تَنْحَر تلك؛ وقال الفراء: سَـمِعْت بعضَ العرب يقولُ مَنازِلهم تَناحَرُ، هذا بِنَحْر هذا أي قُبالَته"(٣).

يظهر لنا من ذلك أنّ الضمير المستتر (هي) الذي يعود على الدّار في ما رواه الخليل: (هذه الدّار تنحر تلك الدار) قد أسند إليه (النّحر)، فالدّار لا تَنْحَر، ولا يُعْقَل أن تَحْمِل الدّار خَنْجَراً وتَنْحَر بها داراً أخرى، ممّا يجعل أمر الترافق بينهما غير ممكن من ناحية الخطاب اللّغويّ العاديّ. وأنّ لفظة مثل(الدّار) يمكن أن تتصاحب مع مسند مثل: تُقَابِل، تُحَاذِي، تُوَازِي، تُوَاجِه، وغيرها. أمّا ما رواه الخليل فقد خالف المألوف، فقال: (الدارُ تَنْحَر). ولكن ما الذي سوّغ للعرب من أهل اللّغة هذا التصاحب؟ إنّه المجاز الذي علاقته التّشابه. فالدّار التي تُقَابِل الدّار وتُواجِهُها تشبه وضع النَّاحِر والمَنْحُور اللذين يجب أن يكونا متقابلين.

ويقول الخليل ــ أيضاًــ في لفظة (النَّسْج) التي رواها عن العرب من أهل اللّغة: "وحِرْفَة النَّسّاج النِّسَاجةُ"(٤). قال البَطَلْيوسي: "والنَّسْجُ: فِعْلُ النَّسَّاج، والمِنْسَجُ: الأداةُ التي يُنْسَجُ بها ــ بكسر الميم، والمَنْسَجُ ــ بفتح الميم والسين ــ: المَوضِعُ الذي يُنْسَجُ فيه، وقد تُكسَرُ السينُ"(٥). قال الزبيدي

---

(١) الأفعال ٤٩٨.

(٢) العين ٣/٢١٠ (نحر).

(٣) لسان العرب ٥/١٩٧.

(٤) العين ٦/٥٥ (نسج).

(٥) الفرق بين الحروف الخمسة ٨٣٧.

(ت١٢٠٥هـ) في الدلالة نفسها: "نَسَجَ الحَائِكُ الثَّوبَ يَنْسِجُه بالكسر، ويَنْسُجُه، بالضم، نَسْجَاً، فانْتَسَجَ. والنَّسْجُ مَعْرُوفٌ"(١). وجاء في المثل: "إنّه نَسِيجُ وَحْدِهِ"(٢). وهذا يعني أنّ أصل النَّسْج: (نَسْجُ الثُّوبِ). وهذا هو المعنى الماديّ المحسوس للَفظة في أصل الاستعمال، ثمّ انتقلت دلالتها إلى معنى مجازي ماديّ محسوس تارة وإلى معنى مجازي عقليّ مجرّد تارة أخرى. قال الخليل على لسان أهل اللّغة: "والرِّيح تَنْسِجُ الدَّارَ إذا نَسَجَتْ المَوْرَ والجَوْلَ على رُسُومِها، والرِّيح تَنْسِجُ التُّرابَ والماءَ أي تَضْرِبُ مَتْنَه فانْتَسَجَتْ له طرائقَ كالحُبُك، والشّاعِرُ يَنْسِجُ الشِّعْر، والكَذّابُ يَنْسِجُ الزُوْرَ"(٣). قال الزمخشري: "ومن المجاز: الرِّيح تَنْسِجُ رَسْمَ الدارِ والتُّرابَ والرَّمْلَ والماءَ إذا ضَرَبَتْه فانْتَسَجَتْ له طرائقَ كالحُبُك... والشَّاعِرُ يَنْسِجُ الشِّعْرَ: يَحُوكُه، والكَذَّابُ يَنْسِجُ الزُوْرَ"(٤).

والمنعم النظر في هذه الدلالات المتطوّرة، يجد أنّ الخليل قد روى جملة من الإسناد الفعلي، مثّلت خرقاً واضحاً للتصاحب اللّغويّ، أحدها؛ قول القائل: (الرّيح تَنْسِجُ الدارَ). فالمسند إليه الضمير المستتر(هي) العائد على الرّيح أسند إليه النَّسْج، بمعنى أنّ الرّيح يمكن أن تَنْسِج، أي أن التصاحب اللّغويّ ممكن الحدوث ، حسبما جاء به الزبيدي: "ونَسَجَتْ الرِّيحُ الوَرَقَ والهَشِيمَ جَمَعَتْ بعضَه إلى بعض. قيل: ونَسَجَ الحَائِكُ الثُّوبَ، من ذلك، لأنّه ضمّ السَّدَى إلى اللُّحْمة (فهو نَاسِجٌ، وصنعته النِّسَاجَة) بالكسر"(١).

لو قال قائل: لماذا لا يكون أصل لفظة (النَّسْج) في أصل الاستعمال نَسَجَتْ الرِّيْحُ الوَرَقَ والهَشِيم؟ لقلنا له: إنّ النَّسْج يعني الجَمْع والضَّمّ بشكل مُتَسِّق مُنَظَّم، وهو ما يربط الدّلالات كلّها ولكن نَسْج الرِّيحُ للوَرَق والهَشِيم يعني الجَمْع دون تَنْسِيق أو تَنْظِيم، ممّا يعني أنّه تطوّر عن

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس ٦/٢٣٧.

(٢) مجمع الأمثال ٤٠.

(٣) العين ٦/٥٥ (نسج).

(٤) أساس البلاغة ٩٥٢.

الأصل. فاللّفظ "ينحرف من مجاله الحقيقي إلى مجال مجازي، ثمّ يشيع ذلك المجاز حتى يصبح مألوفاً... ويكون للفظ دلالتان أو استعمالان وكلاهما من الحقيقة"[١].

نستنتج ممّا ذُكِر أنّ التصاحب اللّغويّ بين المسند إليه الضمير المستتر(هي) العائد على (الرّيْح) والمسند (تَنْسِج) غير مقبول من النّاحية المنطقيّة والذي زاد من عدم قبوله كذلك: المفعول به (الدّار)، إذ لا يعقل أنّ الرّيْح تَنْسِجُ الدّارَ، لأنّ النّسيج يَلْزَمُه عَقْل ومَهَارَة. وأنّ كلمة مثل (تَنْسِج) يمكن أن تتصاحب مع مسند إليه مثل الإنسان أو ما يقوم مقامه، ويمكن أن تتصاحب مع مفعول به مثل: الثّوب، القماش، السّجادة، إلى غير ذلك. ممّا يعني أن ما جاء به الخليل يعدّ انزياحاً عن المألوف، فهو يريد أن يقول: إنّ ما تجول به الرّيْح على وجه الأرْض من تُرابٍ وسِيقانٍ وأوراق على رسوم الدّيار فتتجمّع هنا وهناك لِتُكوِّن منظراً تروقه العين البشريّة، يكون بمنزلة ما يقوم به النّسّاج من نَسْج الثياب وغيرها، بشكل منظّم منسّق مرتّب، تروقه العين البشريّة. قال امرؤ القيس[٢]:

فتُوضِحُ فالمِقْراةُ لم يَعْفُ رَسْمُها

لِما نَسَجَتْها من جَنُوبٍ وشَمْـــألِ

ثانيها: قول القائل: (الرّيْح تَنْسِج التُّرابَ والماءَ)، وما قلناه سابقا في إسناد قولنا: (تَنْسِجُ الدارَ) إلى المسند إليه الضمير المستتر العائد على الرّيْح ينطبق تماماً على جملتنا: (الرّيْحُ تَنْسِجُ التُّرابَ والماءَ) من ناحية عدم انسجام الألفاظ من الناحية المنطقيّة، والألفاظ التي تتصاحب مع كلمة (تَنْسِج)، وهذا يعني أنّ ما جاء به الخليل من رواية عن العرب أصحاب اللّغة يُعدّ خرقاً واضحاً للتصاحب المعجميّ؛ لأنّ النّسْج ممّا يتعلّق بخصوصية الإنسان أو ما يقوم مقامه، لكنّه لمّا كان نَسْج

(١) دلالة الألفاظ ١٣٢- ١٣٣.

(٢) ديوانه ٢٦.

الثَّوب يتمثّل بمدّ خيوطه كالطُّرُق أولاً لمسافة معيّنة وحَبْكها بضمّ بعضها إلى بعض، جاز لنا عن طريق التّشابه أن نطلق على الريح التي تَضرِب وجه الأَرْض والماء مكوّنة المسارب والطّرق قولنا: (الرِّيْح تَنْسِج التُّراب والماء).

ثالثها: قول القائل: (الشّاعِر يَنْسِج الشِّعْر)، إذ أسند (النَّسْج) إلى الضمير المستتر (هو) العائد على الشّاعر، وهذا وارد من الناحية المعجميّة؛ لأنّ النَّسْج ممّا يتعلّق بالإنسان، ولكن الذي جعله غير متجانس المفعول به (الشِّعْر)، والشِّعْر لا يُنْسَج؛ لأنّه شيء معنويّ، والنَّسْج لا يكون إلا لما هو ماديّ. لذلك مثَّلَ هذا النوع من التصاحب بُعداً معجمياً لا يقبله الخطاب اللّغويّ، ولكن لمّا كان النَّسْج يبدأ بترتيب الخيوط بنظام معين وجمعها وتشابكها بشكل منظّم منسّق، جاز لنا عن طريق التّشابه أن نطلق على الشاعر عندما يستوحي الكلمات ويرتّبها وينظّمها بشكل منسّق منظّم قولنا: (الشاعر يَنْسِج الشِّعْر).

رابعها: جملة: (الكَذَّابُ يَنْسِجُ الزُّورَ)، فأمر الترافق بين الضمير المستتر (هو) العائد على كلمة (الكذّاب) و قولنا: (يَنْسِج) وارد من الناحية المعجميّة؛ لأنّ النَّسْج ــ كما قلنا ــ ممّا يتعلّق بالإنسان، لذلك جاء بمَنْ يقوم مَقَامه (الكَذَّاب). لكنّ لفظة (الزُّور) جعلت الإسناد غير متجانس؛ لأنّ النَّسْج لا يكون إلاّ لما هو محسوس.

وعليه فإنّ الزّور لا يُنْسَج؛ لأنّ دلالتها عقليّة مجرّدة. لذلك يمثّل هذا الإسناد حالة من البُعد المعجميّ التي لا يمكن قَبُولها في الخطاب اللّغويّ، ولكن المجاز الذي علاقته التّشابه هو الذي سوّغ لنا هذا التصاحب، إذ إنّ الكذّاب عندما يستوحي الكلمات والعبارات الخياليّة الباطلة يرتّبها وينظّمها في مخيّلته بشكلٍ مُنَظّم مُنَسَّق، يكون كمَنْ يَنْسِج الثَّوبَ عندما يُنَظِّمُ الخُيوط ويُرَتِّبُها ويَجْمَعُها

ويُنَظِّمُها ويُنَسِّقُها ويَحِيكُها ثوباً. قال الثّعالبي في فصل تقسيم النَّسْج: "نَسَجَ الثَّوب. رَمَل الحصير. سَفَّ الخُوص . ضَفَرَ الشَّعر. فَتَل الحبْلَ. جَدَلَ السَّير. مسدَ الجِلد. حَاكَ الكَلامَ على الاستعارة"[1].

ب- انتقال الدلالة من المجال المجرّد إلى المجال المجرّد:

فمن هذا الباب الذي انتقل فيه المعنى من الدلالة المجرّدة إلى دلالة مجـرّدة أخـرى عـن طريق الاستعارة المكنيّة في العلاقة الأفقيّة الإسناديّة الفعليّة، وكان التصاحب بين المسند والمسند إليه غير متجانس، ما ذكره الخليل عن أهل اللّغة من معانٍ للفظة (البَدْح)، إذ قال: "البَدْحُ ضَرْبُكَ شَـيْئاً بِشَيْءٍ فيه رَخَاوَة كما تَأْخُذُ بِطِّيخَةً فَتَبْدحَ بها إنْسَاناً. وتقول: ورَأيتُهم يَتَبادَحُونَ بالكُرين[*] والرُّمّـان ونحوهما عَبَثاً يعني رَمْياً"[2]. قال أسامة بن الحارث الهذلي[3]:

كأنَّ أَتِيَّ السَّيْلِ مَدَّ عليـهمُ

إذا دفعَتْهُ في البَدَاحِ الجَراشِعُ

وهذا هو أصل الاستعمال اللّغويّ للّفظة. وهو ما أكّده ابن فارس بقوله: "الباء والدال والحاء أصـلٌ واحدٌ تَرِدُ إليه فُروعٌ متشابهة، وما بعد ذلك فكلُّه محمولٌ على غيره أو مُبْدَلٌ منه. فأمّا الأصل فاللِّين والرَّخاوَة والسُّهولة... ومن هذا الباب قول الخليل: البَدْحُ: ضَرْبُكَ بِشَيْءٍ فيه رَخَاوةٌ ، كمـا تَأْخُـذُ بِطِّيخَةً فَتَبْدحَ بها إنساناً. وتقول رَأيتُهم يَتَبادَحُونَ بالكُرين والرُّمّان ونحو ذلك عَبَثا، فهـذا الأصـل الذي هو عُمْدَةُ البَابِ"[4]. ثمّ انتقلت دلالة هذه اللّفظة إلى معنى مجازي آخر لتدلّ على جِنْسٍ مِـنْ مَشْي المرأة ، قال الخليل : "وبَدَحَتِ المَرأةُ وتَبَدَّحَتْ، وهو جِنْسٌ مِنْ مَشْيِها"[2]. قال ابن فارس ـــ

---

(١) فقه اللّغة وأسرار العربيّة ١٥٤.

(*) الكُرين: جمع كرة.العين ٥/٤٠٠ .

(٢) العين ١٨٧/٣ (بدح).

(٣) ديوان الهُذليين ، القسم الثاني ٢٠١.

(٤) مقاييس اللّغة ٢١٤/١- ٢١٥.

بعد أن ذكر أنّ أصل لفظة (البَدْح) اللِّين والرَّخاوَة والسُّهولة ـ: "ثمّ اشتُقَّ مِنْ هذا قولُهم للمَرْأةِ البَادِنِ الضَّخْمة بَيْدَح... يقال بَدَحَتِ المَرْأةُ وتَبَدَّحَتْ، إذا حَسُنَتْ مِشْيَتُها"(١).

يظهر لنا أنّ أمر الترافق بين الفعل (بَدَح) والفاعل (المَرْأة) وارد من الناحية المعجميّة، لكنّ أصل الاستعمال لهذا الفعل أن يكون متعدّياً وليس لازماً أو أن يكون دالاً على المشاركة، بالإضافة إلى ذلك لا يتم المعنى إلاّ بالجار والمجرور الذي يدلّ على الشَّيْءِ الرَّخْو. أمّا الإسناد الفعلي في قولنا: (بَدَحَتِ المَرْأة وتَبَدَّحَتْ) فإنّ الفعل فيه لازم، غير دالّ على المشاركة، ولا يوجد في القول ما يدلّ على شيء رخو ليُضْرَب به إنْسَان أو حَيَوان، أو غير ذلك. ممّا جعل التصاحب بين الفعل والفاعل غير ممكن من ناحية الخطاب اللّغويّ العاديّ. ولكن لمّا كان البَدْحُ يدلّ على ضَرْبِ شَيْءٍ بشَيْءٍ فيه رَخَاوة، جاز لنا عن طريق التّشابه ـ من باب الاستعارة المكنيّة ـ أن نطلق على المَرْأةِ التي تَضْرِب الأَرْض ـ تَمْشِي عَلَى الأَرْض ـ برَخَاوَةٍ، وتُؤَدَّةٍ، وسَكِينَةٍ، قولنا: (بَدَحَتِ المَرْأةُ). قال الثّعالبي في مشي النِّساءِ عن أبي عمرو عن الأصمعي: "تَهَالَكَتْ المرأةُ إذا تَفَتَّلَتْ في مشيتها. تأوّدَت إذا اختالتْ في تَثَنّ وتكَسُّر. بَدَحَتْ وتَبَدَّحَتْ إذا أحْسنَتْ مشيتها"(٢). قال الشاعر(٣):

يَبْدَحْنَ في أَسْوُقٍ خُرْسٍ خَلاخِلها

مَشْيَ المِهارِ بمَاءٍ تَتَّقِي الوَحَلا

---

(١) مقاييس اللّغة ٢١٤/١.

(٢) فقه اللّغة وأسرار العربيّة ١٢٥.

(٣) البيت دون عزو في: تهذيب اللّغة٤/٤٣٢؛ مقاييس اللّغة٢١٤/١؛ وصدره في لسان العرب٢/ ٤٠٨.

ومن تلك الألفاظ، لفظة (الخِيَانَة)، قال الخليل: "خُنْتُ مَخَانَــةً وخَوْنــاً، وذلــك فــي الــوُدِّ والنُّصْحِ... وخَانَني فلانٌ خِيانَةً... والتَّخَوُّنُ: التَّنَقُّصُ"[1]. قال ابن فارس: " الخاء والواو والنونأصلٌ واحدٌ، وهو التَّنَقُّصُ. يُقالُ: خَانَهُ يَخُونُه خَوْناً . وذلك نُقْصَانُ الوَفاءِ"[2]. وقال الراغــب: "الخِيَانَــةُ والنِّفَاقُ واحدٌ، إلاّ أنّ الخِيَانَةَ تُقَالُ اعْتِبَاراً بالعَهْدِ والأمانَةِ، والنِّفَاقُ يُقَالُ اعْتِبَاراً بالدِّينِ، ثمّ يَتَدَاخَلانِ، فالخِيَانَةُ: مُخَالَفَةُ الحَقِّ بِنَقْضِ العَهْدِ في السِّرِّ. وَنَقِيضُ الخِيَانَةِ: الأَمَانَةُ، يُقَالُ: خُنْتُ فُلانــاً، وَخُنْــتُ أَمَانَةَ فُلانٍ"[3]. قال الله تعالى: ﴿ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ ﴾ [الأنفال:٢٧]، قال ذو الرّمّة[4]:

لا بَلْ هو الشَّوقُ مِنْ دارٍ تَخَوَّنَها

مَرّاً سَحَابٌ ومَرّاً بارِحٌ تَرِبُ

وعليه فإنّنا نجد أنّ أصل دلالة لفظة (الخِيَانَة) هو نقض العهد ونقص الوُدِّ والمَحَبّة، وهــو المعنى الحقيقي للّفظة في أصل الاستعمال، ثمّ انتقلت هذه الدّلالة إلى معنى مجازي لتدلّ على تغيّر حال الإنســـان إلى شـــرٍّ منها. قـــال الخليل: " وتَقُولُ خَانَهُ الدَّهْرُ والنَّعِيمُ خَوْناً وهو تَغَيُّرُ حَالِه إلى شَـــرٍّ منها"[1]. فالفعل (خان) أسنده الخليل إلى (الدهر)، وهذا الإسناد يحمل نوعاً من اللاملاءمـــة؛ لأنّ الدهـــر لا يخون، وإنّما الخيانة ممّا يتعلّق بالإنســـان، لذلك قال الخليل: (خَانَني فُلانٌ خِيَانَـــةً). فالفعل ــ إذن ــ مرتبط إسناديا بالإنسان، فنقول مثلاً: خَانَني الرَّجُلُ، الوَلَدُ، مُحَمَّدٌ، فُلانٌ ...الـــخ. ولكنّ إسناده إلى (الدهر) قدّم معنى قويّاً، أكثر ممّا لو كانت اللّفظة المصاحبة لكلمة (الدهر) لصيقة بها معجميّاً.وسؤالنا المطروح هنا: ما الذي سوّغ للقائل هذا الإسناد؟ إنّه المجاز الـــذي عـــــلاقته

---

(١) العين ٣٠٩/٤ (خون).

(٢) مقاييس اللّغة ٢٣١/٢.

(٣) المفردات ٣٠٥.

(٤) ديوانه ٦.

التّشابه ــ من باب الاستعارة المكنيّة ــ فعندما يخون الإنسان إنساناً فإنّه ينقض العهد معه، وتصبح المَوَدَّة والمَحَبَّة معدومة بينهما، ومثله الدّهر عندما يغيّر حال الإنسان إلى شرٍّ منها فإنّه يصبح في ضنك من العيش، ويتمني أنّه لو مات قبل أن تصل به الحال إلى ما هو عليه، ويكره حياته لأنّها أنقصته ما كان يتمناه.

وتابع الخليل تطوّر دلالة هذه اللّفظة، فقال: "وإذا نَبَا سَيْفُكَ عن الضَّرِيبَةِ فقد خَانَكَ"[(١)] . أي خَانَكَ سَيْفُكَ. قال الزمخشري: "ومن المجاز: خَانَهُ سَيْفُهُ: نَبَا عن الضَّرِيبَةِ"[(٢)]. فإسناد الفعل (خَان) إلى كلمة (السّيف) مثّل حالة من البعد المعجميّ التي لا يمكن قبولها في لغة الخطاب العاديّ، إذ كيف يخون السيف، والخيانة من المتصاحبات المعجميّة للإنسان؟ لكنّ علاقة التّشابه هي التي سوّغت لنا مثل هذا التصاحب، فلمّا كانت الخِيَانَةُ تدلّ على نَقْضِ العَهْد ونَقْص المَوَدَّة والمَحَبَّة، جاز لنا عن طريق التّشابه أن نطلق على عُدُولِ السَّيْف عن الهَدَف قولنا: (خانك السَّيْف)؛ لأنّ السَّيْف يُنَقِّص من جُهْدِ صَاحِبِهِ إذا لم يأتِ في المكان المحدد الذي أراده، أي: كأنّه خانه.

ومن الألفاظ ــ أيضاً ــ لفظة (الدَّرّ). قال الخليل: "دَرَّ اللَّبَنُ يَدُرُّ دَرّاً، وكذلك النَّاقَةُ إذا حُلِبَتْ فأقْبَلَ منها على الحَالِبِ شَيْءٌ كَثِيرٌ، قِيلَ: دَرَّتْ"[(٣)]. قال ابن فارس: "الدَّرُّ: دَرُّ اللَّبَنِ"[(٤)]. وهذا هو المعنى الحقيقي للّفظة في أصل الاستعمال اللّغويّ لها، ثمّ انتقل معناها عن طريق شبكة العلاقات المجازيّة لتدلّ على كَثْرَةِ المَطَرِ. قال الخليل: "ودَرَّتِ السَّمَاءُ إذا كَثُرَ مَطَرُها، وسَحَابَةٌ مِدْرَارٌ ونَاقَةٌ دَرُورٌ"[(٣)]. وحول هذه اللّفظة الواردة في قوله تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا ﴾ [الأنعام:٦]، وقوله تعالى ﴿ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴾ [نوح:١١] ، يقول الراغب:

---

(١) العين ٤/٣٠٩ (خون).

(٢) أساس البلاغة ٢٥٦.

(٣) العين ٨/٦ (در).

(٤) مجمل اللّغة ٢٣٥.

"وأصله مِنَ الدَّرّ والدِّرَّةِ، أي: اللَّبَنِ، ويُستَعارُ ذلك للمَطَرِ استِعَارةَ أَسْمَاءِ البَعِيرِ وأَوْصَافِه"[1]. وقد عَدَّ الزمخشري هذا التطوّر معنى حقيقياً للّفظة، فقال: "دَرَّ اللَّبَنُ، وَدرَّتِ الحَلُوبَةُ دَرّاً وَدُرُوراً، ونَاقَةٌ دَرُورٌ، وَغَزُرَ دَرُّهَا أي لَبَنُها، وسَحَابَةٌ مِدْرَارٌ ولها دِرَّةٌ ودِرَرٌ. وسَمَاءٌ دِرَرٌ"[2]؛ لأنّه "قد يشيع الاستعمال المجازي حتى لا نكاد نفطن إليه فنظنّه حقيقة"[3].

وإذا نظرنا إلى إسناد الخليل الفعل (دَرّ) إلى الفاعل (السَّمَاء) نجد أنّه حمل نوعاً من اللاتجانس، إذ إنّ الفعل (دَرّ) بدلالته المادّيّة يُفْتَرَض أن يسند إلى الأنثى اللّبون، ولا يسند إلى غيرها. ولذا فالسَّمَاءُ ليست من مرافقات الفعل (دَرّ) لغويّاً، ولكنّهما ترافقا وتصاحبا عن طريق المجاز الذي علاقته التّشابه ، فلكون حَلْبِ النَّاقَة يَدُرّ اللّبَن على الحالب بشكل كبير، جاز لنا عن طريق التّشابه ــ من باب الاستعارة المكنيّة ــ أن نطلق على السماء التي يتحلّب منها المطر بشكل كبير قولنا: (درّت السّماء). قال البَطلْيوسي: "الدَّرَّةُ بالفتح: الفَعْلَةُ الواحدةُ من الدَّرِّ. يقال: دَرَّتِ السَّماءُ بالمطرِ"[4]. وتتبع الخليل تطوّر دلالة هذه اللّفظة، فقال: "وَدَرَّتِ العُرُوقُ إذا امتَلأَتْ دَماً"[5]. قال الزمخشري: "ومن المجاز... دَرَّتِ العُرُوقُ: امتَلأتْ دَماً"[2]. فإسناد الفعل (دَرّ) إلى كلمة (العروق) لا يمكن على المستوى اللّغويّ العاديّ، وإنّما يمكن إذا كان انزياحاً، لأنّ الفعل ــ كما ذكرنا ــ لا يترافق إلاّ مع الأنثى اللّبون، فنقول مثلاً: دَرَّتِ النَّاقَةُ، الشَّاةُ، البَقَرَةُ، وغيرها، ولكنّ إسناده إلى (العُرُوق) أضفى على النسق التركيبي نوعاً من عدم القبول، لأنّ العُرُوق لا تَدُرّ حقيقة، ولكنّه لمّا كان ضَرْعُ النَّاقَةِ أو اللّبون يمتلئ باللبن عند الحلب، جاز لنا عن طريق التّشابه ــ من

(١) المفردات ٣١٠.

(٢) أساس البلاغة ٢٦٧.

(٣) علم الدّلالة، عمر ١٢٧.

(٤) المثلّث ٢/١٦.

(٥) العين ٨/٦(در).

باب الاستعارة المكنيّة ــ أن نطلق على العُرُوقِ التي تمتلئ بالدم قولنا: (دَرَّتِ العُرُوقُ) لذلك فإنّنا نطلق على الضَرْعِ الذي يتجمّع فيه اللّبن بكثرة لفظة (الدِّرَّة) بكسر الدال.

ولم يقف الخليل عند هذا الحدّ من تطوّر دلالة لفظة (الدَّر)، فأضاف قائلاً: "ورُوِيَ عن عُمَرَ بن الخطّاب أنّه أوصَى عُمّالَه حين بعثَهُم فقال في وصيَّتِه لَهُم: أدِرُّوا لِقْحةَ المُسْلِمِين، أراد بذلك فَيْئَهُم وخَراجَهُم، والاسمُ من كلّ ذلك الدِّرَّةُ"(١). قال الزمخشري: "ومن المجاز... دَرَّتْ حَلُوبَةُ المُسْلِمِين: كَثُر فَيْئُهُم وخَرَاجُهُم"(٢).

وسؤالنا هو: هل للمسلمين لِقْحَةٌ أو حَلُوبَةٌ؟ بالطبع: لا، لكن ما دام أنّ حلوبة المسلمين كناية عن الفيء والخراج، وهي غير موجودة في واقع الحياة الإنسانيّة، إذن كيف تَدُرّ لهم لبناً وهي مجرّدة غير محسوسة، ومن المعروف أنّ دَرَّ اللّبن يتحصّل ممّا هو ماديّ؟ وعليه فإنّ الفعل الماديّ (دَرّ) لا يتناسب إلاّ مع مصاحب ماديّ محسوس، لذلك قدّم اللاتجانس هنا معنى قوياً، ليقول القائل: إنّ جمع الفيء والخراج من مختلف البلدان، والأمصار الإسلامية، ووضعها في بيت مال المسلمين؛ لتوزيعها عليهم كان بمنزلة دَرّ اللّبن الذي يأتي من الفَرْثِ والدَّم، أي من جميع أنحاء جسم الحلوبة فيتجمّع في الدِّرَّةِ ثم يأخذه الحَالِبُ ليتغذّى عليه. قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾ [النحل:٦٦].

وممّا ذكره الخليل عن أهل اللّغة من العرب من أمثلة هذا المظهر ما قيل في معنى لفظة (السَّبْح)، فقال: "والسَّبْح مَصْدَرٌ كالسِّباحة، سَبَحَ السّابحُ في الماء... والنُّجُوم تَسْبَحُ في الفَلَك: تجري

---

(١) العين ٦/٨ (در).

(٢) أساس البلاغة ٢٦٧- ٢٦٨.

في دَوَرانه"[1]. قال الراغب: "السَّبْحُ: المَرُّ السَّرِيعُ في الماءِ، وفي الهَواءِ، يُقَالُ سَبَحَ سَبْحاً وسِبَاحَةً، واستُعيرَ لمَرِّ النُجُوم في الفَلَك"[2]. قال الله تعالى: ﴿ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [الأنبياء:٣٣].

وهذا يعني أنّ أصل الاستعمال اللّغويّ للفظة (السَّبْح) هو: (العَوْم في الماءِ وفي الهواء). ثمّ انتقلت دلالة هذه اللّفظة إلى معنى مجازي ــ من باب الاستعارة المكنيّة ــ لتدلّ على عَوْم النُجُوم في السماء: (النُجُومُ تَسْبَحُ في الفَلَك)، فقد أسند المسند (تسبح) إلى المسند إليه الضمير المستتر(هي) العائد على النجوم، والنجوم لا تسبح، ولذا فهي ليست من مصاحبات النجوم، وإنّما من مصاحبات الإنسان، والأسماك، وأنواع من الطير والحيوان، وغيرها. إلاّ أنّ الإسناد هنا يعدّ انزياحاً عن المألوف. إذ إنّ عوم النجوم في السماء، ودورانها في الفَلَك دون عائق تشبه سِبَاحَة السَّابِح في الماء. قال البَطلْيوسي (ت٥٢١هـ): "والسَّبْحُ ــ بالسين ــ : العَوْمُ في الماءِ، والسَّبْحُ: مصدر سَبَح الفَرَسُ في الجَرْي: إذا مَدَّ يَدَيه، شُبِّه بالسَّبْحِ في الماءِ، وكذلك مصدر سَبَحتِ النُجُومُ في الفَلَكِ: إذا جَرَتْ"[3].

٢ــ علاقة الكناية عن صفة:

عندما استقرأتُ ما أورده الخليل من ألفاظ في كتابه العين على لسان أهل اللّغة من العرب، وجدتُ نوعاً من علاقة الكناية (كناية عن صفة) في العلاقة الأفقيّة الإسناديّة الفعليّة قد انتقلت دلالة الألفاظ فيها بصورتين، هما:

---

(١) العين ٣/١٥٢ (سبح).

(٢) المفردات ٣٩٢.

(٣) الفرق بين الحروف الخمسة ٤٤٧.

أ- انتقال الدلالة من المجال المحسوس إلى المجال المجرّد:

يمثل هذه الصورة جملة من الألفاظ التي انتقلت دلالاتها من الدلالة الحسيّة إلى دلالة أخرى مجرّدة عن طريق علاقة الكناية عن صفة في كتاب (العين)، وكان التصاحب بين المسند والمسند إليه في العلاقة الأفقيّة الإسناديّة الفعليّة غير متجانس. فمن مظاهر هذه الصورة لفظة (البَرْك) الواردة في قول طرفه بن العبد[1]:

وَبرْكٍ هُجُودٍ قد أَثَارَتْ مَخَافَتِي

نَوَادِيها أَمْشِي بِعَضْبٍ مجرّد

قال الخليل على لسان أصحاب اللّغة: "البَرْك: الإبِلُ البَوارِكُ، اسمٌ لِجَمَاعَتِهـا... وأَبْرَكْـتُ النَّاقَـةَ فَبَرَكَتْ"[2]. قال ابن فارس: "يُقال بَرَكَ البَعيرُ يَبْرُكُ بُرُوكاً. قال الخليل: البَرْكُ يَقَعُ على ما بَرَكَ مِنَ الجِمَالِ والنُّوقِ على المَاءِ أو بالفَلاةِ، مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ أو الشِّبَعِ، الوَاحِد بَارِكٌ، والأُنْثَى بَارِكَةٌ"[3]. ممّا يدلّ على أنّ دلالة لفظة (البرك) كانت تعني: عمليّة إناخة الإبل على الماء أو بالفلاة في أصل الوضع، ثمّ انتقلت دلالة هذه اللّفظة عن طريق شبكة العلاقات المجازيّة إلى دلالات متعددة. قال الخليل: "وابْتَرَكَ الرَّجُلُ في الآخَر يَقْصِبُه، إذا اجتهد في ذَمِّه. وابْتَرَكُوا في الحَرْب: جَثَـوا علـى الرُّكَب ثمّ اقْتَتَلُوا ابْتِرَاكاً، والبُرَاكَاءُ: الاسم منه... وابْتَرَكَ السَّحابُ: أَلَحَّ بالمَطَر على مَوْضـع"[2]. وقال الزمخشري: "ومن المجاز... ابْتَرَكَ في عِرْضِ فلانٍ يَقْصِبُه إذا وقَعَ فيـه... وابْتَرَكُـوا فـي الحَرْبِ: جَثَوا على الرُّكَبِ"[4].

---

(١) ديوانه ٥٣.

(٢) العين٥/٣٦٦- ٣٦٧ (برك).

(٣) مقاييس اللّغة ١/٢٢٧.

(٤) أساس البلاغة ٤٣.

نستنتج من خلال الدلالات المتطوّرة أنّ الخليل قد جاء بجملة من الإسناد الفعلي، مثّلت خرقاً واضحاً للتصاحب اللّغويّ، ففي الجملة الأولى: (ابْتَرَكَ الرَّجُلُ في الآخَرِ يَقْصِبُه) نجد أنّ الخليل أسند الفعل (ابترك) إلى الفاعل (الرجل)، ونحن نعلم أنّ كلمة (ابترك) ممّا يتعلّق بالإبِل، فالإبِلُ هي التي تَبْرُك فقط، ولا يشاركها في ذلك الحَدَث شَيءٌ. ولكنّ إسناده إلى (الرَّجُل) يمثّل حالة من البعد المعجميّ التي لا يمكن قبولها في لغة الخطاب التلقائي العاديّ، فالرَّجُل لا يَبْرُك، وإنّما يَجْلِس، يَقْعُد، يَرْبِض، وغيرها ممّا يمكن أن يصاحب هذه اللّفظة معجميّاً. لذا يعدّ هذا الإسناد انزياحاً عن المألوف، وأنّ الذي سوّغه هو أنّه لمّا كان الرَّجُل يقع في عِرْضِ فلانٍ يَقْصِبُه بأن يجتهد في ذَمِّه فلا يَدَع جملة سيئة أو كلاماً فاحشاً إلا ويقذفه به، كان بمنزلة البعير عندما يبرك فإنّه يرمى بكلّ ثقله على مُنَاخِه.

وفي الجملة الثانية: (ابْتَرَكُوا في الحَرْب) نجد أنّ الخليل كذلك أسند الفعل (ابترك) إلى (واو الجماعة) التي تدلّ على جماعة المقاتلين، وهذا خرق آخر للتصاحب اللّغويّ، ولكنّه لمّا كان بَرْك البعير لا يكون إلا على ركبه، جاز لنا عن طريق التّشابه ـ من باب شبكة العلاقات الكنائيّة ـ أن نطلق على من يَجْثُون على رُكَبِهم للقتال قولنا: (ابتركوا في الحرب). قال بشر بن أبي خازم(١):

ولا يُنْجِي مِنَ الغَمَراتِ إلاّ

بُرَاكاءُ القِتَالِ أو الفِرَارُ

أمّا الجملة الأخيرة: (ابْتَرَكَ السَّحابُ) فإنّنا نجد القائل قد أسند الفعل (ابترك) إلى الفاعل (السّحاب)، وبذلك ابتعد من الناحية الدّلاليّة عن أداء الوظيفة المعجميّة للكلمتين، إذ كيف يَبْتَرِكُ السَّحاب ولا رُكَبَ له؟ بالإضافة إلى ذلك أنّ الابْتِرَاك لا يكون إلاّ للإبل، ولكن لمّا كان السَّحابُ يرمي ما فيه من مطر بشدّة على مكان معين لفترة طويلة بلا انقطاع، كان بمثابة البعير عندما يَبْرُك فإنّه يرمي بثقله على مُناخه لفترة طويلة.

---

(١) ديوانه ٧٩.

ومن أمثلة هذا المظهر ــ أيضاً ــ ما رواه الخليل حول لفظة (البَسْق)، فقال: "بَسَقَ وبَصَقَ وبَزَقَ لُغَاتٌ"(١). وقال ابن فارس: "الباء والصّاد والقاف أصلٌ واحدٌ يُشارِك الباء والسّين والقــاف ، والأمْرُ بَيْنَهما قَرِيبٌ. يقال: بَصَقَ بمعنى بَزَقَ وبَسَقَ. قال الخليل: وهو بالــصّاد أحْــسَن. والاســم البُصَاق"(٢). وقال ابن منظور: "البَزْقُ والبَصْقُ: لُغتَان في البُزَاقِ والبُصَاقِ، بَزَقَ يَبْــزُقُ بَزْقــاً"(٣). وورد في المعجم الوسيط أنّ (البُصَاق) هو: " الرِّيْقُ إذا لُفِظ، والأخْلاطُ التــي تَفْرزُهــا مَــسَالِك التَنَفُّس عند المَرَض"(٤).

نخلص من هذا إلى أنّ جماع معنى لفظة (البُصاق) هو لُعَابُ الإنسان إذا لُفِظ. وهذا هــو الأصل في دلالة اللفظة الحقيقيّة، ثمّ انتقلت الدّلالة إلى معنى مجازي آخر، لتدلّ على إنــزال لــبن اللّبأ(*) من الشاة قَبْل الولادة بشهر، وأكثر من ذلك، عند حلبها ــ وقد تباينت آراء اللّغويّين في اللّبن في المعنى المجازي للفظة (بسق)، فمنهم من ذكر أنّ اللّبن هو الحليب الذي يشتق منــه: الكَــشْك، والجبن، والشّنين، والزبد، والرائب، وغيرها، ومنهم من ذكر أنّ اللّبن هو حليب اللبأ وهو أول اللّبن عند الولادة قبل أن يرقّ. ومنهم من وضع النقاط على الحروف في ذلك، وهو ما سنذكره تِبَاعاً ــ قال الخليل: "وأَبْسَقَتِ الشَّاةُ فهي مُبْسِقٌ وبَسُوقٌ ومِبْسَاقٌ أي أَنْزَلَت اللَّبَنَ قبل الوِلاد بشَهْرٍ أو أكْثَــرَ فتُحْلَبُ، ورُبَّما بَسَقَتْ وليس بحامِلٍ فأَنْزَلَتْ اللَّبَنَ. وقد سَمِعْتُ أنّ الجَارِيَة تَبْسِقُ وهي بِكْرٌ ويَــصِيرُ في ثَدْيِها لَبَنٌ"(٥). وهذا ما أكّده ابن فارس بعد أن ذكر أنّ أصل لفظة (بَسَق) ليس من قياس: بَسَقَتْ النَّخْلَةُ بُسُوقاً إذا طَالَتْ وكَمُلَتْ، وإنّما من باب إبدال السين مقام الصاد والأصل (بصق)، فقال: "ثــمَّ حُمِل على هذا شَيْءٌ آخر، وهو قولهم أَبْسَقَتْ الشَّاةُ فهي مُبْسِقٌ إذا أَنْزَلَتْ لَبَناً مِنْ قَبْلِ الوِلادةِ بشَهْرٍ

---

(١) العين ٥/٨٥ (بسق).

(٢) مقاييس اللّغة ١/٢٥٣.

(٣) لسان العرب ١٠/١٩.

(٤) المعجم الوسيط ١/٦١.

(*) لبن اللّبأ : أول اللّبن في النّتاج، لسان العرب ١/١٥٠.

(٥) العين ٥/٨٥– ٨٦ (بسق).

وأَكْثَرَ من ذلك فَيُحْلَب". ويعلّق ابن فارس على الدّلالة المستحدثة للّفظة، قائلاً: "وهذا إذا صحّ فكأنّها جاءَت بِبُسَاقٍ، تَشْبيهًا له بِبُسَاقِ الإنسان. والدّليلُ على ذلك أنّهم يقولون: الجَارِيَةُ وهي بِكْرٌ، يَــصِيرُ في ثَدْيِها لَبَنٌ، فهل ذلك إلاّ كالبُسَاق"(1). قال الراغب: "وبَسَقَ وبَصَقَ أصله: بَزَقَ، وبَسَقَتِ النّاقــةُ: وَقَعَ في ضَرْعِها لَبأٌ قَلِيلٌ كالبُسَاقِ"(2). وقد ذكر صاحب لسان العرب على لسان الأصمعي قولــه: "إذا أشْرَقَ ضَرْعُ النّاقَةِ ووقَع فيه اللّبَنُ فهي مُضْرِع، فإذا وَقَعَ فيه اللّبَأُ قَبْلَ النّتَاجِ فهي مُبْسِق"(3).

وإذا أنعمنا النظر في قول الخليل نجد أنّه قد أسند الفعل (أبسق) إلى كلمة (الــشاة). ممّــا يحمل نوعاً من اللاتجانس اللّغويّ، إذ كيف تبسق الشاة؟ ونحن نعلم أنّ البُسَاقَ ممّا يتعلّق بالإنــسان فقط، لكن علاقة التّشابه هي التي سوّغت لنا هذا الإسناد، فلمّا كان البُسَاقُ يدلّ على لُعَاب الإنــسان عند لفظه ، يتقاطر من لزوجته، جاز لنا عن طريق التّشابه ــ من باب شبكة العلاقات الكنائيّــة ــ أن نطلق على الشاة التي تنزل اللّبَأ قبل الولاد بشهر أو أكثر قولنا: (أَبْسَقَتِ الشّاةُ) لأنّ حَلِيبَ اللّبَــأ يتقاطر من لزوجته وثَخَانَتِه عندما يخرج من ضَرْع الشاة كخروج لعاب الإنسان من فمــه. وبهــذا نعرف حقيقة مفردات الدّلالة المستحدثة من أنّ ما في ضرع الشاة هو لبأ وليس لبناً، ونؤكد ما قاله الأصمعي والراغب في ذلك. قال الثّعالبي في ترتيب أحوال اللّبن وتفصيل أوصافه عن الأصــمعي وأبي زيد : " أول اللّبن اللّبأ"(4).

ومن ذلك ما ورد في كتاب العين حول لفظة (البَقَاء) التي رواها الخليل عن أهل اللّغة مــن العرب، فقال: "وبَقِيَ الشّيْءُ يَبْقَى بَقَاءً، وهو ضِدُّ الفَنَاء. يُقَال: ما بَقِيَتْ منهم بَاقِيَة"(5). وقال الراغب:

---

(1) ينظر: مقاييس اللّغة ١/٢٤٧-٢٤٨.

(2) المفردات ١٢٣.

(3) لسان العرب ١٠/٢٠.

(4) فقه اللّغة وأسرار العربيّة ١٧٤.

(5) العين ٥/٢٣٠ (بقي).

"البَقَاءُ: ثَبَاتُ الشَّيْءِ على حالِه الأولى، وهو يُضَادُّ الفَنَاء، وقد بَقِي بَقَاءً "(1). وهذا هو المعنى الحقيقي للّفظة في أصل الاستعمال، ثمّ انتقلت دلالة تلك اللّفظة إلى معنى مجازي لتدلّ على الرعاية بالبصر. قال الخليل: "وفلانٌ يُبْقِيني ببَصَره إذا كان يَنْظُر إليه ويَرْصُدُه"(2). وهذا ما أكّده ابن فارس فقال: "ويقول العرب: هو يُبْقِي الشيءَ ببَصَرِه إذا كان ينظُر إليه ويَرْصُدُه"(3).

وعليه فإنّ أمر الترافق بين الضمير المستتر (هو) العائد على كلمة (فلان) وقولنا: (يُبْقِيني) وارد من الناحية المعجميّة، إلاّ أنّ الجار والمجرور (ببَصَره) اعترضا الجانب اللّغويّ، ممّا جعل التصاحب غير مقبول. ولكن لمّا كان تتبّع الشّيء بالبَصَر ورعايته على الدوام، كان كمَنْ يحفظ الشيء ويُبْقِيه على الدوام. قال كُراع النّمل (ت ٣١٠هـ): "يقال: بَقَيْتُ الشّيءَ وبَقَوْتُه أبْقِيه بَقْياً وأبْقُوه بَقْواً: نَظَرْتُ إليه كيف هو، وبَقَيْتُهُ أيضاً بَقْياً: رَقَبْتُه وانْتَظَرْتُهُ"(4).

وممّا جاء في كتاب العين من ألفاظ أسندت إسناداً فعلياً لفظة (الثّمَر)، قال الخليل: "الثَّمَرُ: حَمْلُ الشَّجَرِ... أثْمَرَتِ الشَّجَرَةُ"(5). وقال ابن فارس: "الثَّمَرُ معروفٌ. يقال: ثَمَرَةٌ وثَمَرٌ وثِمَارٌ وثُمُرٌ"(6). وهذا هو المعنى الحقيقي للّفظة في أصل الاستعمال. قال الله تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقًا لَّكُمۡۖ ﴾ [البقرة:٢٢]، إلاّ أنّ هذه الدّلالة قد انتقلت عن طريق المجاز الذي علاقته التّشابه إلى دلالة أخرى جديدة وضّحها الخليل بقوله: "وقد أثْمَرَ السِّقَاءُ(*) إذا

---

(1) المفردات ١٣٨.

(2) العين ٢٣٠/٥ (بقي).

(3) مقاييس اللّغة ٢٧٧/١.

(4) المجرّد في غريب كلام العرب ولغاتها ٢٨٢/١.

(5) العين ٢٢٣/٨-٢٢٤ (ثمر).

(6) مجمل اللّغة ١٠٨.

(*) السِّقَاءُ : وعاءٌ من جِلد يكون للماء واللّبن. لسان العرب ٣٩٢/١٤.

آنَ أنْ يَحْمَضَ ، وسِقَاءٌ مُثْمِرٌ"[1]. قال الزمخشري: "ومن المجاز... إنّ لَبَنَكَ لَحَسَنُ الثَّمَرِ، وهو ما يُرى عليه إذا مُخِضَ من أَمثَالِ الحَصَفِ في الجِلْدِ، ولَبَنٌ مُثَمِّرٌ، وقد ثَمَّرَ تَثْميراً، وأَثْمَرَ إثْمَاراً، وشَرِبَ الثَّمِيرَةَ وهي اللَّبَنُ المُثْمِرُ"[2].

لقد أسند الخليل الفعل (أثمر) إلى كلمة (السّقاء) والفعل في هذا التركيب الإسناديّ فعل ماديّ محسوس، يرتبط إسناديّاً بما فيه حياة، فنقول مثلاً: أَثْمَرَتِ الشَّجَرَةُ، أو النَّخْلَةُ، أو النَّبْتَةُ، إلى غير ذلك من الألفاظ التي يمكن أن تتصاحب معجمياً مع الفعل (أثمر)، لكنّ الخليل هنا لا يذكر هذه المترافقات اللّفظيّة المعجميّة، بل جاء بمصاحب بعيد كلّ البعد عنه، ولا يمكن أن يكون الإثمار من خصائصه أو متعلّقاته، فقال: (أثمر السّقاء)، والسّقاء من الجمادات لا روح ولا حياة فيه. ولكن لمّا كانت الثَّمرة ناجمة عن العمليّة الإنباتيّة للأشجار التي يتغذّى عليها الإنسان، بفضل القيمة الغذائية الموجودة فيها، جاز لنا عن طريق التّشابه ــ من باب شبكة العلاقات الكنائيّة ــ أن نطلق على السّقاء الذي يَحْمَض فيه اللَّبَن ثمّ يُمْخَضُ للحصول على الزُّبْدِ منه للتغذية قولنا: (أَثْمَرَ السّقَاءُ)؛ لأنّ المَخْضَ ينجم عنه الزُّبْد الذي هو خُلاصَةُ اللَّبَن كما ينجم الثَّمر عن عمليّة إنبات النّباتات.

ومن ذلك ــ أيضاً ــ ما ذكره الخليل على لسان أهل اللّغة من العرب حول معنى لفظة (الثَّوَرَان)، فقال: "والثَّوْرُ: مَصْدَرُ ثار يَثُورُ الغُبارُ والقَطا إذا نَهَضَتْ من مَوْضِعِها"[3]. قال ابن فارس: "ويقال: ثَارَ يَثُورُ ثَوْراً وثَوَراناً"[4]. وقال البَطَلْيوسي: "والثَّوْرَةُ بالفتح: مصدر ثار الشَّيءُ إذا تحرَّك وهاجَ"[5].

---

(١) العين ٢٢٤/٨(ثمر).

(٢) أساس البلاغة ١٠٠.

(٣) العين ٢٣٣/٨ (ثار).

(٤) مجمل اللّغة ١١١.

(٥) المثلّث ٣٨٤/١.

وهذا يعني أنّ دلالة لفظة (الثوران) في أصل وضعها كانت تدلّ على نهوض القطا من مَجَاثِمِه، ثمّ انتقلت هذه الدّلالة إلى معنى مجازي لتدلّ على تفشّي الدّم في وجه الإنسان، قال الخليل: " وثَارَ الدَّمُ في وَجْهِه : تَفَشَّى فيه ، وظَهَر"(١). وهو أكّده الزمخشري بقوله: "ومن المجاز... ثَارَ الدَّمُ في وَجْهِه"(٢) .

وعليه فإنّ التصاحب اللّغويّ بين الفعل (ثار) وكلمة (الدَّم) ممكن الحدوث، لكنّ الجار والمجرور (في وجهه) جعلاه غير مقبول في لغة الخطاب العاديّ، فمثّل نوعاً من البعد المعجميّ. ولكن لمّا كان الثَّوران يدلّ على الانتشار، والسطوع، والهيجان والظهور، جاز لنا عن طريق التّشابه أن نطلق على تفشّي الدَّم وظهوره وانتشاره في وجه الإنسان قولنا: (ثار الدّم في وجهه)؛ لأنّ الدّم إذا تفشى في وجه الإنسان فإنّه يدلّ على هيجان الإنسان وانتشار غضبه؛ لذلك يقال لمن يَسْتَطِيرُ غَضَباً: "ثار ثائرُه"(٣). قال ذو الرّمّة(٤):

ونادى بِهِ ماءٍ إذا ثار ثورةً

أُصَيْبِحُ أعلى نُقْبَةِ اللّونِ أطْرَق

ومن تلك الألفاظ التي رواه الخليل عن الأعراب لفظة (الحَشْر)، فقال: "الحَشْرُ: حَشْرُ يَومِ القِيامَةِ... والمَحْشَرُ: المَجْمَعُ الذي يُحْشَرُ إليه القَوْمُ"(٥). قال الله تعالى: ﴿ وَحَشَرْنَـٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ

---

(١) العين ٢٣٣/٨ (ثار).

(٢) أساس البلاغة ١٠٣.

(٣) مجمع الأمثال ١٥٤/١.

(٤) ديوانه ٤٨٦.

(٥) العين ٩٢/٣ (حشر).

﴿ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ [الكهف:٤٧]. وقال ابن فارس: "والحَشْرُ الجَمْعُ معَ سَوْقٍ، وكُلُّ جَمْعٍ حَشْرٌ"(١). وهـذا يعني أنّ المعنى الحقيقي للفظة (الحشر) في أصل الاستعمال هو الجَمْعُ معَ السَّوْقِ.

وتتبع الخليل دلالة هذه اللّفظة فقال: "ويُقالُ: حَشَرَتْهُم السَّنَةُ: وذلك أنَّها تَضمُّهم من النَّـواحِي إلى الأمْصَارِ"(٢). وقد استدلّ على ذلك بقول رؤبة بن العجاج(٣):

وما نَجا مِنْ حَشْرِها المَحْشُوشِ

وَحْشٌ ولا طَمْشٌ مِنَ الطُمُوشِ

قال الزمخشري: "ومن المجاز: حَشَرَتِ السَّنَةُ النَّاسَ: أَهْبَطَتْهُم إلى الأمْصَار"(٤). وهذا يعني أنّ دلالة لفظة (الحَشْر) قد انتقلت عن طريق شبكة العلاقات المجازيّة إلى معنى آخر لتدلّ على حشر الـسنة للناس من النواحي إلى الأمصار.

وعليه فإنّ قول الخليل: (حَشَرَتْهُم السَّنَةُ) يحمل نوعاً من اللاتجانس، إذ أسند الخليل الفعـل (حَشَر) إلى كلمة (السَّنَة) والفعل في هذا التركيب الإسناديّ فعل ماديّ محسوس، يرتبط مـع مَـنْ يتصفُ بالقُوَّة والمَنَعة، فنقول مثلاً: حَشَرَهُم اللهُ عَزَّ شأنُه، حَشَرَتْهُم المَلائِكَةُ، ولكـن إسـناده إلـى (السَّنَة) يجعله غير مقبول على المستوى اللّغويّ العاديّ، إذ كيف تحشر السَّنَةُ النَّاسَ، وهي شـيء معنويّ مجرّد لا تدرك إلاّ بالعقل ؟ وهل لها يد السُّلْطَة لِتَسُوق النّاسَ وتَجْمَعَهم في المَحْشَرِ؟ هذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على أنّ ما جاء به الخليل يعدّ انزياحاً عن المألوف، فهو يريد أن يقول إن ما تفعله السنة بالناس في نواحي الأمصار من برد وقلة كلأ وماء لماشيتهم وأنعامهم ـ بعد انقضاء فصلي الربيع والصيف ـ تجعلهم يتجمّعون في الأمصار، وهذا ما يشبه عمليّة حَشْر الناس يـوم

(١) مجمل اللّغة ١٧١.

(٢) العين ٣/٩٢ (حشر).

(٣) ديوانه ٧٨، ضمن مجموع أشعار العرب.

(٤) أساس البلاغة ١٧٥.

القيامة في مكان واحد. فالسَّنَةُ مثل الحاشر الذي بيده القوة والحزم، فيَسُوق الناس إلى المَحْشَر. ولهذا أسند الفعل الماديّ(حشر) إلى مسند إليه معنويّ وهو (السنة).

وقال الخليل في لفظة (الحِلْس): "الحِلْسُ: مَا وَلِيَ البَعِيرُ تَحْتَ الرَّحْلِ"[1]. قال الجوهري (ت٣٩٣هـ): "الحِلْسُ للبعير، وهو كِساءٌ رَقيقٌ يكون تحت البَرْذَعَةِ. وحكى أبو عبيد: حِلْسٌ وحَلَسٌ، مثل شِبْهٍ وشَبَهٍ، ومِثْلٍ ومَثَلٍ... وأحْلَستُ البعير، أي ألبَستُه الحِلْس"[2]. قال العجّاج[3]:

يُنْحَتُ مِنْ أَقْطَارِه بفَأْسِ

مِنْ أَرْضِه إلى مَقِيلِ الحِلْسِ

وهذا هو المعنى الحقيقي للفظة في أصل الاستعمال، ثمّ انتقلت دلالتها عن طريق شبكة العلاقات المجازيّة إلى دلالات أخرى جديدة. قال الخليل: " حَلَسَتِ السَّمَاءُ: أَمْطَرَتْ مَطَراً رَقِيقاً دَائِماً... واستَحْلَسَ اللّيلُ بالظلام، أي تراكم. واستَحْلَسَ السَّنَامُ إذا رَكِبَتْهُ رَوادِفُ الشَّحْمِ ورَواكِبُه"[1]. وهذا ما أكّده الزمخشري فقال: "ومن المجاز... استَحْلَسَ اللّيلُ بالظلام: تَراكَمَ. واستَحْلَسَ السَّنَامُ: رَكِبَتْهُ رَوادِفَ الشَّحْمِ ورَوَاكِبُه. وأَحْلَسَتِ السَّمَاءُ: مَطَرَتْ مَطَراً رَقِيقاً دَائِماً"[4]. وقال الجياني (ت٦٧٢هـ): "حَلَسَتِ السَّماءُ: دامَ مَطَرُها، والرَّجُلُ الدَّابَّةَ: وَضَعَ الحِلْسَ عَلَيْها: وَهُوَ ما وَلِيَ ظَهْرَها مِنْ كِسَاءٍ ونَحْوِهِ"[5].

نلاحظ ممّا سبق أنّ ما رواه الخليل: (حَلَسَتِ السَّمَاءُ، واستَحْلَسَ اللّيلُ بالظلام، واستَحْلَسَ السَّنَامُ) يحفل بعدد من الانزياحات القائمة على المنافرة، وعدم الملاءمة، وقد مثّلت تلك العبارات خرقاً واضحاً للتصاحب اللّغويّ. ففي الجملة الأولى: (حَلَسَتِ السَّماءُ) نجد أنّ إسناد الفعل (حَلَس)

---

(١) العين ١٤٢/٣(حلس).

(٢) الصحاح تاج اللّغة وصحاح العربيّة ٩١٩/٣.

(٣) ديوانه ٤٧٣-٤٧٤.

(٤) أساس البلاغة ١٩٢.

(٥) إكمال الإعلام بتثليث الكلام ١٥٧/٢.

إلى الفاعل (السماء) غير مقبول من الناحية المنطقيّة؛ لأنّه ممّا يتعلّق بالدواب، فنقول مثلاً: حَلَسَت النّاقة، البَغْلَة، الدّابّة، وغيرها، ممّا يُعدّ من مترافقاتها المعجميّة. ولكنّ إسناده إلى (السماء) أضفى نوعاً من اللاملاءمة بين المسند والمسند إليه؛ لأنّه لا يعقل أن يوضع على السماء حِلْسٌ. وإنّما القصد من وراء ذلك أنّه لمّا كان الحِلْسُ يدلّ على ما وَلِي ظَهْر الدّابة تحت الرَّحْل والقَتَب والسَّرْج، والذي يوضع بخفّة عن ظهرها، ويدوم عليها أكثر من غيره؛ لأنّه خفيف الوزن، رقيق السُّمْك بالمقارنة مع الحِمْل الثقيل الذي تحمله الدّابة، جاز لنا عن طريق التّشابه ـ من باب شبكة العلاقات الكنائيّة ـ أن نطلق على السّماء إذا أمطرت مطراً خفيفاً قولنا: (حَلَسَتِ السَّماءُ)؛ لأنّ السّماء إذا أمطرت مطراً خفيفاً فإنّ ذلك يدلّ على أنّها مغطّاة بطبقة خفيفة من السّحب التي بمنزلة الحِلْس للدابة، خفيف الوزن، سهل الوَضع.

وفي الجملة الثانية: (استَحْلَسَ اللّيلُ بالظلام) نجد القائل قد أسند الفعل (استَحْلَس) إلى الفاعل (اللّيل)، والفعل على المستوى التركيبي الإسناديّ يرتبط بالدّواب ـ كما ذكرنا ـ ولكنّ إسناده إلى (اللّيل) مثّل حالة من عدم القبول على المستوى اللّغويّ العاديّ، إذ كيف يكون للّيل حِلْسٌ ؟ وما صفة هذا الحِلْسِ ؟ وهل الحِلْس تراكم الظلام؟ كلّ هذا ولفظة (اللّيل) من الأمور المعنويّة ، أمّا الحِلْسُ فإنّه مادّيّ محسوس ، لا يترافق إلاّ مع ما هو محسوس. لكن ما الذي سوّغ لنا مثل هذا الإسناد ؟ إنّه المجاز اللّغويّ، إذ إنّه لمّا كان اللّيل يَلْتَحِفُ بالظلام المتراكم شيئاً فشيئاً، مُخْفِياً كلّ شَيْءٍ عن الأنظار لشدّة سواده، كان بمثابة الحِلْس للدّابة يَلْتَحِف به ظهرها مُخْتَفِياً عن الأنظار تحت الأحْمَال.

أمّا الجملة الثالثة: (استَحْلَسَ السَّنَامُ) فإنّنا نجد القائل قد أسند الفعل (استَحْلَس) بصيغته الدّالة على الصيرورة إلى (السنام) وهذا يحمل نوعاً من اللاملاءمة اللّغويّة، إذ كيف يصير السَّنام حِلْساً؟ فكلمة (استَحْلَس) يمكن أن تتصاحب مثلاً مع ما هو متاع، فنقول مثلاً: استَحْلَس البِسَاطُ، اللّحَافُ،

الحَصِيرُ، وغيرها. غير أنّ الإسناد يعدّ انزياحاً عن المألوف، وأنّ الذي سوّغه هو علاقة التّشابه، فكون الحِلْس تركبه الرِّحالُ والأَقْتابُ والسُّروجُ، وغيرها، جاز لنا عن طريق التّشابه ـ من باب شبكة العلاقات الكنائيّة ـ أن نطلق على السَّنام ركبته روادف الشَّحْم ورواكبه قولنا: (اسْتَحْلَس السَّنَامُ)؛ لأنّ روادف الشَّحْم ورواكبه تحمي ظهر الدّابة من أثر الأحمال كما يحميه الحلس كذلك.

ومن ذلك ـ أيضاً ـ ما ورد عند الخليل حول لفظة (الدَّلْو) الواردة في قوله عزّ وجلّ: ﴿ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ﴾ [يوسف:١٩]، قال الخليل: "جمع الدَّلْوِ الدِّلاء، والعَدَدُ أَدْلٍ ، والكثيرُ دُلِيٌّ ودِلِيٌّ. والدَّلاةُ: الدَّلْوُ، وأَدْلَيْتُها: أَرْسَلْتُها في البِئْر"(١). وفي قول الرّاجز(٢):

خَيْرُ دَلاَةٍ نَهَلٍ دَلاَتِيْ

قَابِلَتِي وَمِلْؤُهَا حَيَاتِيْ

يقول أبو زيد الأنصاري: "دَلاَةٌ: جَمْعُهَا دَلاً... قالَ أبو حَاتِمٍ يُقَالُ: دَلْوٌ، وَثَلاَثُ أَدْلٍ، وَدِلاَءٌ مَمْدُودٌ، وَيُقَالُ أَيْضاً دَلاَةٌ وَدَلاً، مِثْلُ قَطَاةٍ وَقَطاً. والدَّلاَ مُذَكَّرٌ"(٣). وقال الراغب في الدلالة ذاتها: "دَلَوْتُ الدَّلْوَ: إذا أَرْسَلْتُها، وَأَدْلَيْتُها، أي: أَخْرَجْتُها، وقيلَ: يكونُ بِمَعْنَى أَرْسَلْتُها"(٤). قال ذو الرّمّة(٥):

كأنَّها دَلْوُ بئرٍ جَدَّ ماتِحُها

حتى إذا ما رَآهَا خَانَهُ الكَرَبُ

ممّا يعني أنّ أصل استعمال لفظة (الإدلاء) يدلّ على إرسال الدَّلْو في البِئْر ، وهو المعنى الحقيقي لها، ثمّ انتقلت دلالتها عن طريق شبكة العلاقات المجازيّة إلى معنى آخر لتدلّ على الاحتجاج

---

(١) العين ٨/٦٩ (دلو).

(٢) البيتان دون عزو في: النوادر في اللّغة ٢٥٨؛ الأمالي ٢/٢٤٤، وروايته للأول: "إنّ دَلاتِي أيما دَلاتِي"، ولم تخلّ الرّواية بموطن الشّاهد؛ لسان العرب١٤/٢٦٥، روى الأول فقط، وروايته: "أيُّ دَلاَةٍ" في موضع: "خَيْرُ دَلاَةٍ"، ولم تخلّ الرّواية بموطن الشّاهد.

(٣) النوادر في اللّغة ٢٥٨.

(٤) المفردات ٣١٧.

(٥) ديوانه ٤٣.

بالحُجَّة أمام الحاكم. قال الخليل: "وَأَدْلَى فُلانٌ بِحُجَّتِهِ أي احْتَجَّ بها، وأدْلَى بها إلى الحاكم: رَفَعَها إليه"[١]. وهذا ما أكّده الزمخشري بقوله: "ومن المجاز... أدْلَى بِحَقِّهِ وحُجَّتِهِ: أَحْضَرَها"[٢]. يبدو لنا أنّ إسناد الفعل(أدْلَى) إلى الفاعل (فُلان) صحيح، بمعنى أنّ الترافق اللّغويّ ممكن الحدوث، ولكنّ الجار والمجرور(بِحُجَّتِهِ) وقفا عائقين أمام النسق اللّغويّ العاديّ، ممّا أضفى على النسق التركيبي نوعاً من عدم القبول، فالفعل (أدْلَى) في هذا التركيب الإسناديّ فعل ماديّ محسوس، يتناسب مع ما هو محسوس، مثل: الدَّلْو. إلاّ أنّ الإتيان بالجار والمجرور (بحجّة) المجرّد، مثّل حالة من البعد المعجميّ التي لا يمكن قبولها من الناحية المنطقيّة، ولكنّه ممكن إذا كان انزياحاً. فكأنّ القائل يريد أن يقول: إنّ إحْضَار الحُجَّة وتَقْدِيمَها إلى القاضي للتوصل إلى أمر ما إمّا بقبولها ودحض التهمة، أو برفضها مع إثبات التهمة، كان بمثابة إرسال الدَّلْو في البئر للوصول إلى الماء، فإمّا أن تمتلئ لوجود الماء في البئر ـ كأن البئر راضية عنها ـ فيشرب صاحبها، وإمّا أن تخرج فارغة لعدم وجود الماء ـ وكأن البئر غير راضية منها ـ فلا يشرب صاحبها.

ويقول الخليل ـ أيضاً ـ في لفظة (الصَّلا) التي رواها عن أهل اللّغة من العرب: "الصَّلا: الحطب. والصَّلا: النَّارُ، وصَلَى الكَافِرُ نَاراً فهو يَصْلاها أي قاسَى حَرَّها وشِدَّتَها. وصَلَيْتَ اللَّحْمَ صَلْياً: شَوَيْتَه، وإذا أَلقَيْتَه في النّار قلتَ: أَصْلَيْتُه أُصْلِيه أَصْلاءً وصَلَّيتُه تَصْلِيةً. والصَّلا اسمٌ للوَقُود إذا اصطَلَى به القَوْمُ"[٣]. واستشهد على ذلك بقول العجّاج[٤]:

وَصَالِيَاتٌ للصَّلا صُلِيٌّ

---

(١) العين ٨/٦٩ (دلو).

(٢) أساس البلاغة ٢١٨.

(٣) العين ٧/١٥٤ (صلو).

(٤) ديوانه ٣١١.

قال الجاحظ: "يقالُ صَلَيْتُ الشاةَ فأنا أصْليها صَلْياً إذا شَوَيتها، فهي مَصْليَّة. ويقالُ صَلِيَ الرّجُلُ النار يَصْلاها، وأصلاه الله حرَّ النارِ إصلاءً. وتقول: هو صالٍ حرَّ النار، في قومٍ صالين وصُلًّى"[١]. وقد بيّن الراغب أصل الصَّلْي فقال: "أصل الصَّلْي: الإيقَادُ بالنَّار، ويُقالُ صَلِيَ بالنَّارِ وبكَذا، أي: بُلِــيَ بهَا، وَاصطَلَى بهَا، وَصَلَيْتُ الشَّاةَ: شَوَيْتُهَا، وَهيَ مَصْلِيَّةٌ"[٢]. قــال الله تعــالى: ﴿ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ۝ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ [الليل:١٥،١٦]، وجاء في المثل: "كَادَتِ الشَّمسُ تكُونُ صِلاءً"[٣]. وهذا يعني أنّ أصل الاستعمال للفظة (الصَّلا) هو الاحتراق بالنّار، وهو المعنى الحقيقي لها فــي أصل الاستعمال، ثمّ انتقلت دلالتها إلى معنى مجازي يدلّ على الابتِلاءِ بِسُوءِ الآخرين وشُرُورِهم. قال الخليل: "وصَلِيَ فُلانٌ بِشَرِّ فُلانٍ وبرَجُلِ سُوءٍ"[٤]. وهو ما أكّده الزمخشري بقوله: "ومن المجاز ... صَلِيتُ بفُلانٍ ، وَبِأمْرِ كَذا : مُنِيتُ بِهِ"[٥].

وعليه فإنّ أمر الترافق بين الفعل (صَلِيَ) والفاعل (فُلان) وارد من الناحيــة المعجميّــة، بمعنى أنّ التصاحب اللّغويّ ممكن الحدوث، ولكنّ الجار والمجرور وما أُضيف إليه (بشَرِّ فُــلانٍ)، (برَجُلِ سُوءٍ) اعترضت الجانب اللّغويّ ممّا أضفى على المستوى التركيبي نوعاً من عدم القبــول، لأنّ الفعل صَلِي ماديّ محسوس، فكيف يُصْلَى فُلانٌ بالشَّرِّ أو بالسُّوءِ، وهما معنويّان؟ ولكن لمّا كان الصَّلْي يدلّ على الاحْتِراقِ بالنَّارِ الذي بدوره يؤدي إلى غليان الدّماغ لدى الإنسان، جاز لنــا عــن طريق التّشابه ـــ من باب شبكة العلاقات الكنائيّة ـــ أن نطلق على مَنْ أُجِّجَتْ مَشَاعِرُه غضباً جراء ما لحقه من شَرِّ الآخرين أو سُوئهم، وعاني شِدَّتهما وتَعَبَهما قولنا: (صَلِيَ فُلانٌ بِشَرِّ فُلانٍ ، وَبِسُوءِ عَلاّنٍ). فمِنَ الكلام ما هو أحرُّ مِنَ الجَمْر، ومنه ما قَتَل.

---

(١) الحيوان ٥/١٣١-١٣٢.

(٢) المفردات ٤٩٠.

(٣) مجمع الأمثال ٢/١٥٨.

(٤) العين ٧/١٥٤ (صلو).

(٥) أساس البلاغة ٥٤٠.

ومن أمثلة هذا المظهر كذلك ما جاء الخليل به على لسان أهل اللّغة من العرب في لفظة (المَخْض). فقال: "المَخيضُ: ما قد أخِذَ زُبْدُه، والمَخْضُ: تحريكُكَ المِخْضَ، وهو الذي فيه اللَّبَن"[1]. قال الثّعالبي: "المَخْضُ تحريك اللَّبَنِ لاستخراج زُبْدِهِ"[2]. وقال ابن القطّاع: "ومَخَضَ اللبن يمخُضُه ويمخَضُه مَخْضاً حرّكه لإخراج زُبده"[3]. وهذا يعني أنّ أصل الاستعمال اللّغويّ للفظة (المَخْض) يدلّ على تحريك ما يكون فيه اللّبن، وهو المعنى الحقيقي للّفظة، إلاّ أنّ هذه الدّلالة قد انتقلت عن طريق شبكة العلاقات المجازيّة إلى دلالة أخرى مستحدثة رواها الخليل بقوله: "والسّحاب يَتَمَخَّضُ بمائه، والدّهر يَتَمَخَّض بِفِتَنِه"[1]، وهي تَحْرِيك الماء في السحاب، وتَحْرِيك الفِتَن في الدّهر.

وإذا تتبعنا الإسناد الفعلي في جملتي: (السّحاب يَتَمَخَّض بمائه) و(الدّهر يَتَمَخَّض بِفِتَنِه)؛ فإنّنا نجد أنّ التصاحب بين المسند والمسند إليه بعيد كلّ البعد عن لغة الخطاب التلقائي العاديّ. إذ كيف يَتَمَخَّض الدَّهر بالفِتَن؟ وما الغاية من ذلك؟ وهل أصبحت الفِتن لبناً لنخرج منها زُبْده؟ كلّ ذلك والفِتَن من الأمور المعنويّة؛ أي أنّها لا تدرك إلاّ بالعقل. أضف إلى ذلك أنّ الزُّبْد لا يخرج من الماء عندما يتمخّض به السّحاب.

وسؤالنا هو: ما الذي سوّغ لنا مثل هذا الإسناد؟ إنّها علاقة التّشابه ــ من باب شبكة العلاقات الكنائيّة ــ فعندما يَحْمِل السّحابُ الماءَ إلى بقعة معيّنة من الأَرْض يَخْرُج من خلاله الخَيْر والعَطَاء كما يَخْرُج الزُّبْد من اللَّبَن، وكذلك الفِتَن عندما تظهر في زمن ما؛ فإنّ خلاصتها ــ التي

---

(١) العين ٤/١٨٠ (مخض).

(٢) فقه اللّغة وأسرار العربيّة ١٢٠.

(٣) الأفعال ٤٦٩.

بمثابة الزُّبْد للَّبَن ـ المتمثلة بالحِقْد والبُغْض والكراهيَة، تَخْرج بين النّاس، وتتفشى بهم مخلِّفةً الهلاك والدَّمار.

وقد روى الخليل عن أصحاب اللّغة من العرب أنّ لفظة (المَيْع) تطلق على جريان الماء منبسطاً على وجه الأرْض فقال: "مَاعَ الماء يَميْع مَيْعاً إذا جَرَى على وَجْه الأَرْض جَرْيا مُنْبَسِطاً في هَيْئَتِه، وكذلك الدَّم "[١]. وقال ابن فارس في الدّلالة نفسها: "الميم والياء والعين كلمةٌ صحيحة تدلُّ على جَرَيَانِ شيءٍ واضْطِرابِ شيءٍ وحركتِه. وماعَ الشَّيء يَمِيع: جَرَى على وَجْه الأَرْض. والمَائِع كلُّ شيءٍ ذَائِب"[٢]. وهذا هو المعنى الحقيقي للفظة (المَيْع) في أصل الاستعمال اللّغويّ لها، إلاّ أنّ دلالة هذه اللّفظة قد انتقلت إلى دلالة أخرى لتدلّ على جريان السَّراب. قال الخليل على لسان أصحاب اللّغة: "والسَّراب يَميْع"[١]. وهو ما أكّده الزمخشري، فقال: "ومن المجاز: السّراب يَمِيْع: يَجْري ويَنْبَسِط "[٣].

وعليه فإنّ أمر التصاحب بين المسند إليه الضمير(هو) العائد على (السَّراب) والمسند (يَمِيْع) يمثّل خرقاً واضحاً للتصاحب المعجميّ؛ لأنّ المَيْع من مرافقات السوائل فقط. ولكنّه لمّا كان السائل يجري على وجه الأرْض جَرْياً مُنْبَسِطاً في هيئته مُتموّجاً في انحنائه، جاز لنا عن طريق التّشابه ـ من باب شبكة العلاقات الكنائيّة ـ أن نطلق على السّراب الذي يَتَمَوَّج على الأَرْض مُضْطَرِباً في مرآه، قولنا: (السراب يميع)، والرابط في ذلك الهيئة والتموّج .

ووقف الخليل عند لفظة (الوَحَر) التي رواها عن أصحاب اللّغة من العرب، فقال: "الوَحَرُ: وَغْرٌ في الصَّدرِ من الغَيْظ والحِقْدِ. تقولُ: وَحِرَ صَدْرُه وَحَراً، وإنَّهُ لَوَحِر الصَّدْر. والوَحَر: وَزَغَـةٌ

---

(١) العين ٢/٢٦٩ (ميع) .
(٢) مقاييس اللّغة ٥/٢٩٠ .
(٣) أساس البلاغة ٩٢٤.

تكونُ في الصَّحاريَ أصغَر من العِظَايَة، وهي إلف سـوامٍّ أبْـرَصَ خِلْقَـةً "[1]. وقـد أورد ابـن قتيبة(ت٢٧٦هـ) أنّ الوَحَرَةَ دُوَيْبَةٌ حمراءُ تَلْصَقُ بالأَرْض، ومنها يقال: وَحِرَ صَدْرُ فلانٍ عليَّ. إذا لصِقَ الحِقْدُ به فَشبَّهوا لصوقَ الحقدِ بالصّدرِ بلصوقها بالأرض [2]. وذكر صاحب لسان العرب على لسان الجوهري أن: "الوَحَرَةَ ، بالتحريك ، دُوَيْبَةٌ حَمْرَاء تَلْتَزِقُ بالأَرْض كالعَظَاء"[3].

وبناء على ما سبق نجد أنّ أصل (الوَحَر) دُوَيْبَةٌ حَمْرَاء تلتزق بالأَرْض ، وهذا هو المعنى الحقيقي للّفظة في أصل الاستعمال اللّغويّ لها، إلاّ أنّ انتقال دلالة اللّفظة عن طريق شبكة العلاقات المجازيّة لتدلّ على الوَغْرِ في الصّدر من الغيظ والحقد، جعل الإسناد الفعلي (وَحَرَ صَدْرُه) غيـر متجانس معجمياً، إذ إنّ كلمة (وَحَر) تترتب مع كلمة الرجل فنقول: (وَحِرَ الرَّجُلُ)؛ إذا أكل ما دَبَّتْ عليه الوَحَرَةُ أو شَرِبَه فأثر فيه سَمُّها. أو نقول: (وَحِرَ اللَّبَنُ)؛ إذا وقَعَتْ فيه الوَحَرَةُ. وربمـا قلنـا: (وَحِرَ اللَّحْمُ)؛ إذا دَبَّ عليه الوَحَرُ. لكنّ القائل هنا جاء بمصاحب بعيد كلّ البعد عنه ، فقال: (وَحِرَ صَدْرُه)، وهذا غير ممكن على المستوى اللّغويّ العاديّ، إلاّ أنّه ممكن إذا كان انزياحاً. فهو يريد أن يقول: إنّه لمّا كانت الدُّوَيْبَةُ التي يقال لها الوَحَرَةُ تلتزق بالأَرْض، جاز لنا عن طريق التّشابه ــ من باب شبكة العلاقات الكنائيّة ــ أن نطلق على مَنْ وَغِرَ صَدْرُه قولنا: (وَحِرَ صَدْرُه)؛ لأنّ الوَغْر في الصدر يقود إلى الحقد والعداوة والبغضاء التي تلتزق بالصدر كما تلتزق هذه الدويبـة (الـوَحَرَة) بالأَرْض، لذلك فإن بعض الناس من شدّة غِلِّه وعداوته يشير إلى أنفه قائلاً : إنّ الأمر قد وصل إلى هنا، أي أنّ غِلَّه وصل إلى أنفه، ولم يعد يتحمّل شيئاً.

ب- انتقال الدلالة من المجال المجرّد إلى المجال المجرّد:

(١) العين ٢٩٠/٣ (وحر).

(٢) أدب الكاتب ١٩٤.

(٣) لسان العرب ٢٨٠/٥.

فمن هذا الباب الذي انتقلت فيه دلالات الألفاظ من الدلالة المجرّدة إلى دلالة مجرّدة أخرى عن طريق علاقة الكناية في العلاقة الأفقيّة الإسناديّة الفعليّة، وكان التصاحب بين المسند والمسند إليه يمثّل شكلاً من أشكال اللاتجانس الدّلاليّ، ما ذكره الخليل عن أهل اللّغة من معانٍ للفظة (الخَجَل) التي رواها الخليل عن أصحاب اللّغة من العرب. فقال: "الخَجَلُ: أنْ يَفْعَلَ الإنْسَانُ فِعْلاً يَتَشوّرُ منه فيَستَحي، وقد خَجَّلْتُه أنا تَخْجيلاً، وأخْجَلَهُ فِعْلُه"(1). وقال ابن فارس في الدّلالة ذاتها: "الخَجَلُ: أنْ يبقى الإنسانُ باهِتاً لا يتحدَّثُ. يقال منه: خَجِلَ"(2). وهذا يعني أنّ أصل دلالة لفظة (الخجل) هو الحياء، ثمّ انتقلت دلالة هذه اللّفظة إلى معنيين مجازيين، لتدلّ على سَيْر البَعير في الطين، وعلى ارتفاع الحَمْضِ والتِفافِه. قال الخليل: "وخَجِلَ البَعيرُ إذا سَارَ في الطِّينِ فبَقِيَ كالمُتَحَيِّر. وخَجِلَ الحَمْضُ خَجَلاً: طَالَ والتَفَّ"(1). وقال الزمخشري في دلالة اللّفظة نفسها: "ومن المجاز... خَجِلَ الجَمَلُ في الطِّينِ والوَعْثِ: ارْتَطَمَ وتَحَيَّرَ...وخَجِلَ النَّبَاتُ: كَثُرَ والتَفَّ"(3).

وعليه فإنّ القائل قد أسند الفعل (خَجِل) إلى الفاعل (البَعير) في الجملة الأولى: (خجل البعير) والبعير لا يخجل؛ لأنّه ليس لديه من العواطف والمشاعر الجيّاشة ما يجعله مستحياً من فعله، أضف إلى ذلك أنّ الخجل ممّا يتعلّق بالإنسان فقط، ولذا فإنّ لفظة البعير ليست من مصاحبات الفعل (خجل) لغويّاً، إلاّ أنّ الإسناد هنا يعدّ انزياحاً عن القاعدة، فهو يريد أن يقول: عندما يتعرّض الخجول لموقف ما فإنّه يبقي باهتا متحيراً لا يعرف ماذا يفعل أو يقول، وبهذا الأمر يجوز لنا عن طريق التّشابه ــ من باب شبكة العلاقات الكنائيّة ــ أن نطلق على البعير الذي يرتطم بالطِّين قولنا:

---

(1) العين ٤/١٦٠ (خجل).

(2) مجمل اللّغة ٢٣٢.

(3) أساس البلاغة ٢١٦- ٢١٧.

(خَجِل البَعِيرُ)؛ لأنّ البعير الذي يرتطم بالطِّين يبقي متحيراً لا يعرف ما يفعل، وهو بهذا الأمر كالخجول يبقى باهتاً لا يتحدّث.

وكذلك الإسناد الفعلي في جملة: (خَجِل الحَمْضُ)؛ فإنّه غير متجانس من الناحية الدّلاليّة المعجميّة؛ لأنّ النّباتات لا روح فيها ولا قلب لها، ونحن نعلم بأنّ الخجل صفة يتصف بها الإنسان فقط، وأنّ منبعها قلبه، فكيف يَخْجَل ما لا قلب له؟ ممّا يعني أنّ أمر الترافق بين المسند (خَجِل) والمسند إليه (الحَمْض) مثّل حالة من البعد المعجميّ التي لا يمكن قبولها في لغة الخطاب العاديّ. ولكن لمّا كان الخجل الذي يعتري الإنسان يبقيه متحيراً مضطرباً لا يدري ما يفعل، وربمّا ينكمش على نفسه، جاز لنا عن طريق التّشابه أن نطلق على الحَمْض الذي يطول ويلْتَف قولنا: (خجل الحمض)؛ لأنّه إذا طال اضطرب وتحرك بشكل عشوائي كيفما شاءت الريح. قال ابن فارس: "ويقال أخْجَلَ الحَمْضُ: طالَ، وهو القياس، لأنّه إذا طالَ اضْطَرَبَ"(١).

ومن الأمثلة التي وقفنا عليها في كتاب العين حول هذا المظهر لفظة (الخِدَاج). قال الخليل: "خَدَجَتِ النَّاقَةُ فهي خَادِجٌ، وأَخْدَجَتْ فهي: مُخْدِجٌ، إذا أَلْقَتْ وَلَدَها وقد اسْتَبَانَ خَلْقُه. والوَلَدُ: خَدِيجٌ ، ومُخْدَجٌ ومَخْدُوجٌ، وأَخْدَجَتِ الزَّنْدَةُ(•) إذا لم تُورِ. والخِدَاجُ: الاسمُ. وكلُّ ذَاتِ مَنْسِمٍ أو ظِلْفٍ تُخْدِجُ. وذَاتُ الحَافِرِ تُزْلِقُ"(٢). وقال الرَّازي (ت٦٦٦هـ): "(خَدَجَتِ) النَّاقَةُ (تَخْدِجُ) بالكَسْرِ (خِداجاً) بالكَسْرِ فهي (خَادِجٌ) والوَلَدُ (خَدِيجٌ) بوزن قَتِيل إذا أَلْقَتْهُ قَبْلَ تَمَامِ الأَيَّامِ وإنْ كَانَ تَامَّ الخَلْقِ... و(أَخْدَجَتِ) النَّاقَةُ إذا جَاءَتْ بوَلَدِها نَاقِصَ الخَلْقِ. وإنْ كانت أيّامُه تَامَّةً فهي (مُخْدِجٌ) والوَلَدُ (مُخْدَجٌ)"(٣). من خلال ذلك نلاحظ أنّ دلالة لفظة (الخِدَاج) كانت تعني: إلقاء الناقة ولدها

---

(١) مقاييس اللّغة ٢/٢٤٧.

(•) الزَّنْدُ والزَّنْدَةُ: خشبتان يستقدح بهما فالسفلى زَنْدَةٌ والأعلى زَنْدٌ. لسان العرب ٣/١٩٥.

(٢) العين ٤/١٥٧- ١٥٨ (خدج).

(٣) مختار الصحاح ١٧٠

سواء أكان قبل النِّتاج أم ناقص الخَلْق مع تمام أيّامه، هذا في أصل الاستعمال اللّغويّ، وهو المعنى الحقيقي للّفظة، ثمّ انتقلت هذه الدّلالة إلى معنى مجازي لتدلّ على عدم تورية الزَّنْدَة.

والمنعم النظر في ذلك يجد أنّ أمر الترافق بين المسند (أَخْدَجَت) والمسند إليه (الزَّنْدَة) غير ممكن من الناحية الدّلاليّة المعجميّة. والسبب في ذلك أنّ الخِداج ممّا يتعلّق بكلّ ذاتِ مَنْسِمٍ أو ظِلْفٍ ـــ كما ذكر الخليل ـــ فنقول مثلاً: أَخْدَجَتِ النَّاقَةُ، البَقَرةُ، المَاعِزَةُ، وغيرها ممّا يترافق معها معجمياً. ولكنّ إسناده إلى (الزَّنْدَة) أضفى نوعا من اللاتجانس بين الفعل والفاعل؛ لأنّه لا يعقل أن يكون للزَّنْدَة ولد وتلقي به ناقص الخَلْق مع تمام أيّامه، أضف إلى ذلك أنّ الزَّنْدَة من الجمادات. إذن ما الذي سوّغ لنا مثل هذا الإسناد ؟ إنّه المجاز اللّغويّ. فلمّا كان الخِدَاجُ يدلّ على نقصانِ خَلْق الخَدِيج عند إسقاطه من أمّه مع تمام أيّام حَمْلِه، جاز لنا عن طريق التّشابه ـــ من باب شبكة العلاقات الكنائيّة ـــ أن نطلق على الزَّنْدَة التي لم تشتعل قولنا: (أَخْدَجَتِ الزَّنْدَةُ)؛ لأنّها نقصت عن التورية فلم تشتعل. قال الزمخشري: "وكُلُّ نُقْصَانٍ في شَيْءٍ يُستَعارُ له الخِدَاجُ"(١).

ومن أمثلة هذا المظهر كذلك لفظة (الذُّلّ)، قال الخليل: "الذُّلُّ مَصْدَر الذَّلُول أي المُنْقَاد من الدَّوابِّ، ذَلَّ، يَذِلُّ، ودابّةٌ ذَلولٌ: بَيِّنَةُ الذُّلِّ، ومن كلِّ شَيْءٍ أيضاً، وذَلَّلْتُهُ تَذْليلاً"(٢). قال الراغب:"الذُّلُّ: ما كانَ عَنْ قَهْرٍ، يقالُ: ذَلَّ يَذِلُّ ذُلاًّ، والذِّلُّ، ما كانَ بَعدَ تَصَعُّبٍ، وَشِماسٍ مِنْ غَيْرِ قَهْرٍ، ذَلَّ يَذِلُّ ذِلاًّ"(٣). وهذا يعني أنّ أصل الاستعمال اللّغويّ للفظة (الذُّلّ) هو الانقياد، ثمّ انتقلت دلالة هذه اللّفظة إلى معنى مجازي يدلّ على تَدَلّي عَنَاقِيد الكَرْم. قال الخليل: "ويقالُ للكَرْمِ إذا ذُلِّيَتْ عَناقيدُه قد ذُلِّلَ

---

(١) أساس البلاغة ٢١٧.

(٢) العين ١٧٦/٨ (ذل) .

(٣) المفردات ٣٣٠ .

تَذْلِيلاً"(٢). وهو ما أكّده الزمخشري بقوله: "ومن المجاز... ذُلِّلَ الكَرْم: دُلِّيَتْ عَناقِيدُه"(١). قال الله تعالى: ﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴾ [الإنسان:١٤].

في ضوء ما سبق نجد أنّ الخليل قد أسند الفعل المبني المجهول (ذُلِّل) إلى الضمير المستتر (هو) العائد على الكَرْم، والفعل في هذا التركيب الإسنادي لا يتصاحب إلاّ مع الإنسان أو الحيوان، فنقول على سبيل المثال: ذُلِّلَ الإنْسَانُ، الحِصَانُ، البَعيرُ، الأَسَدُ، وغيرها، لكنّ إسناده إلى (الكَرْم) أضفى على التركيب نوعاً من عدم القبول، لأنّ الكَرْم لا تُذَل، لكنّه ممكن إذا كان انزياحاً. فكأنّ القائل أراد أن يقول: إنّه لمّا كان الذُّلُّ يدلّ على الانقياد والضعف والهوان، جاز لنا عن طريق التّشابه ـ من باب شبكة العلاقات الكنائيّة ـ أن نطلق على تَدَلّي عَناقِيد الكَرْم قولنا: (ذُلِّل الكَرْم)، لأنّ تَدَلّي عَناقِيده إلى الأسفل تجعل عمليّة القطف سهلة على الجاني، ممّا يعني أنها ضعفت أمامه، وانقادت له، وأصبحت سهلة المنال.

وخلاصة ذلك، فإنّ اللّغة العربيّة تتوسع دلالياً من خلال التراكيب الإسناديّة سواء أكانت تراكيب اسميّة أم فعليّة، وذلك من خلال خرق علاقة الملاءمة الإسناديّة بين المسند والمسند إليه من قبل أبناء اللّغة، تماشياً مع قدراتهم العقليّة وحاجاتهم العصريّة، وذلك على مستوى اللّغة الفنيّة التي تعتمد على الكثير من الجمل المنزاحة التي قد تصل إلى درجة يصعب تفسيرها.

وأمثلة العلاقة الأفقيّة الإسناديّة الفعليّة كثيرة عند الخليل يضيق المجال عن ذكرها (٢).

---

(١) أساس البلاغة ٣٠١.

(٢) ينظر: ملحق (٢) في آخر الرسالة.

الفصل الثاني

علاقات الفضلات الأفقيّة

توطئة:

الجمل في اللّغة العربيّة لها تركيب خاص بها، إذ يأتي الفعل في الجملة الفعليّة أولاً يليه الفاعل ثمّ الفضلات. أمّا بناء الجملة الاسمية فالمبتدأ يأتي غالباً قبل الخبر ثمّ تأتي بعدهما الفضلات، والمشار إليه يأتي بعد الإشارة، والصلة تأتي بعد الموصول، والمنادى بعد أداة النداء... الخ. وتغيير بعض المواقع اللّفظيّة في الجملة له ما يبرره من الناحية الدلاليّة[١].

وتعد الفضلات من العناصر المكمّلة للجملة العربيّة التي تعتمد على المسند والمسند إليه، بالدرجة الأولى؛ لأنّه لا يستقيم كلام من غيرهما. أمّا الفضلات فهي زائدة على الإسناد، مهمة في دلالة التراكيب التي لا تركّز على الإسناد.

وهذا يقود إلى القول بوجود علاقة لغويّة تربط الفضلات بِعُمَد الجمل (المسند والمسند إليه) ضمن قانون الملاءمة والمجانسة، أي بوجود تصاحب بينها لتكتمل دلالة التراكيب. ولكن قد يحدث انزياح في هذه العلاقة تؤدي إلى جذب الانتباه وإعمال العقل بفضل ما فيها من انحراف يحتاج إلى تفسير. وربّما يصل الانحراف إلى درجة عدم القبول وعدم الفهم. عندها لابدّ من تحكيم الموقف اللّغوي لتغليب الرأي في التأويل.

ومن الفضلات[٢]:

١. المفاعيل الخمسة: (المفعول به، المفعول المطلق، المفعول فيه، المفعول لأجله، والمفعول معه).

---

(١) ينظر: البحث الدلالي عند الراغب الأصفهاني (رسالة ماجستير) ١٤٧.

(٢) ينظر: في البلاغة العربيّة، علم المعاني ٤١-٤٢.

٢. الحال.

٣. التمييز

٤. الوصف ... الخ.

وعندما استقرأتُ المادة اللّغويّة في معجم العين، وجدتُ نوعين من أنواع علاقات الفضلات الأفقيّة، هما:

١. **العلاقة الأفقيّة المفعوليّة:** وهي ما يكون المفعول به في الجملة الفعليّة مرتبطاً فيها بِعُمَد الجمل (المسند والمسند إليه).

٢. **العلاقة الأفقيّة الوصفيّة:** وهي ما تكون الصفة فيها مرتبطة مع الموصوف.

أولاً: العلاقة الأفقيّة المفعوليّة

العلاقة الأفقيّة المفعوليّة علاقة تركيبيّة ، يكون الفعل (المسند) فيها متعدياً إلى المفعول به، إذ تنشأ علاقة الملاءمة والمجانسة بين الفعل والفاعل والمفعول به كي تكتمل دلالة التركيب، ولكن قد يخرق أبناء اللّغة هذه العلاقة، تلبية لقدراتهم العقليّة ومتطلباتهم العصريّة،، وذلك على مستوى اللّغة الفنيّة التي تعتمد على الكثير من الجمل المنزاحة التي قد تصل إلى درجة يصعب تفسيرها.

علاقات التّشابه في العلاقة الأفقيّة المفعوليّة:

يتمّ انتقال دلالة الألفاظ من معناها الحقيقي في أصل الاستعمال اللّغوي لها إلى دلالة أخرى مجازيّة مستحدثة في العلاقة الأفقيّة المفعوليّة في كتاب العين عن طريق علاقتين من علاقات التّشابه، هما:

١ـ علاقة الاستعارة المكنيّة:

وردت جملة من الألفاظ في كتاب العين، انتقلت الدلالة فيها من المجال المحسوس إلى المجال المجرّد عن طريق علاقة الاستعارة المكنيّة، وكان التصاحب بين المسند والمسند إليه والمفعول به في العلاقة الأفقيّة المفعوليّة غير متجانس، من ذلك ما رواه الخليل عن أهل اللّغة من العرب حول لفظة (الجَنْي) فقال: "الجَنَى: الرُّطَبُ والعَسَلُ، وكلُّ ثَمَرةٍ تُجْتَنَى فهو جَنًى، مقصور. والاجْتِناء: أَخْذُكَ إيّاه، وهو جَنًى ما دام طَرِيّاً"[١]. قال ابن فارس: "الجيم والنون والياء أصلٌ واحدٌ، وهو أَخْذُ الثَّمَرةَ من شَجَرِها، ثمّ يُحمَل على ذلك، تقول جَنَيتُ الثَّمَرةَ أَجْنيها، واجْتَنَيْتُها. وثَمَرٌ جَنِيٌّ،

(١) العين ١٨٥/٦(جني).

أي أُخِذَ لوقْته"[1]. وقيل في المثل: "لاَ تَجْنِ مِنَ الشَّوْكِ العِنَبَ"[2]، وهذا يدلّ على أنّ المعنى الحقيقي للّفظة في أصل الاستعمال اللّغويّ لها يدلّ على تناول الثمار عن الأشجار، وهي دلالة ماديّة محسوسة، ولم تقف دلالة هذه اللّفظة عند هذا الحدّ من الدّلالة المحسوسة، بل تعدّتها عن طريق شبكة العلاقات المجازيّة — من باب الاستعارة المكنيّة — إلى دلالة مجرّدة لتدلّ على جرّ الجريرة، قال الخليل: "جَنَى فُلانٌ جِنَايَةً، أي: جَرَّ جَرِيْرَة على نفسه أو على قَوْمِه، يَجْنِي"[3]. وهذا ما أكّده الراغب عندما وقف عند قوله تعالى: ﴿ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾ [مريم:٢٥]، وقوله تعالى: ﴿ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾ [الرحمن:٥٤]. فقال: "جَنَيْتُ الثَّمَرةَ واجْتَنَيْتُها، والجَنْيُ: المُجتنى مِنَ الثَّمَرِ والعَسَلِ، وأكثَر ما يُستَعْمَل الجَنْيُ في ما كان غَضاً... واستُعِيرَ من ذلك جَنَى فُلانٌ جِنَايَةً"[4]. قال الشاعر[5]:

جَانِيكَ مَنْ يَجْنِي عَليكَ وَقَدْ

تُعْدِي الصِّحاحَ فَتَجْرَبُ الجُرْبُ

وعليه فإنّ تصاحب الفعل (جنى) مع فاعله (فلان) ممكن الحدوث، لكنّ المفعول به (جِنَايَة) اعترض الجانب اللّغويّ، وأضفى نوعاً من اللاملاءمة على التركيب الجُمَلي؛ لأنّ الجَنْيَ لا يكون إلاّ للثّمار، وتتصاحب معها، نحو: جنى فلانٌ الثّمارَ، العَسَلَ، العِنَبَ، وغيرها، أمّا تصاحبها مع الجِنَايَة فإنّه يمثّل خرقاً واضحاً لدلالة التركيب اللّغويّ على مستوى لغة الخطاب العاديّ. "غير أنّ

---

(١) مقاييس اللّغة١/٤٨٢.

(٢) مجمع الأمثال ٢/٢٣٠.

(٣) العين ٦/١٨٤(جني).

(٤) المفردات ٢٠٧- ٢٠٨.

(٥) البيت دون عزو في: العين ٦/ ١٨٥؛ تهذيب اللّغة ١١/١٩٦؛ لسان العرب١٤/١٥٤.

النظر في هذا الاستعمال يهدينا إلى أنّ (الجريرة) بمعنى الجناية والذنب آتية من أنّهم يزورون النساء للفجور بهنّ فإذا خرجوا منهنّ جرّوا ذيولهم على آثارهم حتى تنطمس فلا يُعْرَفُون. قال امرؤ القيس[1]:

خَرَجْتُ بِهَا أَمْشِي تَجُرُّ وَرَاءَنَا

عَلَى أَثْرَيْنا ذَيْلَ مِرْطٍ مُرَحَّلِ

وربما كان الفعل (جنى) في جنيت الثّمرة أجنيها جنى واجتنيتها بمعنى. والأصل في اجتناء الثّمرة تناولها من الشجر من غير إذن مالكها وهو ذنب قبيح فكان الاستعمال الحقيقي قولهم: (جنى جناية) بتناول الثّمرة من غير رخصة في أخذها ثمّ لشيوع مثل تلك الجناية صار مجرّد التناول وإن كان جائزاً اجتناء أو اقتناء"[2]. أي أنّ سبب انتقال دلالة هذا النمط إلى الدّلالة الجديدة كان التشابه في الوصول إلى الشّيء بطريقة غير شرعيّة وتناوله من غير إذن صاحبه بين تناول الثّمار من الشّجر وجرّ الجريرة على النفس أو على القوم. فالذي يتناول ثمار الشّجر من غير إذن صاحبها يُحاول طمس آثار فِعْلَته كي لا يُعرف، ومثله صاحب الجريرة يجرّ ذيله على آثاره حتى تنطمس فلا يعرف.

وحول لفظة(الخَضْد) التي رويت عن أهل اللّغة من العرب يقول الخليل: "الخَضْدُ، نَزْعُ الشَّوكِ عن الشَّجَر، وقال الله جَلَّ وعزّ ﴿ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴾ [الواقعة:٢٨]، أي: نُزِعَ شَوكُه"[3]. وقال ابن فارس في الدّلالة نفسها: "خَضَدْتُ الشّجَرَةَ، إذا كَسَرْتَ شَوكَها، ونباتٌ خَضيدٌ"[4]. وهذا

---

(١) ديوانه ٣٦.

(٢) التطور اللّغوي التاريخي ٤٤.

(٣) العين ٤/١٧٥(خضد).

(٤) مجمل اللّغة ٢١٦.

يعني أنّ دلالة لفظة (الخَضْد) في أصل الاستعمال اللّغويّ لها كانت تدلّ على نزع الشوك من الشجر، وهي دلالة مادّيّة محسوسة.

وتابع الخليل تطوّر دلالة هذه اللّفظة، فقال: "والبَعيرُ يَخْضِدُ عُنُق البَعِير، إذا قَاتَلَه"[1]. وهذا ما أكّده الراغب عندما شرح قوله تعالى: ﴿ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴾ [الواقعة:٢٨] ، فقال: "أي مَكْسُورِ الشَّوْكِ، يُقالُ: خَضَدْتُهُ فَانْخَضَدَ، فهو مَخْضُودٌ وخَضِيد، والخَضَدُ: المَخْضُودُ... ومنه اسْتُعِيرَ: خُضِدَ عُنُق البَعِيرِ، أي: كُسِرَ"[2]. ممّا يدلّ على أنّ دلالة اللّفظة قد انتقلت عن طريق شبكة العلاقات المجازيّة من معناها المادّيّ المحسوس إلى دلالة مجرّدة لتدلّ على مقاتلة البَعِيرِ للبَعِيرِ. قال الزمخشري: "ومن المجاز: خَضَدَ البَعِيرُ عُنُقَ البَعِير إذا قَاتَلَه"[3].

وعليه فإنّ الفعل (خَضَدَ) قد أسند إلى الفاعل (البَعِير) ودلالته التقليديّة تتمثّل في أنّ الخَضْدَ يتصاحب مع الشجر أو النبات ذي الأشواك، ولكنّه لا يتصاحب مع عنق البعير على مستوى لغة الخطاب العاديّ، إلاّ أنّه ممكن إذا كان انزياحاً، فكأنّ القائل يريد أن يقول: إنّه لمّا كان الخَضْدُ يدلّ على نَزْعِ الشَّوك من الشَّجَر، وهي عمليّة لا تؤثر على حياة الشجرة أو الغصن، جاز لنا عن طريق التشابه ــ من باب ا الاستعارة المكنيّة ــ أن نطلق على مُقَاتَلة البَعِير للبَعِيرِ قولنا: (خَضَدَ البَعِيرُ عُنُقَ البَعِيرِ) لأنّهما إذا تقاتلا ثنى أحدُهما عُنُقَ الآخر، وهذه العمليّة لا تؤثّر على حياة البعير الذي تثنى عنقه. أو لنقل إنّ البعير كسر شوكة البعير الآخر بثني عنقه كما يكسر شوك الشجر؛ ليصبح هو المسيطر على الساحة وليس خصمه.

---

(١) العين ١٧٥/٤(خضد).

(٢) المفردات ٢٨٥.

(٣) أساس البلاغة ٢٣٥.

وقال الخليل في لفظة (الدّكّ): "الدَّكُّ: كَسْرُ الحَائِطِ والجَبَلِ"[1]. وعندما فسّر الراغب تلك اللّفظة في قوله تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الحاقة:١٤]، قال: "الدَّكّ: الأرْضُ اللّيِّنَةُ السَّهْلَةُ، وقد دَكَّهُ دكًّا"[2]. أمّا ابن فارس فقد ذكر أنّ من الدّكّ: "الأرض الدّكاء، وهي الأرض العَرِيضَة المُسْتَوِيَة... ومنه الناقة الدّكاء، وهي التي لا سَنَام لها"[3]. وهذا يعني أنّ أصل الاستعمال اللّغويّ للفظة (الدّكّ) يدلّ على كَسْرِ الحائِط والجبل وتسويتهما بالأرض، ثمّ انتقلت دلالتها عن طريق المجاز الذي علاقته التّشابه إلى دلالة أخرى مستحدثة وضّحها الخليل بقوله: "وَدَكَّتْهُ الحَمَّى دَكًّا"[1]. أي: بَسَطَتْه الحُمَّى بَسْطاً، ومَدَّتهُ مَدّاً، وهذا ما أكّده الزمخشري بقوله: "ومن المجاز: دَكَّهُ المَرَضُ"[4].

ممّا سبق نجد أنّ كلام الخليل: (دَكَّتهُ الحُمَّى دَكًّا) قد حفل بانزياحين قائمين على اللاتجانس، فتعبير: (دَكّت الحُمَّى) /(إسناد فعلي)؛ إذ إنّ الحمى لا تَدُكّ، وليس من صفاتها الدّكّ. وتعبير: (دَكَّتْهُ الحُمَّى)/(فضلات؛ مفعول به)؛ إذا كيف تَدُكّ الحُمَّى الإنسان؟ فالدَّكّ ليس من الخصائص التي تتعلّق بالحُمَّى، ولا يتصاحب معها مصاحبة إسناديّة إلاّ إذا كان انزياحاً، إذ جعل الدّلالة بعيدة تحتاج إلى تفسير؛ لأنّه لا يتصاحب إلاّ مع مَنْ له يد القوّة والقَهْر، فنقول مثلاً: دَكّ اللهُ الجبلَ دَكّاً، ودَكّ الرجُلُ الحَائِطَ دَكّاً، وغير ذلك. ولكن لمّا كان الدَّكّ يعني كَسْرُ الحائط والجبل وتسويتهما بالأرض، جاز لنا عن طريق التّشابه ــ من باب الاستعارة المكنيّة ــ أن نطلق على مَنْ أصابته الحُمَّى قولنا: (دَكَّتهُ الحُمّى دَكّاً)؛ لأنّ مَنْ تصيبه الحُمَّى تَهُدّهُ هَدّاً، فيلزم فراشه ويتمدد منبسطاً على الأرض لا يقوى على شيء.

(١) العين ٥/٢٧٤(دك).

(٢) المفردات ٣١٦.

(٣) مقاييس اللّغة ٢/٢٥٩.

(٤) أساس البلاغة ٢٧٨.

وممّا رواه الخليل عن أصحاب اللّغة من العرب لفظة (الرَّشْق)، فقال: "الرَّشْقُ والخَزْقُ بالرَّمْي، ورَشَقْناهُم بالسِّهام رَشْقاً"[1]. قال ابن فارس: "الراء والشين والقاف أصلٌ واحدٌ، وهو رَمْي الشّيء بسهم وما أشبَهَه في خِفَّة. فالرَّشْقُ مصدر رشَقَه بسَهْمٍ رَشْقاً"[2]. وهذا هو المعنى الحقيقي للفظة (الرَّشْق) في ما وضعت له أولاً في اللّغة، وهي دلالة ماديّة محسوسة.

ولم تقف دلالة هذه اللّفظة عند هذا الحدّ من الدّلالة المحسوسة بل تعدّتها عن طريق شبكة العلاقات المجازيّة إلى دلالة مجرّدة لتدلّ على حِدَّة النظر ودِقَّته بالشيء، قال الخليل: "ورَشَقْتُ القَوْمَ ببَصَرِي، وأرْشَقْتُ فَنَظَرْتُ أي طَمَحْتُ بِبَصَرِي فَنَظَرْتُ"[1]. قال القَطَامي[3]:

وَلَقَدْ يَروعُ قُلُوبَهُنَّ تَكَلُّمِي

وَيَرُوعُني مُقَلُ الغَزَالِ المُرْشِقِ

قال الزمخشري: "ومن المجاز: رَشَقَتْني بِعَيْنِها، وأَرْشَقَتِ الظَبيةُ إلى ما رابها: أَحَدَّتْ النَّظَرَ"[4]. وقد استدلّ على ذلك بقول ذي الرُّمّة[5]:

كَمَا أَرْشَقَتْ مِنْ تَحْتِ أَرْطَى صَرِيمَةٍ

إلى نَبْأَةِ الصوْتِ الظِّبَاءُ الكَوَانِسُ

وعليه فإنّ تصاحب الفعل (رَشَقَ) مع فاعله (تاء المتكلّم) ومع المفعول به (القَوْمَ) فيما رواه الخليل: (رَشَقْتُ القَوْمَ بِبَصَرِي) ممكن الحدوث، ولكنّ الجار والمجرور (ببصري) اعترضا الجانب

---

(1) العين ٥/٣٧(رشق).

(2) مقاييس اللّغة ٢/٣٩٦.

(3) ديوانه ١٠٨.

(4) أساس البلاغة ٣٤٢.

(5) ديوانه ٤٠٦؛ وروايته: كَمَا أَتْلَعَتْ مِنْ تَحْتِ أَرْطَى صَرِيمَةٍ إلى نَبْأَةِ الصَوْتِ الظباءُ الكَوانِسُ
وقد أخلّت روايته بموطن الشاهد.

اللّغويّ، ممّا أضفى على التركيب الأسلوبي نوعاً من عدم القبول، لأنّ الرَّشْق لا يكون إلاّ بالسهام وما أشْبَهَها في خِفَّة، وتتصاحب معها. أمّا تصاحبها مع البصر لتدلّ على حِدّة النظر ودقّته بالشَّيءِ فإنّه يمثّل خرقاً واضحاً لدلالة التركيب الجُمَلِي على مستوى لغة الخطاب العاديّ، ولكنّه ممكن الحدوث إذا كان انزياحاً، فكأن القائل يريد أن يقول: إنّه لمّا كان الرَّشْق يدلّ على رمي الشَّيء بالسهم، وهي دلالة محسوسة، جاز لنا عن طريق التشابه ــ من باب الاستعارة المكنيّة ــ أن نطلق على حِدّة النظر بالشّيء والتدقيق به قولنا: (رَشَقْتُ الشَّيءَ بِبَصَرِي)، وهي دلالة عقليّة تجريديّة؛ لأنّ البصر كالسهم ينطلق من مركزه وهي العين ليَحُطّ على الأشياء، وكذلك السهام لا تنطلق إلاّ بعد تسديد وتصويب من قبل عين الرامي.

ومن أمثلة هذا الباب ــ أيضاً ــ ما ذكره الخليل عن أهل اللّغة من العرب من معانٍ للفظة(الرَّعْي)، فقال: "ورَعَى يَرْعَى رَعْياً. والرِّعْيُ: الكَلأُ. والرّاعِي يَرْعَاها رِعَايَة إذا ساسَها وسَرَحَها. وكلُّ مَنْ وَلِيَ مِنْ قَوْمٍ، فهو رَاعِيهم، والقَوْمُ رَعِيَّتُهُ"[1]. وقال الراغب: "الرَّعْيُ في الأصْلِ: حِفْظُ الحَيَوانِ، إمّا بغِذَائِه الحَافِظِ لحَياتِهِ؛ وإمّا بذَبِّ العَدُوِّ عنه. يُقال: رَعَيْتُه، أي: حَفِظْتُهُ، وأرْعَيْتُه: جَعَلْتُ له ما يَرْعَى. والرِّعْيُ: ما يرْعاهُ، والمَرْعى: مَوْضِعُ الرَّعْي"[2]. قال الله تعالى: ﴿كُلُوا۟ وَٱرۡعَوۡا۟ أَنۡعَـٰمَكُمۡۚ﴾ [طه:٥٤]. وهذا يدلّ على أنّ المعنى الحقيقي للفظة في أصل الاستعمال اللّغويّ لها يدلّ على حِفْظِ الحَيَوان من الجوع والعطش والأعداء، وهي دلالة عقليّة تجريديّة.

وتابع الخليل انتقال دلالة اللّفظة في ما رواه عن أصحاب اللّغة من العرب، فقال: "رَعَيْتُ النُّجُومَ، أي: رَقَبْتُها، وفلانٌ يَرْعَى فلاناً إذا تَعَاهَدَ أمْرَه"[1]. قال الزمخشري: "ومن المجاز: رَعَيْتُ

(١) العين ٢/٢٤٠(رعي).
(٢) المفردات ٣٥٧.

النُّجُومَ ورَاعَيْتُها، وطَالَتْ عليَّ رِعْيَةُ النُّجُومِ"[1]. قالت الخنساء[2]:

أرْعَى النُّجُومَ ومَا كُلِّفْتُ رِعْيَتَها

وَتَارَةً أتَغَشَّى فَضْلَ أطْمَارِي

ممّا يعني أنّ دلالة لفظة (الرَّعْي) قد انتقلت عن طريق شبكة العلاقات المجازيّة إلى دلالة ماديّة مستحدثة لتدلّ على مُراقَبَة النُّجُوم.

وعليه فإنّ الفعل (رعى) في قولنا: (رَعَيْتُ النجومَ) صحيح الإسناد إلى الفاعل، وهو تاء المتكلم (تَ)، ودلالته التقليدية تتمثّل في أنّ الرَّعْي يترافق مع مفعول به نحو: الإبل، الغنم، البقر، الخيل... الخ، وكذلك يترافق مع الإنسان قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ:" **كُلُّكُم رَاعٍ، وكُلُّكُم مَسؤول عن رَعِيَّتِهِ**"[3]. لكنّ المفعول به (النجوم) اعترض الجانب اللّغويّ، وأضفى على التركيب نوعاً من عدم القبول، إذ كيف تُرْعَى النُّجُوم وهي جمادات لا تأكل ولا تشرب لنُحافظ على حياتها؟ فهذا الأمر غير ممكن من الناحية المنطقيّة؛ لأنّ أهل اللّغة ابتعدوا من الناحية الدّلاليّة عن أداء الوظيفة المعجميّة للألفاظ، والذي سوّغ لهم ذلك أنّه لمّا كان الرَّعْي يدلّ على حفظ وسياسة وسَرَاح الرَّعِيَّة وذلك بمراقبتها ومتابعتها في مَرَاعيها في سراحها ورواحها، جاز لنا عن طريق التشابه ــ من باب الاستعارة المكنيّة ــ أن نطلق على مراقبة النجوم ومتابعتها في دورانها في أفلاكها وانتقال منازلها في كبد السماء قولنا: (رُعَيْتُ النجوم)، كيف لا وهي الدليل الوحيد للإنسان العربي على الطريق في الصحراء.

---

(١) أساس البلاغة ٣٥١.

(٢) ديوانها ٥٠.

(٣) صحيح البخاري ٤/٣٧٤.

وممّا أوقفنا عليه الخليل من أمثلة هذا النوع ما رواه عن العرب حول لفظة (الرُّكُوب)، فقال: "والرِّكْبَةُ، ضَرْبٌ والرُّكُوب، وإنّه لَحَسَنَ الرِّكْبة، ورَكِبَ فلانٌ فلاناً بأمرٍ وارْتَكَبَه، وكلُّ شَيءٍ علا شَيْئاً فقد رَكِبَهُ"[1]. قال الراغب: "الرُّكُوبُ في الأصل: كَوْن الإنسان على ظَهْر حَيَوان، وقد يُستَعْمل في السَّفينَة، والرَّاكِبُ اخْتَصَّ في التعارف بِمُمتَطي البَعِيْر، وجَمْعُه رَكْبٌ، ورُكْبَان، ورُكُوبٌ، واخْتَصَّ الرِّكَابُ بالمَرْكُوبِ"[2]. قال الله تعالى: ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾ [النحل:٨] ، وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ ﴾ [العنكبوت:٦٥]. وهذا هو المعنى الحقيقي للفظة (الرُّكُوب) في أصل الاستعمال اللّغويّ لها الذي يدلّ على عُلوّ شيء فوق شيءٍ آخر.

وتتبّع الخليل دلالة هذه اللّفظة عند أصحاب اللّغة من العرب، فقال: "ورَكِبَه الدَّيْنُ ونَحْوُه"[1]، أي: غَلَبَه. قال ابن القطّاع: "رَكِبَ الدَّابَةَ والشَّيءَ رُكُوباً، والرجُلَ بأمْرٍ قَبِيحٍ فَعَلَه بِه، والدَّيْنُ غَلَبَه"[3]. وهذا يدلّ على أنّ دلالة اللّفظة قد انتقلت من معناها المادّيّ المحسوس إلى دلالة عقليّة مستحدثة لتدلّ على غَلَبَة الدَّيْنِ و ثِقَلِ هَمِّه. قال الزمخشري: "ومن المجاز... رَكِبَهُ الدَّيْنُ"[4].

وإذا أنعمنا النظر في ما رواه الخليل: (رَكِبَه الدَّيْنُ) نجد أنّ أمر التوافق بين الفعل (ركب) والفاعل (الدّين) غير ممكن من الناحية المنطقيّة، لأنّ الفعل (ركب) ليس من الخصائص التي تتعلّق بالدَّيْن ولا يتصاحب معها مصاحبة إسناديّة إلاّ إذا كان انزياحاً، وممّا زاد الأمر بُعداً المفعول به (الهاء) في (رَكِبَه)، إذا جعل الدّلالة بعيدة تحتاج إلى تفسير؛ لأنّه لا يتصاحب إلاّ مع ما هو مادّيّ محسوس، فنقول: رَكِبَ الإنسانُ البَعِيرَ، الحصانَ، الحَيَوانَ، السورَ، وغير ذلك. ولكن لمّا كان الرُّكُوب يعني امتطاءَ الدابة واعتلاءَ ما يُركَب، جاز لنا عن طريق التشابه ـ من باب الاستعارة

(١) العين ٥/٣٦٣(ركب).

(٢) المفردات ٣٦٣.

(٣) الأفعال ١٩٩.

(٤) أساس البلاغة ٣٦٥.

المكنيّة– أن نطلق على مَنْ استَدَانَ وغَلَبَه الدَّيْن قولنا: (ركبه الدَّين)؛ لأنّ همّ المَدين وشغله الشاغل هو سداد الدَّيْنِ الذي ثقل عليه وأثقله، أي كأنّ الدَّين علا عَقْلَه وفِكْرَه، وَشَغَلَ مُعْظَم وَقْتِه.

ونقرأ في دلالة (السَّلْخ)، قول الخليل: "السَّلْخُ: كَشْطُ الإهَاب عن ذِيهِ، الإهَابُ نَفْسُهُ. ومِسْلاخُ الحَيَّةِ، قِشْرُهَا الذي يُنْسَلخ منها. والإنسانُ إذا مَحَشَهُ الحَرُّ، قيل: قد سَلَخَ الحَرُّ جِلْدَه فانْسَلَخَ، وقد تَسَلَّخَ جِلْدُه مِنْ دَاء"[١]. قال ابن فارس: "السين واللام والخاء أصلٌ واحدٌ، وهو إخْرَاجُ الشَّيءِ عن جِلْدِه. ثمّ يُحْمَلُ عليه. والأصل سَلَخْتُ جِلْدَةِ الشَّاةِ سَلْخاً"[٢]. وهذا يدلّ على أنّ أصل لفظة (السَّلْخ) هو نَزْعُ جِلْدِ الحَيَوان، وهو المعنى الحقيقي للفظة في أصل الاستعمال اللّغويّ، ثمّ انتقلت دلالة اللّفظة عن طريق شبكة العلاقات المجازيّة من معناها المادّيّ المحسوس إلى دلالة عقليّة مستحدثة لتدلّ على انتهاء الشهر والخروج منه. قال الخليل على لسان أصحاب اللّغة: "وسَلَخْتُ الشَّهْرَ: خَرَجْتُ منه، فَصِرتُ في آخرِ يَوْمٍ منه، وانْسَلَخَ الشَّهْرُ"[١]. وقال ابن فارس: "ومن قياس الباب: سَلَخْتَ الشَّهْرَ إذا صِرْتَ في آخِرِ يَوْمِهِ. وهذا مجاز. وانْسَلَخَ الشَّهْرُ، وانْسَلَخَ النَّهَارُ من اللّيل المُقْبِلِ"[٢]. قال الله تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ ﴾ [التوبة:٥]، قال تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ ﴾ [يس:٣٧]. لذلك يبدو لنا أن الفعل (سَلخ) في قولنا: (سَلَخْتُ الشَّهْرَ) صحيح الإسناد إلى الفاعل، وهو تاء المتكلم، ولكنّه لا يتصاحب بعد ذلك دلالياً إلاّ مع الجِلْدِ، أو مع ما يتعلّق به فيمكن أن نقول: سَلَخْتُ الجِلْدَ أو الإهَابَ أو اللِّحَاءَ... الخ. ولكنّ القائل عمد إلى استعمال المفعول به (الشّهْر)، وذلك لا يمكن على المستوى اللّغويّ العاديّ؛ لأنّ دلالة الفعل تتمثّل في أنّ السَّلْخ يتصاحب مع ما هو مادّيّ محسوس، ولا يتصاحب مع ما هو عقليّ مجرّد كما هو الحال مع لفظة (الشّهْر) التي جاءت مفعولاً به، والتي لا يمكن أن يكون السَّلْخ من خصائصها، أو

---

(١) العين ١٩٨/٤(سلخ).

(٢) مقاييس اللّغة ٩٤/٣.

متعلّقاتها، لكنّ علاقة التشابه هي التي سوّغت لنا هذا التصاحب، فلمّا كان السَّلْخ يدلّ على نزع جِلْد الحيوان عن جسده، جاز لنا عن طريق التشابه ـ من باب الاستعارة المكنيّة ـ أن نطلق على انتهاء الشهر والخروج منه قولنا: (سَلَخْتُ الشَّهرَ)؛ لأنّنا إذا طوينا أيام الشهر يوماً بعد يوم فكأنّنا نزعناها عنه كما يُنْزَع الجِلْد عن الحَيَوان.

ومن أمثلة هذا المظهر كذلك ما رواه الخليل حول لفظة (الشّبَع)، فقال: "الشِّبْعُ: أسم ما يُشْبِعُ من طعام وغيره. والشِّبَع مصدر شَبِعَ شِبَعاً فهو شَبْعان، وأَشْبَعْته فَشَبِع، قال[1]:

وكُلُّكُمُ قد نَالَ شِبْعاً لِبَطْنِه

وشِبْعُ الفتى لُؤْمٌ إذا جَاعَ صَاحِبُهْ

وامرأة شَبْعى وشبعانة"[2]. قال الجياني: "والشِّبْعُ: قَدْرُ ما يُشْبِعُ، ومَصْدَرُ شَبِعَ أيضاً"[3]. وهذا يعني أنّ أصل الاستعمال اللّغويّ للفظة (الشّبَع) يدلّ على امتلاء البَطْن من أكْلٍ وغيرِه، وهي دلالة مادّيّة محسوسة، ثمّ انتقلت دلالة هذه اللّفظة إلى معنى مجازي يدلّ على الارْتِوَاء، قال الخليل: "وأشْبَعْتُ الثَّوْبَ صِبْغاً، أي: رَوَيْتُه"[2] . قال ابن فارس: "الشين والباء والعين أصلٌ صحيحٌ يدلّ على امتلاء في أكْلٍ وغيرِه. من ذلك شَبِع الرجل شِبَعاً وشِبْعاً، ورجلٌ شبعانُ. ثم اشتُقَّ من ذلك أشْبَعْتُ الثوبَ صِبْغاً"[4].

في ضوء ما سبق يبدو لنا أنّ الفعل (أشْبَع) صحيح الإسناد إلى الفاعل، وهو تاء المتكلم في قولنا:(أشبعتُ الثوبَ صبغاً)، ولكنّه لا يتصاحب بعد ذلك دلالياً إلاّ مع الإنسان أو الحيوان، فيمكن أن نقول: أشبعتُ الإنسانَ الأكلَ، أو الغنم، أو الإبل، وغيرها، ولكنّ القائل هنا عمد إلى استعمال

(١) البيت دون عزو في: تهذيب اللّغة ١/٤٤٧؛ المحكم والمحيط الأعظم ١/٣٨٥؛ وهو في لسان العرب٨/١٧١معزوّ إلى بشر بن المغيرة بن المهلب بن أبي صفرة، والرواية فيه:"وكُلُّهُمُ" في موضع"وكُلُّكُمُ".

(٢) العين ١/٢٦٥(شبع).

(٣) إكمال الإعلام ٢/٣٢٦.

(٤) مقاييس اللّغة ٣/٢٤١.

المفعول به الثوب، وذلك لا يمكن على مستوى لغة الخطاب العاديّ؛ لأنّه ليس للثوب بطن حتى يَمْلأَه بالطعام والشراب، ولكنّه ممكن إذا كان انزياحاً، فكأنّ القائل يريد أنْ يقول: إنّه لمّا كان الشّبَع يدلّ على امتلاء البطن بالطعام والشراب، وهي دلالة ماديّة محسوسة، جاز لنا عن طريق التّشابه -من باب الاستعارة المكنيّة - أنْ نطلق على ارْتِواء الثّوْبِ بالصّبْغ قولنا: (أشبعتُ الثّوْبَ صِبْغاً)، وهي دلالة ماديّة أيضاً؛ لأنّ الإنسان أو الحيوان عندما يَشْبَع يَكُفُّ عن الطعام والشراب ومثله الثوب إذا صبغ؛ فإنّه يصل إلى درجة عدم امتصاص الصّبْغ وتَشَرُّبه.

و من أمثلة ذلك ما جاء حول لفظة (الشُّرْب)، قال الخليل: "شَرِبَ شَرْباً وشُرْباً، والشِّرْبُ: وقت الشُّرْب، والمَشْرَبُ: الوجهُ الذي يُشْرَب منه، ويكون مَوْضِعاً ومصدراً، قال(١):

ويُدْعَى ابن مَنْجُوفٍ أمَامِي كَأَنَّهُ

خَصِيٌّ أتَى للمَاءِ مِنْ غَيْرِ مَشْرَبِ

والمَشْرَبُ: الشَّرْبُ نَفْسُه، والشَّراب: اسمٌ لما يُشْرَبُ، وكلُّ شيءٍ لا يُمْضَغ فإنّه يقال فيه: يُشْرب"(٢). قال ابن فارس: "الشين والراء والباء أصلٌ واحدٌ منقاسٌ مطّرد، وهو الشُّرْبُ المعروف، ثم يُحمل عليه ما يقاربُه مجازاً وتشبيهاً، تقول: شَرِبْتُ الماء أشْرَبه شَرْباً، وهو المصدر"(٣). وهذا يعني أنّ المعنى الحقيقي للفظة (الشُّرْب) في أصل الاستعمال هو تَنَاولُ كلّ سائل، ماءً كان أو غيره، قال الله سبحانه وتعالى في صفة أهل الجنة: ﴿ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ [الإنسان:٢١]، وقال في صفة أهل النار: ﴿ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴾ [يونس:٤].

(١) البيت دون عزو في: تهذيب اللّغة ٣٥٣/١١؛ لسان العرب ٤٨٩/١؛ تاج العروس ١١٠/٣.

(٢) العين ٢٥٦/٦-٢٥٧(شرب).

(٣) مقاييس اللّغة ٢٦٧/٣.

وتتبع الخليل دلالة هذه اللّفظة، فقال: "والإشرابُ: لَوْنٌ قد أُشْرِبَ من لَوْن. يقال: أُشْرِب فُلانٌ حُبَّ فُلانٍ أي: خَالَطَ قَلْبَه"(١). قال الزمخشري: "ومن المجاز... وأُشْرِب الثّوبُ حُمْرَةً، وفيه شُرْبة من الحُمرة. أُشْرِبَ حُبَّ كذا"(٢). قال الله تعالى: ﴿وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة:٩٣]. وقال زهير ابن أبي سلمى(٣):

فَصَحَوْتُ عَنْها بَعْدَ حُبٍّ داخِلٍ

والحُبُّ تُشْرِبُهُ فُؤَادَك داءُ

وهذا يعني أنّ دلالة لفظة (الشُّرْب) قد انتقلت عن طريق شبكة العلاقات المجازيّة من معناها الماديّ المحسوس الدّال على تناول السوائل إلى معنى عقليّ مجرّد يدلّ على مخالطة الحُبّ قلب الإنسان، ممّا يعني أنّ ما رواه الخليل عن أهل اللّغة من العرب (أشرب فلان حبّ فلان) يحمل نوعاً من اللاملاءمة، إذ أُسند الفعل المبني للمجهول (أُشرب) إلى نائب الفاعل (فلان)، والفعل في هذا التركيب الاسناديّ فعل ماديّ محسوس، وإسناده إلى نائب الفاعل إسناد صحيح، إلاّ أنّه لا يتصاحب بعد ذلك دلالياً إلاّ مع السوائل أو ما يتعلّق بها، فيمكن أن نقول: أُشْرِب فلان الماءَ، أو العَصيرَ، أو الزيت، ولكنّ القائل هنا ابتعد كثيراً عن المصاحبة المباشرة معجمياً؛ لأنّه قال (حُبّ فلان)، فكيف يُشْرَب الحُبّ وهو شيء معنويّ مجرّد لا يدرك إلا بالعقل؟ ممّا جعل الدّلالة بعيدة تحتاج إلى تأويل، فكأنّه يريد أن يقول: إنّ ما يفعله السائل من ماء وغيره في جسم الإنسان عندما يخالط كلّ خليّة من خلاياه يجعل الجسم تحت سيطرته، الأمر الذي يجيز لنا عن طريق التشابه –من باب الاستعارة المكنيّة – أن نطلق على مَنْ أحبّ إنساناً أو شيئاً آخر حباً شديداً قولنا: (أُشْرِبَ

---

(١) العين ٢٥٨/٦(شرب).

(٢) أساس البلاغة ٤٨٤.

(٣) ديوانه ٢٦.

فلانٌ حُبَّ كذا)؛ لأنّ الحبّ الشديد للشيء يَمْلِكُ المُحِبّ ويسيطر على قلبه وعقله ولا ينازعه في هذا الحبّ شيء.

وقد تحذف بعض عناصر الجملة العربية فتؤثر تأثيراً واضحاً في دلالتها، فاللّفظ المحذوف لا يأتي اعتباطاً وإنّما لغرض دلالي، ففي قوله تعالى: (وأشربوا في قلوبهم العجل)، دلّ المحذوف على المبالغة وتضخيم الحدث، لأنّ معنى الآية: أُشْرِبَ في قُلُوبِهِمْ حُبُّ العِجْلِ، وذلك أنّ من عادة العرب إذا أرَادُوا العبارة عن مُخَامَرَةِ حُبٍّ أو بُغْضٍ، استعاروا له اسم الشَّرَاب، إذْ هو أبْلَغ إنْجَاع في البَدَن، ولو قيل: حُبُّ العِجْلِ لم يكن له المبالغة؛ لأنّ في ذكر العجل تنبيهاً إلى أنّ صورة العجل في قلوبهم لا تَنْمَحي لِفرْطِ شَغَفِهِم به[1].

وممّا وقف عليه الخليل من أمثلة هذا الصنف ما رواه عن أصحاب اللّغة من العرب حول لفظة (الفَكّ)، فقال: "فَكَكْتُ الشيءَ فانْفَكَّ. كَكِتَابٍ مَخْتُومٍ تَفُكُّ خَاتَمَه، وكما تَفُكُّ الحنكين تَفْصِل بينهما. والفكان: مُلتقَى الشِّدقَيْن من الجانبين. وفي فلانٍ فَكَكٌ، أي: أنَاثَة واسترخاء"[2]. وقال ابن فارس: "وفَكَكْتُ الشيءَ أفكُّهُ. وسقطَ فلانٌ فانفَكَّتْ قَدَمُهُ، أي: انفرَجَتْ. ولا يَنْفَكُّ يفعَلُ كما تقول: لا يَزالُ. والفَكَكُ: انْفِراجُ المَنْكِبِ عن مَفْصِلِه ضَعْفاً. والفَكَّان: مُلتَقى الشِدْقَيْنِ من الجانِبَيْنِ"[3]. وجاء في المثل: "مَقْتَلُ الرَّجُلِ بَيْنَ فَكَّيْه"[4]. وهذا يعني أنّ أصل الاستعمال اللّغوي للفظة (الفَكّ) يدلّ على التَّفَتُّح والانْفِرَاج، وهو المعنى الحقيقي للفظة، إلاّ أنّ هذه الدلالة قد انتقلت عن طريق المجاز الذي

---

(١) ينظر: المفردات ٤٤٩؛ البحث الدّلاليّ عند الراغب الأصفهاني،(رسالة ماجستير) ١٦٥- ١٦٧.

(٢) العين ٢٨٣/٥ - ٢٨٤(فك).

(٣) مجمل اللّغة ٥٤٩.

(٤) مجمع الأمثال٢١٩/٢.

علاقته التشابه إلى دلالة أخرى مستحدثه رواها الخليل بقوله: "وَفَكَكْتُ رَقَبَةَ فلانٍ: أعتَقْتُه"[١]. وهذا ما أكّده الزمخشري بقوله: "ومن المجاز... فكَّ رقبتَه: أعتقَه"[٢].

فالفعل (فكّ) في قول الخليل: (فَكَكْتُ رَقَبَةَ فلانٍ) مسند إلى تاء المتكلم، ودلالتــه التقليديــة تتمثّل في أنّ الفَكّ يترافق مع مفعول به يتسم بالتفتّح والانفراج، فيمكن أن نقول: فَكَكْــتُ العُقْــدَةَ، البابَ، السلاحَ، المفْصَلَ، ولكنّه لا يترافق مع (الرّقبة)؛ لأنّ لفظة (الرّقبة) قد تطوّرت عن طريــق انتقال مجال الدلالة لعلاقة غير التشابه بين المدلولين، وهو ما يسمى بالمجاز المرســل[٣]. فأصــل الرَّقَبَة: العُنُق، وهو المعنى الحقيقي للفظة في أصل الاستعمال اللّغوي، ثم انتقلت دلالتها إلى معنى مجازي لتدلّ على ذات الإنسان، وجُعِلَت في التعارف اسماً للمَمْلُوكِ أو المُكَاتَب[٤].

فالتطور الذي طرأ على دلالة هذه اللّفظة، ونقلها من الحقيقة إلى المجــاز كانــت علاقتــه الجزئية. وهذا يعني أنّه لا إشكال في مصاحبتنا بين الفعل (فكّ) والمفعول به (الرّقبة) قبل تطوّرها والتي تدلّ على العنق، ولكن دلالتها المتطوّرة هي التي أضفت على التركيب نوعاً من عدم القبول، إذ كيف يُفكّ الإنسان؟ وهل يُركّب بعد أن يُفكّ؟ لذلك فإنّ الأمر غير ممكن من الناحية المنطقيّة، لأنّ أهل اللّغة ابتعدوا من الناحية الدّلاليّة عن أداء الوظيفة المعجميّة للألفاظ، والذي سوّغ لهم ذلك أنّــه لمّا كان الفَكّ يدلّ على التفتّح والانفراج، جاز لنا عن طريق التشابه ـــ من باب الاستعارة المكنيّة ـــ أن نطلق على إعْتَاق الإنسان من العُبُوديّة والمُلْكيّة قولنا: (فَكَكْتُ رَقَبَةَ فلانٍ)؛ لأنّ إعتاق الإنــسان من العُبُوديّة يجعله حرّاً برأيه وحياته، منفتحاً على العالم الخارجي من حوله، حراً طليقاً كـــ(يــوم ولدته أمُّه).

---

(١) العين ٥/٢٨٤(فك).

(٢) أساس البلاغة ٧٢٤.

(٣) ينظر: دور الكلمة في اللغة ١٨٨.

(٤) ينظر: العين ٥/١٥٥(رقب)؛ المفردات ٣٦٢؛ أساس البلاغة ٣٥٩.

٢ـ علاقة الكناية عن صفة:

يمثّل هذا النوع من العلاقات جملة من الألفاظ التي انتقلت دلالاتها من الدلالة الحسيّة إلى دلالة أخرى مجرّدة، وكان التصاحب بين المسند والمسند إليه في العلاقة الأفقيّة المفعوليّة يمثّل شكلاً من أشكال اللاتجانس الدّلاليّ. فمن أمثلة هذا النوع ما رواه الخليل عن أصحاب اللّغة من العرب حول لفظة (الجَلْو)، فقال: "جلا الصَّيْقلُ السَّيْفَ جِلاءً، ممدود، واجتلاه لنفسه، قال لبيد[١]:

جُنُوحَ الهالكيِّ عَلَى يَدَيهِ

مُكِبّاً يَجْتَلِي نُقَبَ النِّصالِ

والماشِطَة تَجْلو العَرُوس جَلْوَةً وجِلْوَةً"[٢]. قال أبو علي القالي (ت٣٥٦هـ): "وقال الأصمعي: جَلَوْت العَرُوس أجْلُوها فهي مَجْلُوَّة، وجَلَوْت المِرْآة أجْلُوها فهي مَجْلُوَّة، ومصدرهما جميعاً جِلاء"[٣]. قال ابن فارس: "الجيم واللام والحرف المعتل أصلٌ واحدٌ، وقياس مطّرد، وهو انكشاف الشيء وبروزه. يقال جَلَوتُ العَرُوس جَلْوَة وجَلاءً، وجَلَوْت السَّيْف جَلاَءً"[٤]. وهذا هو المعنى الحقيقي للّفظة في أصل الاستعمال اللّغويّ لها، وهي دلالة مادّيّة محسوسة، ثمّ انتقل معناها عن طريق شبكة العلاقات المجازيّة إلى دلالة مجرّدة لتدلّ على توضيح الأمْر، من جهة، وانكشاف المَرَض، من جهة أخرى، قال الخليل: "وأمْر جَلِيٌّ واضح. وتقول: أجْلُ لنا هذا الأمر، أي أوْضِحْهُ... وتقول: جَلا اللهُ عنك المَرَضَ، أي: كَشَفَه"[٢]. وهذا ما أكّده الزمخشري بقوله: "و من

---

(١) ديوانه ٦٨.

(٢) العين ٦/١٧٩– ١٨٠(جلو).

(٣) الأمالي ١/٢٤٥.

(٤) مقاييس اللّغة ١/٤٦٨.

المجاز... جَلا اللهُ عَنْكَ المَرَض. وهذا أمرٌ جليٌّ، وأَخْبِرْني عن جَلِيَّةِ الأمر وهي ما ظهر من حقيقته"(١).

فلو نظرنا إلى ما رواه الخليل عن العرب: (اُجْلُ لنا هذا الأمر) فإنّنا نجد أنّ أمر الترافق بين فعل الأمر(أجل) وفاعله الضمير المستتر فيه الذي يدلّ على المخاطب(أنت) وارد من الناحية المعجميّة، وأنّ دلالة الفعل تتمثّل في أنّ الجَلْو يترافق مع ما هو ماديّ محسوس، نحو: السَّيْف، العَرُوس، المَرْأة، الماعُون، المَعَادِن، وغير ذلك، ولكنّه لا يترافق مع ما هو مجرّد كما هو الحال مع لفظة الأمر التي جاءت بدلاً، والتي لا يمكن أن يكون الجَلْو من خصائصها أو متعلّقاتها، لكن علاقة التشابه هي التي سوّغت لنا هذا التصاحب. فلّما كان جَلْو السَّيْف والفِضّة يدلّ على صَقْلِها وكشف صَدَئِها، جاز لنا عن طريق التشابه ــ من باب شبكة العلاقات الكنائيّة ــ أن نطلق على توضيح الأمر قولنا: (اُجْلُ لنا هذا الأمر)؛ لأنّنا إذا أزلنا ما يَلفُّ الأمر من غموض، ودعّمناه بالأدلة والبراهين، فإنّنا نبرزه بصورة واضحة جليّة كي يعرفه الآخرون دون ريب أو شكّ.

وكذلك قول الخليل: (جَلاَ اللهُ عَنْكَ المَرَضَ). فإنّ المرض لا يُجْلى، وهو ليس من مصاحبات الفعل (جَلا)، ممّا يعدّ انزياحاً عن القاعدة اللّغويّة، لذلك كانت الدّلالة بعيدة تحتاج إلى تأويل، فكأنّه يريد أن يقول: إنّ المرض يُعدّ عَارِضاً للإنسان، وهو كالصدأ الذي يُعدّ عارضاً للسَّيْف، فعندما يُجْلى السيف؛ فإنّ ذلك يدلّ على صَقْلِه وكَشْف صدئه، وكذلك جَلْي المرض عن الإنسان والحيوان وغيرهما؛ فإنّه يدلّ على كَشْف شِدَّة فَتْكِه وضَرَرِه بهما؛ لأنّه بذهاب المرض يعود الإنسان والحيوان إلى ما كان عليه سابقاً سليم الجسم معافى البَدَن.

---

(١) أساس البلاغة ١٣١.

ومن أمثلة هذا المظهر ما قيل في لفظة (الخَلَق)، قال الخليل: "خَلُقَ الثَّوْبُ يَخْلُقُ خُلُوقةً، أي: بَلِيَ، وأَخْلَق إخْلاَقاً"[1]. قال ابن السكيّت (ت٢٤٤هـ): "يُقال: أَخْلَقَ الثَّوبُ، وَخَلُقَ، وَمَحَّ، وَأَمَحَّ... ويُقال لِلْخَلَقِ: دِرْسٌ، وَدَرْسٌ، وَدَرِيسٌ. وَهِيَ الدِّرْسَانُ وَدَارِسٌ وَدُرْسَانٌ، والحَشِيفُ الثَّوبُ الخَلَقُ"[2]. وقد استدل على ذلك بقول الأعشى[3]:

ألا يَا قَتْلَ قَدْ خَلُقَ الجَدِيدُ

وَحُبُّكِ ما يَمِحُّ وَما يَبِيدُ

وهذا يعني أنّ أصل الاستعمال اللّغويّ للفظة (الخَلَق) يدلّ على امْلاَسِّ الشَّيءِ ولينه، وذهاب زِئبره، وهي دلالة مادّيّة محسوسة، ثمّ انتقلت دلالتها عن طريق شبكة العلاقات المجازيّة إلى دلالة أخرى جديدة لتدلّ على بذل ماء الوجه في السؤال، وهي دلالة معنويّة مجرّدة. قال الخليل: "ويقال للسَّائِل: أَخْلَقْتَ وَجْهَكَ"[1]. وقال الزمخشري: "ومن المجاز... يقال للسائل: أَخْلَقْتَ وَجْهَكَ"[4]. وورد في المعجم الوسيط: "وأَخْلَقَ السَّائِلُ مَاءَ وجهه: بَذَلَهُ في السُّؤال"[5].

وعليه فإنّ الفعل (أَخْلَقَ) صحيح الإسناد إلى الفاعل، وهو تاء المخاطب في قولنا: (أَخْلَقْتَ وجْهَكَ)، لكنّه لا يتصاحب بعد ذلك دلالياً إلاّ مع ما هو مصنوع، فيمكن أن نقول: أَخْلَقْتَ الثَّوْبَ، أو الدِّينَارَ، أو الكِتَابَ... الخ، أمّا قول الخليل: (أَخْلَقْتَ وَجْهَكَ) فهو غير ممكن على المستوى اللّغويّ العاديّ، ولكنّه ممكن إذا كان انزياحاً، فكأنّه يريد أن يقول: إنّه لمّا كان الإخْلاَقُ يدلّ على امْلاَسِّ الشيء وذهاب زِئبره، جاز لنا عن طريق التشابه ــ من باب شبكة العلاقات الكنائيّة ــ أن نطلق

(١) العين ٤/١٥١(خلق).

(٢) كنز الحفّاظ ٥٢٠-٥٢١.

(٣) ديوانه ٣٧.

(٤) أساس البلاغة ٢٤٨.

(٥) المعجم الوسيط ١/٢٦١.

على مَنْ يبذل ماء وجهه في السؤال قولنا: (أَخْلَقْتَ وَجْهَكَ)؛ لأنّ الذي يسألُ الناس شيئاً يُذِلُّ نفسَه، ويَذْهَبُ بهاءُ وَجْهِهِ ونَضَارَتُه كما يذهب بهاء الثوب ونضارته إذا بَلِيَ.

ومن ذلك ــ أيضاً ــ ما ذكره الخليل عن العرب حول معنى لفظة (الدَفْق) إذ قال: "دَفَقَ المَاءُ دُفُوقاً ودَفْقاً إذا انصبّ بمرّة"[1]. قال ابن فارس: "الدّال والفاء والقاف أصلٌ واحدٌ مطّردٌ قياسه وهو دفْع الشّيء قُدُماً. من ذلك: دَفَقَ الماءُ، وهو ماءٌ دافق. وهذه دُفْقَةٌ مِنْ ماءٍ"[2]. وقال ابن مالك الجياني: "الدَّفْقَةُ: المَرَّةُ مِنْ دَفَقَ الماءَ: صَبَّهُ، والإِنَاءَ: صَبَّ ما فِيْهِ"[3]. وهذا هو المعنى الحقيقي للّفظة في أصل الاستعمال اللّغويّ لها، إلاّ أنّ دلالة هذه اللّفظة قد انتقلت عن طريق المجاز الذي علاقته التشابه ــ من باب شبكة العلاقات الكنائيّة ــ إلى دلالة أخرى جديدة لتدلّ على مجيء القوم دفعة واحدة. قال الخليل: "جاء القوم دُفْقَةً أي بِدُفْعَةٍ واحدةٍ"[1]. وهذا ما أكّده الراغب عندما وضّح معنى قوله تعالى: ﴿ مَّآءٍ دَافِقٍ ﴾ [الطارق:٦]: "بأنّه سائل بسرعة. ومنه استعير: جاءُوا دُفْقَةً"[4]. أمّا الزمخشري فقد ذكر أنّ من المجاز قولهم: "جَاءَ القَوْمُ دُفْقَةً واحدةً، أي: جاءُوا بمرة"[5].

ممّا سبق نجد أنّ الفعل (جَاءَ) في قول الخليل: (جاء القوم دُفْقَة) صحيح الإسناد إلى الفاعل (القوم)، وهما من الألفاظ التي يمكن أن تترافق معاً، ويستقيم الكلام بهما، إلاّ أنّ الحال (دُفْقَة) جعل الدّلالة بعيدة تحتاج إلى تأويل؛ لأنّها لا تتصاحب إلاّ مع السوائل أو ما يتعلّق بها، فنقول مثلاً: دَفَقَ المَاءُ، الحِبْرُ، والعَصِيرُ، الشّرَابُ، وغيرها. أمّا قول الخليل: (جاء القوم دُفْقَةً)؛ فإنّه غير ممكن على مستوى الخطاب اللّغويّ العاديّ إلاّ إذا كان انزياحاً عن القاعدة اللّغويّة، فهو يريد أن يقول: إنّه لمّا

(١) العين ٥/١٢٠(دفق).

(٢) مقاييس اللّغة ٢/٢٨٦.

(٣) إكمال الإعلام ١/٢١٨.

(٤) المفردات ٣١٦.

(٥) أساس البلاغة ٢٧٦.

كان الماء ينصبّ دفعةً واحدةً من فوّهة مكمنه بسرعة دون إسهاب ولين أو ترتيب لقطراته، جاز لنا عن طريق التشابه أن نطلق على القوم الذين يأتون دفعة واحدة قولنا: (جَاءَ القَوْمُ دُفْقَةً واحدةً)؛ لأنّهم عندما يأتون مرّة واحدة يكونون غير منظّمين وغير مرتّبين وإنّما يأتون كالكتلة التي تجمّعت أجزاؤها بعضها مع بعض.

وقال الخليل في لفظة (الذَّوْق) التي رواها رواية حيّة عن العرب: "ذَاقَ يَذُوقُ ذَوْقاً ومَذَاقَةً ومَذَاقاً وذَوَاقاً. وذَوَاقُه ومَذَاقُه طَيِّبٌ أي طَعْمُه"[1]. وورد في المعجم الوسيط أنّ: "الذَّوْق: الحاسّةُ التي تُمَيِّزُ بها خواص الأجسام الطَّعْمِيَّة بواسطة الجهاز الحسّيّ في الفم، ومركزه اللّسان"[2]. إذن، الذوق تعني: وجود الطعم بالفم لما قلّ تناوله دون ما يكثر، فإن كثر فهو الأكل، وهذا يدلّ على أنّ أصل لفظة (الذَّوْق) استعمل في حقيقته للمعنى المادّيّ المحسوس.

وتتبع الخليل انتقال دلالة اللّفظة، فقال:" وذُقْتُ فُلاناً وذُقْتُ ما عنده، وما نَزَل بكَ مكروهٌ فقد ذُقْتَه"[1]. وهو ما أكّده الزمخشري فقال: "ومن المجاز: ذُقْتُ فُلاناً، وذُقْتُ ما عنده... ودَعْنِي أَتَذَوَّقُ طَعْمَ فُلانٍ. وتَذَوَّقْتُ طَعْمَ فِرَاقِه"[3]. ممّا يدلّ على أنّ تلك اللّفظة قد انتقلت دلالاتها عن طريق شبكة العلاقات المجازيّة إلى دلالة معنويّة مستحدثة لتدلّ على انبساط النَّفْس، أو انقباضها، أو فخرها واعتزازها، أو كراهيتها للأشياء ونبذها. لأنّ "الذَّوْق في الأدب والفن: حاسّة معنويّة يصدر عنها انبساط النفس أو انقباضها لدى النظر في أثر من آثار العاطفة أو الفكر"[2]. قال الله تعالى: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾ [الدخان:٤٩].

---

(١) العين ٥/٢٠١(ذوق).

(٢) المعجم الوسيط ١/٣٢٩.

(٣) أساس البلاغة ٣٠٥ - ٣٠٦.

وعليه فإنّ أمر الترافق بين الفعل (ذاق) والفاعل (تاء المتكلم) في قول الخليل: (ذُقْتُ فلاناً) وارد من الناحية المعجميّة، أي أنّنا اسندنا إلى ضمير المتكلّم (تُ) الذوق، ولكنّ الذي جعله غير متجانس من الناحية العقليّة هو المفعول به (فلاناً)، إذ كيف يتذوق الإنسان إنساناً؟ وهل أصبح الإنسان طعاماً ليتذوّقه الآخرون؟ لا بل، كيف يتذوق الإنسان مكروه غيره؟ كما قال الخليل: (ومَا نَزَلَ بِكَ مَكْرُوه فقد ذُقْتُه)، والكلّ يعلم أن المكروه من الأمور المعنويّة التي لا تُدْرَكُ إلاّ بالعقل، وهو خلاف المأكولات والمشروبات التي تعدّ من العناصر المحسوسة، والتي تتصاحب مع الفعل (ذاق). لذلك مثّل قولا الخليل: (ذُقْتُ فُلاناً، وما نزل بك مكروه فقد ذقته) خرقاً واضحاً للتصاحب اللّغويّ على مستوى الخطاب اللّغويّ العاديّ، ولا يقبل إلاّ إذا كان انزياحاً، فكأنّه يريد أن يقول: إنّه لمّا كان الذَّوْق يدلّ على طَعْم الأجسام الطَّعْمِيَّة بواسطة الجهاز الحسّيّ في الفم، ومركزه اللّسان، جاز لنا عن طريق التّشابه ــ من باب شبكة العلاقات الكنائيّة ــ أن نطلق على اختبار الأشياء غير الطّعْمِيّة وتجريبها وتمييزها عن طريق العقل قولنا: (ذُقْتُ فُلانًا / وذُقْتُ ما عِنْدَه / وذُقْتُ المَكْرُوهَ)؛ لأنّ العقل كاللّسان في اختبار الأشياء وتمييزها، فمثلما يميّز اللّسان بين الحلو والمرّ، والحامض والمالح، والطيب والفاسد من المأكولات والمشروبات، يميّز العقل بين المسالم والماكر، وطيب القلب والحاقد، والضار والنافع، والطيّب والخبيث، وهذا كلّه ــ سواء أكان من اللّسان أو العقل ــ ينعكس على النَّفْس، فإمّا أن تفرح وإمّا تحزن، وإمّا أن تُحِبّ وإمّا تَكْره وإمّا أن تفتخر وإمّا تَعْتزّ...الخ.

وممّا جاء من هذا الصنف ما رواه الخليل عن أصحاب اللّغة من العرب حول لفظة (السَّلْق) فقال: "والسَّليقةُ: مَخْرَجُ النِّسْعِ في دَفِّ البَعير، واشْتِقاقُه من: سَلَقْتُ الشيءَ بالماءِ الحَارّ، وهو أن يذهب الوَبَرُ والشَّعْر ويبقى أَثَرُه، فلمّا أحْرَقَته الحبال شُبِّهَ بذلكَ فسُمِّيَتْ سَلائقَ"(١). قال ابن منظور:

---

(١) العين ٥/٧٧(سلق).

"وسَلَق الشيءَ بالماء الحَارّ يَسْلُقه سَلْقا: ضَرَبَه، وسَلَقَ البَيْضَ والبقلَ وغيرَه بالنار أغْلاهُ"[1] ــ وما زال أهل الشام يطلقون على الحِنْطَة المغليّة بالماء الحارّ لفظة (السَّليْقَة) التي يصنعون منها مادة البُرْغُل ــ وهذا يعني أنّ دلالة لفظة (السّلْق) في أصل وضعها اللّغويّ كانت تدلّ على غلي الأشياء بالماء الحارّ، ممّا يعني أنّ أصل اللّفظة قد استعمل في حقيقته للمعنى المادّيّ المحسوس، ثمّ انتقلت دلالة هذه اللّفظة عن طريق شبكة العلاقات المجازيّة إلى دلالة عقليّة مستحدثة وضّحها الخليل على لسان أهل اللّغة بقوله: "سَلَقْتُهُ باللّسان: أسْمَعْتُه ما كَرِهَ فأكْثَرْتُ عليه"[2]. قال ابن فارس: "ويقال: سَلَقْتُهُ بالكَلامِ: أسْمَعْتُه المَكْرُوهَ"[3]. وهو ما أكّده الزمخشري بقوله: "ومن المجاز: سَلَقَهُ بلسانه، ولِسان مِسْلَق وسَلاَّق"[4]. قال الله تعالى: ﴿ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ ﴾ [الأحزاب:١٩]. نخلص من هذا إلى أنّ أمر الترافق بين الفعل والفاعل والمفعول به في قولنا:(سَلَقْتُهُ باللّسان) ممكن الحدوث من الناحية المعجميّة، ولكنّ الذي جعله غير مقبول من الناحية المنطقيّة هو الجار والمجرور اللذان اتخذا دوراً دلالياً فاعلا. إذ كيف يُسْلَق الشيء (الإنسان) باللّسان؟ ولكن لمّا كان السّلْق يدلّ على غلي الأشياء بالماء الحَارّ، جاز لنا عن طريق التّشابه ــ من باب شبكة العلاقات الكنائيّة ــ أن نطلق على مَنْ يُوجّه إليه كلامٌ يَكْرَهه قولنا: (سَلَقْتُه باللّسان)؛ لأنّ الإنسان الذي يوجّه إليه كلام يكرهه يَغْلي ويَفُور ويَزْداد غضباً، وهو بذلك كالسّليقة التي تغلي وتزداد سخونة في القِدْر من شدّة حرارة النار. قال ابن عبّاد (ت٣٨٥هـ): "سَلَقْتُه بِلِسَاني: أَسْمَعْتُه ما كَرِهَ فأَكْثَرْتُ؛ سَلْقاً"[5].

(١) لسان العرب ١٠/١٦٠.

(٢) العين ٥/٧٦(سلق).

(٣) مجمل اللّغة ٣٥٦-٣٥٧.

(٤) أساس البلاغة ٤٥٤.

(٥) المحيط في اللّغة ٥/٢٨٧.

ومنه كذلك لفظة (الضَّجْع). قال الخليل على لسان أهل اللّغة من العرب: "ضَجَعَ فلانٌ ضُجُوعاً؛ أي نَامَ، فهو ضَاجِع... وأضْجَعْتُه: وضَعْتُ جَنْبَه بالأرض، وضَجَعَ هو ضَجْعاً، وكلَّ شيء خَفَضْتَه فقد أضْجَعْتَه"(١). قال الجوهري: "ضَجَعَ الرَّجُلُ، أي وضَعَ جَنْبَه بالأرض، يَضْجَعُ ضَجْعاً وضُجُوعاً، فهو ضاجِعٌ. واضْطجَعَ مثله، وأضْجَعْتُهُ أنا. وفلانٌ حَسَنُ الضِجْعَةِ، مثال الرِكْبة والجِلْسة"(٢). وهذا يعني أنّ أصل دلالة (الضَّجْع) استعمل في حقيقته للمعنى الماديّ المحسوس، وهو إلصاق الجنب بالأرض، ثمّ انتقلت دلالة هذه اللّفظة إلى معنى مجازي – من باب شبكة العلاقات الكنائيّة – لتدلّ على إضعاف الرأي والتقصير فيه. قال الخليل: "وتقول أضْجَعَ رَأْيَهُ لِغَيْرِه"(١). قال ابن فارس: "ومن الباب: ضَجَّع في الأمر، إذا قَصَّر، كأنّه لم يقُم به واضْطَجَع عنه، ويقال: رَجُلٌ ضَجُوعٌ، أي: ضَعِيفُ الرَّأي"(٣). وهذا ما أكّده الزمخشري، فقال: "ومن المجاز: ضَجَّعَ في الأمْر: قَصَّر فيه، وتَضَاجَع عن الأمْر: تَغَافَل عنه"(٤).

نخلص من ذلك إلى أنّ دلالة لفظة (الضَّجْع) قد انتقلت من معناها الماديّ المحسوس الدّال على إلصَاقِ الجَنْبِ بالأرض إلى معنى عقليّ مجرّد يدلّ على إضْعَافِ الرَّأي والتَّقْصِير فيه، ممّا يعني أنّ ما رواه الخليل عن أهل اللّغة من العرب (أَضْجَعَ رَأْيَه لِغَيْرِه) يحمل نوعاً من اللاتجانس، لأنّ الفعل (أَضْجَعَ) مسند في هذا القول إلى ضمير الغائب المستتر (هو)، والفعل في هذا التركيب الاسناديّ فعل ماديّ محسوس، وإسناده إلى الفاعل إسناد صحيح، لكنّه لا يتصاحب بعد ذلك دلالياً إلاّ مع مصاحب ماديّ محسوس، كأن نقول: أَضْجَعْتُهُ، وأضجَعَتْ المرأةُ صَبِيَّها. لكنّ القائل هنا ابتعد كثيراً عن المصاحبة المباشرة معجميّاً؛ لأنّه قال: (أَضجَع رأْيَهُ)، إذ أضفى الفعل الحسّيّ على

(١) العين ٢١٢/١(ضجع).

(٢) الصّحاح ١٢٤٨/٣.

(٣) مقاييس اللّغة ٣٩٠/٣.

(٤) أساس البلاغة ٥٥٥.

الأمر المعنويّ، فالرأي أمر معنويّ ولا يقع عليه الضَّجْع، وهو أمر ماديّ، ممّا جعل الدّلالة بعيدة تحتاج إلى تفسير، فكأنّه يريد أنْ يقول: إنّه لمّا كان الضَّجْع يدلّ على إلصاق جنب الإنسان بالأرض إمّا للرّاحة والنوم، وإمّا لضعف في قوة الجسم الذي أجبرته قوة أخرى للخضوع والميل إلى الأرض ليلتصق بها، الأمر الذي يجيز لنا عن طريق التّشابه ــ من باب شبكة العلاقات الكنائيّة ــ أن نطلق على مَنْ ضَعُفَ رأيه وقصّر فيه قولنا: (أضجع رأيه لغيره)؛ لأنّ مَنْ يُتْبِع رأيه لغيره كأنّه لم يَقُم به وأضْطَجع عنه، وأمَالَهُ لرأي الآخرين، ممّا يدلّ على ضعفه والتقصير فيه.

ومن أمثلة هذا القسم ــ أيضاًــ ما رواه الخليل عن أصحاب اللّغة من العرب حول لفظة (الطَّيّ)، فقال: "تَقُولُ: طَوَيْتُ الصَّحِيْفَةَ أَطْوِيها طَيّاً، فالطَّيّ: المصدر، وطَوَيْتَها طَيَّةً واحدة، أي: مرةً واحدةً، وإنّه لحَسَن الطِّيَّة، لا يُراد به المرّة الواحدة، ولكن ضربٌ من الطِّيِّ مثل: الجِلْسة والمِشْية يراد: نوع منه، قال ذو الرُّمّة[1]:

أم دمنةٌ نَسَفَتْ عنها الصَّبا سُفَعاً

كما تُنَشَّرُ بعد الطِّيَّةِ الكُتُبُ

فكسر الطاء لأنّه أراد نوعاً من الطَّيِّ في الحُسْن أو القُبْح"[2]. قال ابن فارس: "الطاء والواو والياء أصلٌ صحيحٌ يدلّ على إدراج شيء حتى يُدْرَج بعضُه في بعض، ثم يُحْمَل عليه تشبيهاً، يُقَال: طَوَيْتُ الثَّوب والكتاب طَيّاً أطْوِيه"[3]. وهذا يعني أنّ المعنى الحقيقي للفظة (الطَّيّ) في أصل الاستعمال اللّغويّ لها هو ثَنْي الشيء وعَدَم نَشْرِه وإدْرَاج بَعْضه ببَعْض، إلاّ أنّ هذه الدّلالة قد انتقلت من معناها الماديّ المحسوس عن طريق المجاز الذي علاقته التّشابه إلى عدّة دلالات عقليّة

---

(١) ديوانه ٥، وروايته: "مِنْ دِمْنَة" في موضع "أم دِمْنَة"، ولم تخلّ الرواية بموطن الشّاهد.
(٢) العين ٧/٤٦٤-٤٦٥ (طوي).
(٣) مقاييس اللّغة ٣/٤٢٩.

مستحدثة رواها الخليل بقوله: "ويقال: طَوَى اللهُ لَكَ البُعْدَ، أي قَرَّبَه، وفلانٌ يَطْوي البِلادَ، أي: يَقْطَعُها بلداً عن بلدٍ... وطَوّى فلانٌ كَشْحَهُ، أي: ذهب لِوَجْهِه، قال[1]:

وصَاحِبٍ قد طَوَى كَشْحاً فَقُلْتُ لَهُ

إنّ انْطِواءَكَ هذا عَنْكَ يَطْوِيني

وطَوَى عني نَصيحَتَه، أي كَتَمَها... وطَوَى فُلانٌ نَهَارَه جَائِعاً يَطْوِي طَوًى فهو طَاوٍ"[2]. قال الزمخشري: "ومن المجاز... طَوَى عنّي كَشْحاً، وضَرَبَ عني صَفْحَاً... وأدْرَجَني في طَيِّ النِّسْيَان، وطَوَى اللهُ لَكَ البُعْدَ، وهو يَطْوِي البِلادَ"[3]. قال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ﴾ [الأنبياء:١٠٤].

والمنعم النظر في تلك الدلالات المتطوّرة، يجد أنّ الخليل قد روى جُمْلَةً من الجُمَل كان التصاحب الدّلاليّ فيها في الفضلات، يمثّل خرقاً واضحاً للتصاحب اللّغويّ، أحدها؛ قول القائل: (طَوَى اللهُ لَكَ البُعْدَ). إذ يبدو لنا أنّ الفعل (طَوَى) صحيح الإسناد إلى الفاعل، وهو لفظ الجلالة (الله)؛ ولكنّه لا يتصاحب بعد ذلك دلالياً إلاّ مع ما هو ماديّ. أمّا المفعول به (البُعْد) فهو من الأمور التي لا تدرك إلا بالعقل، لذلك ابتعد القائل في تعبيره السابق عن المصاحبة المباشرة معجميّاً؛ لأنّه قال (طوى الله البُعْدَ) حيث أضفى الفعل الحسّيّ على الأمر المعنويّ، فالبُعْدُ أمر معنويّ ولا يقع عليه الطَّيّ وهو أمر ماديّ، الأمر الذي جعل الدّلالة بعيدة تحتاج إلى توضيح، فكأنّه يريد أن يقول: إنّه لمّا كان الطّيّ يدلّ على ثَنْي الشيء وعَدَم نَشْره وإدْرَاج بَعْضِه بِبَعْض، ممّا يؤدي إلى تقليص

(١) البيت دون عزو في: مقاييس اللّغة ٤٢٩/٣، وروايته:"إنَّ انْطِوَاءَك عَنّي سَوْفَ يَطْوِيني"؛ أساس البلاغة ٦٠٠، وروايته:"وصاحب لي طوى كَشْحاً"؛ لسان العرب ١٩/١٥.

(٢) العين ٤٦٥/٧- ٤٦٦؛(طوي).

(٣) أساس البلاغة ٦٠٠.

حيز المساحة التي يحتاج إليها، جاز لنا عن طريق التّشابه ــ من باب شبكة العلاقات الكنائيّـة ــ أن نطلق على تقريب البُعْد من قبل الله عز وجل قولنا: (طَوَى اللهُ لك البُعْد)؛ لأنّ الله يهيئ النفس الإنسانيّة ويُرِيحُها عند قطع المسافات البعيدة فيجعلها قريبة له في نفسه بالرغم من أنّها بعيدة على أرض الواقع. قال ابن عبّاد: "طَوى الله لكَ البُعْدَ: أي قَرَّبَ"(١).

ثانيها؛ قول القائل: (فُلانٌ يَطْوِي البِلادَ)، فأمر الترافق بين كلمة (فلان) وقولنا: (يطوي) وارد من الناحية المعجميّة؛ لأنّ الطيّ ممّا يتعلّق بالأمتعة، كأن نقول: فلانٌ يَطْوِي الثَّوْبَ، الفِرَاشَ السَّجَّادَة... الخ، ولكنّ القائل هنا عمد إلى استعمال المفعول به (البلاد)، وذلك لا يمكن على المستوى اللّغويّ العاديّ، لأنّ البلاد لا تُطْوَى، ولكنّه ممكن إذا كان انزياحاً، فكأنّه يريد أن يقول: إنّه لمّا كان الطّيّ يدلّ على إدراج شيء حتى يُدْرَج بعضه ببعض، جاز لنا عن طريق التّشابه ــ من باب شبكة العلاقات الكنائيّة ــ أن نطلق على مَنْ يقطع البلاد بلداً عن بلدٍ قولنا: (فلانٌ يَطْوي البِلادَ). قال ابن عبّاد: "وَطَوَيْتُ البِلادَ: قَطَعْتُها"(١). فالإنسان عندما يقطع البلاد بلداً عن بلد كأنّه أدرج بعضها ببعض، عندها تصبح البلاد كطيّات الثوب المتقاربة بعضها من بعض.

ثالثها؛ قول القائل: (طَوَى فُلانٌ كَشْحَه)، فالفعل (طوى) ــ كما هو واضح ــ صحيح الإسناد إلى الفاعل (فلان)؛ لكنّه لا يتصاحب بعد ذلك دلالياً إلا مع مفعول به يتعلّق بالأمتعة ــ كما ذكرنا ــ وهذا يعني أنّ ما رواه الخليل يُعَدُّ خرقاً واضحاً للتصاحب المعجميّ على المستوى اللّغويّ العاديّ، غير أنّ التصاحب هنا يعدّ انزياحاً عن القاعدة اللّغويّة، فهو يريد أن يقول: إنّه لمّا كان الطّيّ يدلّ على ثني الشيء وإدراج بعضه ببعض، ممّا يؤدي إلى غياب وإخفاء أجزاء كبيرة منه بين طيّاته، الأمر الذي يجيز لنا عن طريق التّشابه ــ من باب شبكة العلاقات الكنائيّة ــ أن نطلق على مَنْ مضى على وجهه قولنا: (طوى كَشْحَه)؛ لأنّه إذا مَضَى وَغَاب عنه فكأنّه أُدْرِجَ

---

(١) المحيط في اللّغة ٩/٢٣٧.

مُخْتَفِياً عن الأَنْظَار[١]. لذلك فإنّ "المعنى المتحصّل عليه من مجموع الدلالات المعجميّة للألفاظ التي تكوّن التركيب، ليس مقصوداً ولا مراداً، بل إنّ المراد هو المعنى الذي استدعاه الذهن من هذا التركيب، لوجود تلازم منطقي بين المعنيين"[٢].

رابعها: جملة (طَوَى عَنّي نَصِيْحَتَهُ)، فالنَّصِيحَة أمرٌ معنويّ، ولا يقع عليها الفعل (طوى)؛ لأنّ دلالته التقليدية تتمثل في أنّ الطّيّ لا يقع إلا من جارحة أو سواها على قابل ماديّ، فكيف يقع على أمر معنويّ؟! ممّا يعني أنّه لا يمكن ذلك من الناحية المنطقيّة" لكنّها مرونة التعبير المجازي الذي أفاض قابليّة الحسّ والتمكن بهذا الأمر المعنويّ"[٣]، فكأنّ القائل يريد أن يقول: إنّه لمّا كان الطيّ يؤدّي إلى إخفاء أجزاء كبيرة من الشيء المطوي، جاز لنا عن طريق التّشابه أن نطلق على مَنْ يَكْتُم عنّا نَصِيْحَتَهُ قولنا: (طَوَى عَنّي نَصِيْحَتَهُ)؛ لأنّه إذا كتمها عن الآخرين فكأنّه أدرجها في طيّ النسيان.

خامسها: جملة: (طَوَى فُلانٌ نَهَارَهُ جَائِعَاً)، فالقائل هنا أضفى الفعل الحسّيّ (طوى) على الأمر المعنويّ (النهار) ممّا جعل تصاحب الفعل (طوى) مع المفعول به (النهار) يُمثّل حالة من البعد المعجميّ التي لا يمكن قبولها في لغة الخطاب التلقائي العاديّ، وممّا زاد الأمرَ بُعْداً الحَال (جائعاً)، إذ جعل الدّلالة بعيدة تحتاج إلى توضيح، وذلك أنّه إذا جاع الإنسان وضَمُرَ بَطْنُه صار كالشيء الذي لو ابتُغِيَ طيُّه لأمكن فإن تعمّد للجوع قال: طَوّى يَطْوي طَيّاً؛ لأنّه أدرج الأوقات فلم يأكل فيها[٤]. قال عنترة[٥]:

---

(١) ينظر: مقاييس اللّغة ٣/٤٢٩.

(٢) علم اللّغة المعاصر ــ مقدمات وتطبيقات ١٠٩.

(٣) الصورة الفنية في المثل القرآني ١٥٩.

(٤) ينظر: مقاييس اللّغة ٣/٤٢٩ - ٤٣٠.

(٥) ديوانه ١٩٤.

ولَقَد أَبِيْتُ على الطَّوَى وأَظَلّهُ

حتى أَنَالَ بِهِ كَرِيمَ المَأْكَلِ

ومن أمثلة ذلك ــ أيضاً ــ ما رواه الخليل عن أهل اللّغة من العرب حول لفظة (العَــقّ)، فقال: "قال أبو عبد الله: أصل العَقّ الشّقُّ"، وذكر ــ أيضاً ــ أنّ "العرب تقول: عقّ الرجل عن ابنه يَعِقُّ إذا حَلَقَ عَقيقَته وذبح عنه شاة وتسمى الشاة التي تذبح لذلك: عقيقة... والعقيقةُ: الشَّعْر الــذي يُولَد الوَلَدُ به"[1]. قال امرؤ القيس[2]:

يا هِنْدُ لا تَنْكِحِي بُوهَةً

عَلَيْه عَقِيْقَتُه أَحْسَــبَا

وهذا ما أكّده الخطابي(ت٣٨٨هــ) في كتابه (غريب الحديث)، فقد ذكر أنّ أصل (العَــقّ) القَطْع، واستدلّ على ذلك بقول الشاعر[3]:

بلادٌ بها عَقَّ الشبابُ تَمِيمَتي[*]

وأولُ أرضٍ مَسَّ جِلْدِي تُرابُها

وذكر أيضاً أنّ العقيقة هي شعر الصبي كما يولد من بطن أمه لأنّه يشقّ الجلد[4].

نستنتج ممّا ذكر أنّ دلالة لفظة (العَقّ) كانت تعني: القطع والشقّ فــي أصــل الاســتعمال اللّغويّ لها، وهو المعنى الحقيقي للفظة، ثمّ انتقلت دلالة هذه اللّفظة إلى معنى مجازي لتــدلّ علــى شعر الصبي عندما يولد من بطن أمّه. ولابد من الإشارة هنا إلى أنّ "كثرة استخدام الكلمة في معنى

---

(١) العين ١/ ٦٢ - ٦٣(عق).

(٢) ديوانه ٣٩٨.

(٣) البيت دون عزو في: تهذيب اللّغة ٥٩/١؛ لسان العرب ٢٥٩/١٠؛ التكملة والذيل والصلة لما فــات صــاحب القاموس من اللّغة ٣١٥/٥.

(*) التميمة: خرزة رقطاء تنظم في السّير ثم يعقد في العنق.لسان العرب ٦٩/١٢.

(٤) ينظر: غريب الحديث، الخطابي ٢٦٧-٢٦٨.

مجازي تؤدي غالباً إلى انقراض معناها الحقيقي، وحلول هذا المعنى المجازي محله"(١). هذا يعني أنّ هذه الدّلالة المجازيّة، أصبحت دلالة حقيقيّة على اللّفظة لكثرة الاستعمال. ثمّ انتقلت بعدها هذه الدّلالة الحقيقيّة الجديدة إلى دلالة مجازية ثانية. فقد ذكر الخليل أنّ (العقيقة) تعني: الشاة التي تذبح عن الولَد(٢). وكما هو معروف فإنّ العقيقة تذبح عادة في اليوم السابع من ولادة الطفل، وهو اليوم الذي يُحلَق فيه شعر رأسه اتباعاً لسنة النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهذا الاقتران بين حلق شعر الرأس وذبح الشاة هو الذي أدّى إلى تغير المعنى. قال ابن إسحاق الحربي (ت٢٨٥هـ): "أصْلُ العَقِيْقَة الشَّعْر الذي يُوْلَد مع الصَّبِي، أو الوَبَر الذي يَكُوْن على البَهِيْمَة حين تُوْلَد، فيُقَالُ: عُقَّ عنه يَوْمَ أُسْبُوعِه، أي: حُلِقَت عَقِيْقَتُه وذُبِح عنه. فكان الذَّبْح مع الحَلْق، فَنُقِل من الشَّعْر إلى الذَّبْح، فَقِيْل للشاة عَقِيْقَةٌ"(٣). وقد ذهب إلى ذلك كُراع النَمل(٤).

وهكذا نلحظ الأطوار التي مرّت بها هذه اللّفظة "فاللفظ قد يشيع استعماله في جيل من الأجيال للدلالة على أمر معين، وكلّما ذكر اللفظ خطرت نفس الدّلالة في الأذهان دون غرابة أو دهشة، وهو من أجل هذا ممّا يسمى بالحقيقة. فإذا انحرف به الاستعمال في مجال آخر، فأثار في الذهن غرابة أو طرافة قيل حينئذ إنّه من المجاز. وتلزمه تلك الغرابة أو الطرافة في الاستعمال زمناً ما بعده قد يفقدها، ويصبح من الألفة والذيوع بحيث تنسى مجازيته ويصير من الحقيقة"(٥). فالتطوّر الذي طرأ على دلالة هذه اللّفظة، ونقلها من الحقيقة إلى المجاز كانت علاقته المُسبَّبيّة.

---

(١) علم اللّغة، وافي ٣٢١.

(٢) ينظر: العين ١/ ٦٢(عق).

(٣) غريب الحديث، الحربي ١/٤٥.

(٤) ينظر: المنتخب من غريب كلام العرب ٢/٦٤٤.

(٥) دلالة الألفاظ ١٣٠.

ولم تقف دلالة لفظة (العَقّ) عند هذا الحد من التطوّر، بل تابع الخليل ذلك، فقال: "وإليه يرجع عُقُوق الوالدين وهو قطعهما، لأنّ الشَقّ والقَطْع واحد، يقال: عَقّ ثَوبَه إذا شقّه. عَقّ والدَيه يَعُقُّهما عَقًا وعُقُوقًا"[١]، واستدلّ على ذلك بقول زهير بن أبي سلمى[٢]:

فأصبَحْتُما مِنْها على خَيْرِ مَوطنٍ

بعيدَينِ فيـــها عن عُقوقٍ ومَأْثَمِ

وهذا ما ذهب إليه ابن السّكّيت فقال: "ويقال: قد أعقَّتِ الفَرَسُ فهي عَقُوقٌ، ولا يقال مُعِـــقٌّ. وهي فرس عقُوقٌ، إذا انفتَق بطنُها واتّسع للولد. وكلُّ انشقاق فهو انعقاق، وكلُّ شَقٍّ وخَـــرق فهـــو عَقٌّ. ومنه يقال للبرقَة إذا انشقَّتْ: عَقيقَةٌ. وقد عقَّ عن ولده يعُقُّ عَقًّا،إذا ذَبَح عنه يومَ أُسبوعه. وقد عَقَّ أباه يَعُقُّهُ عُقوقاً"[٣]. وقد ذهب إلى ذلك ــ أيضاًــ ابن فارس في مجمله[٤].

نخلص من ذلك إلى أنّ دلالة لفظة (العَقّ) قد انتقلت من معناها المادّيّ المحـــسوس الـــدّال على الشّقّ إلى معنى عقليّ مجرّد يدلّ على العِصْيَان والقَطْع. وهذا يعني أن ما رواه الخليل (عَـــقّ والدَيه يَعُقُّهُما عَقًا وعُقُوقاً) يحمل نوعاً من اللاملاءمة، إذ إنّ الفعل (عَقّ) مسند في هذا التركيب إلى الضمير المستتر (هو)، والفعل في هذا التركيب الاسناديّ فعل مادّيّ محسوس، ولكنّه لا يرتبط بعد ذلك دلالياً إلا بكلمة تناسبه،وتتعلّق به، كأن نقـــول: عـــقّ الثـــوب، أو المنـــديل، أو القمـــيص، أو السراويل... الخ. لكنّ القائل هنا ابتعد كثيراً عن المصاحبة المباشرة معجميّاً؛ لأنّـــه قـــال: (عَـــقّ والدَيه) فقد أضفى الفعل الحسّيّ على الأمر المعنويّ، إذ كيف يُشَقّ الوالدان، وهما ليسا ممّا يتعلّـــق بالقِمَاش؟! الأمر الذي جعل الدّلالة بعيدة تحتاج إلى توضيح، فكأنّه يريد أن يقول: إنّه لمّا كان العَقّ

---

(٢) العين ١/٦٣(عق).

(٣) ديوانه ١١٠، وروايته:"مِنْ عُقُوقٍ" في موضع"عَنْ عُقوقٍ"، ولم تخلّ الرواية بموطن الشّاهد.

(٣) إصلاح المنطق ٢٣٦.

(٥) ينظر: مجمل اللّغة ٤٦٧.

يدلّ على الشّق وفصل أجزاء الشيء بعضها عن بعض بعد أن كانت متماسكة مترابطة، جاز لنا عن طريق التّشابه ـــ من باب شبكة العلاقات الكنائيّة ـــ أن نطلق على مَنْ يَقْطَع العلاقة بالوالدين ويَعْصيهما ويَهْجُرْهما قولنا: (عَقّ والدَيه)؛ لأنّ عِصْيَانهما وهِجْرانهما يؤديان إلى قَطْع العلاقة الأسرية بهما، فتصبح تلك العلاقة غير مترابطة وغير متماسكة.

ومِمّا رواه الخليل من أمثلة هذا المظهر عن أصحاب اللّغة ما قيل في معنى لفظة (الغَمْر)، فقال: "الغَمْر: الماءُ الكثيرُ المُغْرِق"(١). قال الراغب: "أَصْلُ الغَمْر: إزَالَة أَثَر الشيءِ، ومنه قِيلَ للمَاءِ الكَثِير الذي يُزِيْل أَثَرَ سَيْلِهِ؛ غَمْرٌ وغامِر"(٢). قال الأعشى(٣):

أَضَاءَ مِظَلّتَهُ بالسِّـرا

ج واللّيلُ غَامِرُ جُدّادِهَا

وهنا نرى أنّ دلالة لفظة (الغَمْر) كانت تعني: إزالة أثر الشيء في أصل الوضع اللّغويّ لها، وهو المعنى الحقيقي للّفظة، ثم انتقل معناها عن طريق شبكة العلاقات المجازيّة لتدلّ على الماء الكثير الذي يزيل أثر سيله. فالتطوّر الذي طرأ على دلالة هذه اللّفظة ونقلها من الحقيقة إلى المجاز كانت علاقته السببية. لذلك فإنّ هذه الدّلالة المجازيّة دلالة حقيقية عند الخليل، إذ "يحدث بمرور الوقت أن يشيع الاستعمال المجازي فيصبح للّفظ معنيان، وقد يشيع المعنى المجازي على حساب المعنى الحقيقي ويقضي عليه"(٤).

---

(١) العين ٤/ ٤١٦(غمر).

(٢) المفردات ٦١٤.

(٣) ديوانه ٩٥.

(٤) علم الدّلالة، عمر ٢٤١.

لم تقف دلالة لفظة (الغَمْر) عند هذا الحدّ من التطوّر، بل أصبحت ذات دلالة منتقلة من الدّلالة المجازيّة. قال الخليل: "وفلانٌ غمَر فلاناً أي: علاهُ بفَضلِه"(١)، وهذا ما أكّده ابن فارس بقوله: "والغَمْرُ: السَيِّدُ المِعْطاءُ"(٢).

نخلص ممّا تقدّم إلى أنّ للفظة (الغَمْر) دلالة أصليّة وهي: (إِزالَةُ أَثَرِ الشيءِ)، ودلالتين مجازيتين، الثانية متطوّرة عن الأولى التي هي دلالة حقيقيّة عند الخليل، بحكم شيوع المعنى المجازي على حساب المعنى الحقيقي والقضاء عليه. ممّا يعني أنّ دلالة لفظة (الغَمْر) قد انتقلت من معناها العقليّ المجرّد الدّال على إزالة أثر الشيء إلى معنى ماديّ محسوس يدلّ على الماء الكثير المُغْرِق، ثمّ انتقلت دلالة هذه اللّفظة من معناها الماديّ المحسوس الدّال على الماء الكثير المُغْرِق إلى معنى عقليّ مجرّد يدلّ على الرجُلِ السَّخِيِّ المِعْطاء. قال الراغب: "وبه شُبِّهَ الرَّجُلُ السَّخِيُّ"(٣). أي؛ وبالماءِ الكَثيرِ الذي يُزيلُ أثَر سيله شبّه الرجُلُ السَّخيُّ. وهذا يعني أن ما رواه الخليل: (فلانٌ غمَرَ فلاناً) يحمل نوعاً من اللاتجانس، إذ إنّ الفعل (غمَر) مسند في هذا التركيب إلى الضمير المستتر (هو) الذي يعود على فلان، والفعل في هذا التركيب الاسناديّ فعل ماديّ محسوس، ولكنّه لا يرتبط بعد ذلك دلالياً إلاّ بكلمة تناسبه، وتتعلّق به، كأن نقول: غمَرَ فلانٌ الزرْعَ، الإناءَ، الأرضَ، فلاناً...الخ، مرتبطة بالجار والمجرور (بالماء) أو ما شابهه. لكنّ القائل هنا ابتعد كثيراً عن المصاحبة المباشرة معجمياً؛ لأنّه قال: (فلانٌ غمَرَ فلاناً) ولم يقل: (فلان غمر فلاناً بالماء)، أو (الماءُ غَمَرَ فلاناً)، حيث أضفى الفعل الحسّيّ على الأمر المعنويّ.

وسؤالنا هو: كيف يغمر فلانٌ فلاناً دون ماء أو ما يشبه الماء؟! وهل أصبح فلانٌ من الناس ماءً أو سائلاً أو ما شابهه كي يغمر فلاناً؟ وهذا ما جعل الدّلالة بعيدة تحتاج إلى تفسير؛ لأنّ الإسناد

---

(١) العين ٤/ ٤١٦(غمر).
(٢) مجمل اللّغة ٥٣٥.
(٣) المفردات ٦١٤.

فيها يعدّ خروجاً على القاعدة اللّغويّة. فكأنّ القائل أراد أن يقول: إنّه لمّا كان الغَمْر يدلّ على الماء الكثير المُغْرِق، جاز لنا عن طريق التّشابه ـ من باب شبكة العلاقات الكنائيّة ـ أن نطلق على مَنْ يعلو غيره بفضله قولنا: (فلانٌ غَمَر فلاناً). أي؛ إنّ سبب انتقال دلالة هذا النسق إلى الدّلالة الجديدة كان التّشابه في العُلوّ والغَرَق بين مَنْ يَعْلو غيرَه بِفَضْلِه ويُغْرِقه به ـ وهو أمر معنويّ ـ من جهة، والماء الكثير الذي يغرق كلّ شيء تحته ـ وهو أمر مادّيّ ـ من جهة أخرى.

ومن الألفاظ ـ أيضاً ـ ما رواه الخليل حول لفظة (الكَفّ)، فقال: "الكَفُّ: كَفُّ اليَدِ، وثلاثُ أكُفّ، والجميع: كُفُوف"[1]. وذكر الراغب أنّ الكَفَّ هي: "كَفُّ الإنسان، وهي ما بها يَقْبِضُ ويبْسُط، وكَفَفْتُهُ: أصبْتُ كَفَّهُ، وكَفَفْتُه: أصبْتُهُ بالكَفِّ وَدفعتُه بها. وتُعُورِفَ الكَفُّ بالدَّفع على أيّ وجْهٍ كان؛ بالكَفّ كان أو غيْرِها حتى قيلَ: رَجُلٌ مكْفُوفٌ لِمَنْ قُبِضَ بَصرُه، وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ ﴾ [سبأ:٢٨] أي: كافاً لهم عن المَعَاصِي"[2].

ولم يقف الخليل عند هذا الحدّ من دلالة اللفظة فيما رواه عن أصحاب اللّغة بل تابع تطوّرها، فقال: "وَلَقِيْتُه كفّةً لِكَفَّةٍ، وكَفَّةٍ عن كَفَّةٍ، أي: مفاجأة، مُواجَهة"[1]. وهذا ما أكّده ابن عبّاد حين قال: "وتقول لَقِيْتُه كِفَّةً لِكَفَّةٍ: أي لَقِيْتُه مُفاجَأَةً"[3].

من خلال ذلك نلاحظ أنّ دلالة لفظة (الكَفّ) في أصل الاستعمال اللّغوي لها تدلّ على عضو الإنسان (اليد)، ثمّ انحرفت اللّفظة من مجالها الحقيقي إلى مجال مجازي لتدلّ على الدَّفْع على أيّ وجه كان؛ لشيوع ذلك المجاز بين الناس وتعارفهم عليه. فاللفظ "ينحرف من مجاله الحقيقي إلى مجال مجازي ثمّ يشيع ذلك المجاز حتى يصبح مألوفاً، ويعدّ حينئذ من الحقيقة، وتظلّ تلك الدلالة

---

(١) العين ٢٨٢/٥(كف).

(٢) المفردات ٧١٣.

(٣) المحيط في اللّغة ١٤٥/٦.

القديمة ملازمة للَّفظ في حدود ضيّقة، ويكون للَّفظ دلالتان أو استعمالان وكلاهما من الحقيقة، غير أنّ إحدى الدلالتين تكون أكثر شيوعاً من الأخرى"[1]. وقد تبع هذا التطوّر تطوّر آخر لدلالة تلك اللَّفظة فأصبحت تدلّ على المفاجأة أو المواجهة، فقيل: (لَقَيْتُه كَفّةً لِكَفَّةٍ، وكَفَّةٍ عن كَفَّةٍ).

وعليه فإنّ أمر الترافق بين الفعل (لقي) والفاعل (التاء) والمفعول به (الهاء) في قولنا: (لقيته) وارد من الناحية المعجميّة، ولكنّه لا يتصاحب بعد ذلك دلالياً إلاّ مع لفظة مناسبة له، وتتعلّق به، كأن نقول: لَقَيْتُه مُبْتَسِماً، خَائِفاً، غَاضِباً، هَازِئاً... الخ. ولكنّ القائل عمد إلى استعمال الحال الجامدة (كَفّةً لكفّة)، وذلك لا يمكن على المستوى اللّغوي العادي إلاّ إذا كان انزياحاً. فكأنّ القائل يريد أن يقول: إنّه لمّا كانت الكَفُّ تدلّ على اليد التي تُستَعْمَل في دَفْع الأَذَى وغيرِه، جاز لنا عن طريق التّشابه ــ من باب العلاقات الكنائيّة ــ أن نطلق على مَنْ يواجهنا أو يفاجئنا قولنا: (لقيته كفّة لكفّة)؛ لأنّ مَنْ يفاجئنا في لُقْيَاه دون عِلْمِنا أو عِلْمِه نضع له كفينا نَصْب عينيه أو أمام صدره، وهو بالمقابل يفعل الفعلة نفسها، إذ يريد كلّ منّا دَفْع الأذى عن نفسه بكفّيه. قال ابن فارس: "ويقولون: لقيتُه كَفَّةً كَفّةً، إذا فاجأتَه، كأنّ كَفّكَ مسَّتْ كَفّه"[2].

من خلال الأمثلة السابقة نخلص إلى أنّ للمفعول به دوراً كبيراً في التوسع الدلالي في اللّغة العربيّة، إذ يحكم المفعول به في التراكيب اللّغويّة علاقة المجانسة والملاءمة مع عُمَد الجملة (المسند والمسند إليه)، إلاّ أنّه قد يحدث انزياح لهذا القانون اللّغوي ــ على مستوى اللغة الفنيّة ــ يؤدي إلى امتداد دلالي أوسع يحتاج إلى تفسير، وربّما يصل الأمر إلى طرق مسدودة تغلق عملية التأويل والفهم.

وهناك أمثلة أخرى في كتاب العين يمكن الرجوع إليها[3].

---

(١) دلالة الألفاظ ١٣٢-١٣٣.

(٢) مقاييس اللّغة ١٣٠/٥.

(٣) ينظر: ملحق (٣) في آخر الرسالة.

ثانياً ـ العلاقة الأفقيّة الوصفيّة:

الوصف من المكملات والفضلات التي تُكسب عناصر التركيب الرئيسيّة أو الفرعيّة معنى جزئياً جديداً قد يستغنى عنه، وهو تابع دالّ على صفة من صفات منعوته أو من صفات متعلّق منعوته(١).

ويشير "جان كوهن" إلى نقطتين تسوغان اعتبار الوصف مظهراً من مظاهر الانزياح الذي يقوم على المنافرة، الأولى: أنّ الوصف يأخذ حيزاً كبيراً من مساحة القصائد الشعريّة، وهو ما يسهل العمل الإحصائي الذي يتماشى والبنيويّة. والأخرى: أنّ للوصف مردوداً شعرياً لا يضاهى(٢). وما دامت اللّغة الشعريّة لغة فنيّة أصلاً، فإنّ تراكيبها تزخر بالانزياحات غير المقبولة على مستوى لغة الخطاب العاديّة التي تفرض قانون الملاءمة بين الصفة والموصوف، لأنّ الصفة جاءت لتزيل اللّبس عن موصوفها الذي اشترك في لقبٍ واحد مع اسم آخر "فالوَصْفُ لَفْظ يَتْبعُ الاسمِ الموصوفَ تحليةً لَهُ، وتخصيصاً مِمَّنْ له مِثْلُ اسمه، بذكْرِ معنًى في الموصوف أو في شيءٍ من سبَبِه"(٣). وبهذا فإنّه ينبغي أن يكون بين الصفة والموصوف تصاحب قويّ جداً. أمّا إذا حصلت بينهما منافرة فإنّنا نطلق على هذا الوصف صفة الوصف الكاذب، وربّما يصل إلى حدّ اللامعقول الذي يسدّ أبواب التأويل ويغلقها.

وعليه فإنّني لا أسعى إلى دراسة الوَصْف والخَوْض في تقسيماته، لكنّني أُسعى هنا إلى إثبات أنّ الوصف باب من أبوابِ التوسّع الدّلاليّ في اللّغة العربية، إذ يتمّ عن طريقه انتقال دلالة الألفاظ من معناها الحقيقي في أصل الاستعمال اللّغويّ لها إلى دلالة أخرى مجازيّة مستحدثة، وذلك من خلال العلاقات التسلسليّة الأفقيّة بين الوصف والموصوف. قال ابن فارس: "من سُنن العرب

---

(١) الألسنيّة العربيّة ٧٦-٧٧.

(٢) بنية اللّغة الشعريّة ١١٤.

(٣) اللّمع في العربيّة ١٣٨.

وَصْفُ الشّيء بما يقــع فيه أو يكــون منه كقولهم: يَوْمٌ عاصف، المعنى عاصِفُ الريح، قال الله ـــ جــلّ ثناؤه:ـــ ﴿ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾ [إبراهيم:١٨]، فقيل عاصِفٌ لأنّ عُصوفَ رِيحِه يكــون فيــه. ومثله: لَيْلٌ نائِمٌ ولَيْلٌ سَاهِرٌ، لأنَّهُ يُنام فيه ويُسْهرُ فيه"(١). قال أوس بن حجر(٢):

خُذِلْتُ على لَيْلَةٍ سَاهِرَةْ

بِصَحْرَاءَ شَرْجٍ إلى نَاظِرَةْ

وهذا يقود إلى القول إنّ النعوت أو الصفات تفتح فضاءات واسعة في الأصناف الأدبيــة واللّغويّــة المختلفة.

علاقات التّشابه في العلاقة الأفقيّة الوصفيّة:

عند استقرائي للمادة اللّغويّة في معجم العين، وجدتُ علاقتين من علاقــات التّــشابه فــي العلاقة الأفقيّة الوصفيّة، يتمّ عن طريقهما انتقال دلالة الألفاظ من دلالتهــا الحقيقيّــة فــي أصــل الاستعمال اللّغوي إلى معان مجازيّة أخرى،هما:

١ـــ علاقة الاستعارة المكنيّة:

هناك العديد من الألفاظ مثّلت هذا النمط اللّغويّ (العلاقة الأفقيّة الوصــفيّة) الــذي انتقلــت الدلالة فيه من المجال المحسوس إلى المجال المجرّد عن طريق علاقة الاستعارة المكنيّــة، وكــان التصاحب اللّغويّ بين الصفة والموصوف في العلاقة الأفقيّة الوصفيّة يمثّــل شــكلاً مــن أشــكال اللاتجانس الدّلاليّ. فمن أمثلة هذا النمط ما رواه الخليل عن العرب حول لفظة (الجَرَب)، إذ قــال: "الجَرَبُ معروف. والجَرْباء من السَّماءِ: النّاحيةُ التي لا يَدورُ فيها فَلَكُ الــشَّمسِ والقَمَــرِ. وأرضٌ

---

(١) الصاحبي في فقه اللّغة وسنن العرب في كلامها ٢٢١.

(٢) ديوانه ٣٤.

جَرْباء: مَقْحُوطَةٌ لا شَيْءَ فيها"[١]. قال الجوهري: "الجَرَبُ معروفٌ. وقد جَرِبَ الرّجلُ فهو أجْرَب، وقومٌ جُرُبٌ وجَرْبى، وجمع الجُرْبِ جِرابٌ... والجَرْباء: السّماء، سميّت بذلك لما فيها مِنَ الكواكب، كأنّها جَرَبٌ لها. وأرضٌ جَرْباء: مَقْحُوطَةٌ"[٢]. وقال الزمخشري في الدّلالة نفسها: "أعْدَى من الجَرَب، عند العرب، ورجل جَرِبٌ وأجْرَب، وامرأة جَرِبَةٌ وجَرْبَاءُ، وقوم جُرْبٌ وجَرْبَى، وإبل جَرْبَى... ومن المجاز: نَزَلُوا بِأرْضٍ جَرْبَاءَ: مَقْحُوطَةٍ. وتقول: إذا أصْحَتْ الجَرْبَاء، وهبَّت الجِرْبِيَاء، فقد كشّرَ البَرْدُ عن أنْيَابِه، وابْيَضَّتْ لِغَمُ الدنيا به، وهي السَّماءُ، شُبِّهَتْ نُجُومُها بآثَارِ الجَرَب"[٣]. ممّا سبق نجد أنّ أصل الاستعمال اللّغويّ للفظة (الجَرَب) هو: البَثْرُ الذي يعلو بدائن الناس والحيوان. ثمّ انتقلت دلالة هذه اللّفظة إلى معنيين مجازيين يدلّ الأول على آثار المَجَرَّةِ والنُّجوم في السَّماء، والآخر على القحط والجَدْب للأرض.

والناظر في هاتين الدلالتين المتطوّرتين يجد أنّ ما رواه الخليل يمثّل خرقاً واضحاً للتصاحب اللّغوي، ففي قول القائل: (أرضٌ جَرْبَاءُ) نجد أنّ أمر الترافق بين الصفة (جرباء) والموصوف (أرض) غير ممكن من الناحية المنطقيّة؛ لأنّ الصفة (جرباء) غير متجانسة معجميّاً مع الموصوف (الأرض)، وأنّ الأرض لا تتصاحب إلاّ مع كلمة تناسبها، وتتعلّق بها، كأن نقول: أرضٌ واسعَةٌ، قَاحِلَةٌ، جَدْبَةٌ... الخ، لكنّ القائل أراد أن يضفي مزيداً من القوة على المعنى الذي أراده، فقال:(ارضٌ جَرْبَاءُ)، والجَرَبُ ممّا يتعلّق بالإنسان والحيوان. لذلك فإنّ التصاحب هنا يعدّ انزياحاً عن المألوف، وإنّ الذي سوّغه هو أنّه لمّا كان الجَرَب يَحِلُّ ببدائن الناس والحيوان ويَنْزَع شَعْر الجِلْدِ مِنْ أُصُولِه، جاز لنا عن طريق التّشابه أن نطلق على الأرض القَاحِلَة التي لا يخرج فيها النبات قولنا:(أرض جرباء)، فكأنّ الجَرَب قد حلّ بها كما يحل بجسم الإنسان والحيوان. أي أنّ

---

(١)العين ١١٢/٦(جرب).

(٢) الصّحاح٩٨/١.

(٣) أساس البلاغة ١١٤.

سبب انتقال دلالة لفظة (الجَرَب) إلى الدّلالة الجديدة كان التّشابه في النَّزْع وعَـدَم خـروج بـين الأرض القاحلة التي لا يخرج منها النبات وجسم الإنسان والحيوان الذي يَنْزَع الجربُ شَعْرَه ويَفْتِك به دون أن يسمح للشّعر بالخروج.

ويرى كوهن أنّه يمكن دراسة الصّفات (التصاحب في الصّفات واللاتجانس فيهـا) ضـمن الإسناد أيضاً، فجملة: الكسوة الحمراء يمكن بسهولة تحويلها إلى جملة إسـناديّة بمجـرّد إدخـال الرّابط/الكسوة حمراء. وفي كلتا الحالتين نجد أنفسنا أمام المنافرة نفسها[١]. وهذا يـؤدي إلـى أنّ تحويل جملة الإضافة إلى جملة إسناديّة أمر ممكن ضمن إجراء بعض التغيرات علـى التركيـب اللّغوي[٢]. فقول القائل: (الجَرْبَاء مِنَ السَّماءِ) ممّا رواه الخليل يمكن تحويله بـسهولة إلـى جملـة إسناديّة: (السَّماءُ جَرْبَاءُ)، (جَرِبَتْ السَّماءُ)؛ أو إلى جملة صفة:(السَّماءُ الجَرْبَاءُ)؛ أو إلـى جملـة إضافة: (جَرَبُ السَّماءِ)، وذلك عن طريق إجراء بعض التغيرات (إضافة إلـى حـذف أو إعـادة صياغة). أمّا اللاتجانس فهو نفسه في كلّ الحالات. ومع هذا كله فإنّنا سنفـصل بـين التـصاحب الدلالي على مستوى العلاقات الإسناديّة وكلٍّ من التصاحب الدلالي في الفضلات والتصاحب الدلالي على مستوى الصّفات (النعوت) والتصاحب الدلالي على مستوى علاقة الإضافة.

ولنتناول من التعبيرات السابقة قولنا: (السّماءُ الجَرْبَاءُ) الذي يتماشى ومفردات هذا البـاب، إذ نجد أمر الترافق بين الصّفة (الجرباء) والموصوف (السّماء) غير وارد من الناحية المعجميّـة، لأنّ كلمة (السّماء) يمكن أن تتصاحب معجمياً ـ على مستوى الصّفات ـ مع كلمة تتعلّـق بهـا، وتوصف بها، مثل: العَالِيَةُ، الزَّرْقَاءُ، المُضِيئةُ... الخ. أمّا تصاحبها وصفاً مع الجَرَب فإنّـه يمثّـل خرقاً واضحاً للتصاحب المعجمي؛ لأنّ الجَرَب مِنْ مصاحبات الإنسان والحيوان وبعض النباتـات.

---

(١) ينظر: بنية اللّغة الشّعريّة ١١٤.

(٢) ينظر: انزياح المصاحبات المعجميّة(بحث) ١٦٦.

ولكنّه لمّا كان الجَرَبُ يؤدي إلى ظهور أثر على جسم الإنسان والحيوان، جاز لنا عن طريق التّشابه أن نطلق على السّماء قولنا: (السّماء الجرباء)؛ لأنّ ما في السّماء من آثار المَجَرَّةِ والنُّجوم يشبه أثر الجَرَبِ في الدّابةِ. قال قُطرب (ت٢٠٦هـ): "ومِنْ أسماءِ السَّماءِ: الخَلْقَاءُ، والجَرْبَاءُ... كأنّها سُمِّيتْ جَرْبَاءُ لمَا فيها مِنْ آثارِ المَجَرَّةِ والنُّجومِ كأثرِ الجَرَبِ في الدّابة"[١]. وذكر الإسكافي أنّ من أسماء السّماء: الجَرْبَاء؛ لاشْتِباك كواكبها[٢]. قال الأعشى[٣] يذكر بعض لفظ الجَرْبَاء:

وَخَوتْ جِرْبَةُ النُّجومِ فَمَا تَشْـ
ـرَبُ أُرْوِيَّةٌ بِمَرْيِ الجَنُـوبِ

وممّا جاء من هذا الباب ما رواه الخليل عن أصحاب اللّغة من العرب لفظة(الحُرّ)، فقال: "الحُرُّ: نَقيضُ العَبْد، حُرٌّ بيِّن الحُرُورِيَّة والحُرِّيَّة والحَرار"[٤]. وقال ابن سيده: "والحُرُّ نَقيضُ العَبْدِ، والجَمعُ: أَحْرَارٌ وحِرَارٌ، الأخيرةُ عن ابن جنّي، والأُنثى حُرَّةٌ، والجَمْعُ حَرَائِرُ شاذٌّ"[٥]. وهذا هو المعنى الحقيقي للفظة (الحُرّ) في أصل الاستعمال اللّغويّ لها قبل أن يعتريها التغيّر الدّلاليّ، ثمّ انتقلت دلالتها عن طريق المجاز الذي علاقته التّشابه إلى دلالتين مستحدثتين وضّحهما الخليل بقوله: "وسحابةٌ حُرَّةٌ تَصِفها بكثرة المَطَر، ويقال للَّيْلة التي تُزَفُّ فيها العَروس إلى زَوْجِها فلا يَقْدِرُ على افْتِضاضِها ليلةٌ حُرَّةٌ، فإذا افْتَضَّها فهي ليلةٌ شَيْباء"[٦]. قال كُراع النّمل: "ويقال لأوّل ليلة مِنْ الشّهر: ليلةٌ حُرَّةٌ، ولآخر ليلةٍ: ليلةٌ شَيْباءُ. ويُقال للعَرُوس: باتَتْ بليلةٍ حُرَّةٍ، إذا لم تُفْتَض، وبِلَيْلةٍ شَيْباءَ، إذا

---

(١) الأزمنة وتلبية الجاهليّة ٨٦.

(٢) مبادئ اللّغة ٤٢.

(٣) ديوانه ٨٣.

(٤) العين ٣/٢٤(حر).

(٥) المحكم والمحيط الأعظم ٢/٥١٩.

(٦) العين ٣/٢٥(حر).

افْتُضَّتْ"[1]. قال النابغة الذبياني[2]:

شُمُسٌ مَوَانِعُ كُلَّ لَيْلَةِ حُرَّةٍ

يُخْلِفْنَ ظَنَّ الفَاحِشِ المِغْيَارِ

وهذا ما أكّده الزمخشري بقوله: "ومن المجاز... سَحَابَة حُرَّةٌ: كَرِيْمَة المَطَر. وباتَتْ فلانــةُ بليلــةٍ حُرَّةٍ: لم تُمكِّنْ زوجها من قِضَّتِها، وباتت بليلةٍ شَيْبَاءَ إذا افْتُضَّتْ"[3].

وعليه فإنّنا نتوقع أن توصف السحابة بالسَّوْداء، أو الجَهْمَة، أو السَّرِيْعَة أو الكَثِيْفَة، إلى غير ذلك من الألفاظ التي تتصاحب معجمياً مع الموصوف (السحابة)، لكنّها علــى مــستوى الخطــاب اللّغويّ لا يمكن أن تترافق وصفاً مع الحُرُورِيَّة؛ لأنّ الحُرُورِيَّة ممّا يتعلّق بالإنسان فقط، هذا مــن ناحية، ومن ناحية أخرى، كيف يمكننا وصف شيء بالعُبوديّة أو الحُرُورِيَّة، وهو خارج عن الإرادة الإنسانية ؟ فالسُّحُب تأتي وتذهب دون تحكّم يد الإنسانية بها، لأنّ أمرها مردّه إلى الله عزّ وجــل. قال تعالى: ﴿ وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴾ [الرعد:١٢] ، وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ﴾ [النور:٤٣] . لذلك فإنّ أمر الترافق بين الصفة (حُرَّة) والموصوف (سحابة) قد مثّل نوعــاً من البعد المعجميّ الذي لا يقبله الخطاب التلقائي العاديّ، و أنّ أصحاب اللّغة لم يريدوا ذلك علــى سبيل الحقيقة، وإنّما استعاروا اللّفظة لتدلّ على المعنى المجازي بسبب الشَّبَه بين المعنيــين، إذ إنّ الإنسان الحُرّ يختلف عن العبْد بكثرة أفعاله وأقواله وأعماله، وقد شبّهت به الــسحابة التــي يكثــر مطرها. أي أنّ سبب انتقال دلالة هذه اللّفظة (الحُرّ) إلى الدّلالة الجديدة كان التّشابه في الكثرة بــين كَثْرَة مَطَر السَّحَابَة، وأفْعَال وأقْوَال وأعْمَال الإنسان الحُرّ الذي يُكْثِر منها دون حسيب أو رقيب.

---

(١) المنجّد في اللّغة ٦١-٦٢.

(٢) ديوانه ٥٨.

(٣) أساس البلاغة ١٦٥.

أمّا قول الخليل: (ليلة حُرّة) الذي رواه عن العرب فإنّه بعيد كلّ البُعد من الناحية الدّلاليّة عن أداء الوظيفة المعجميّة على مستوى الصفات، إذ نتوقع أنّ كلمة (ليلة) تتصاحب مع كلمة تتعلّق بها، وتوصف بها، مثل: مُظْلِمَة، مُنِيْرَة، طَوِيلَة، قَصِيْرَة، جَمِيْلَة، إلى غير ذلك من الألفاظ التي تترافق معجميّاً معها، إلاّ أنّ القائل خالف كلّ التوقعات فقال: (ليلة حُرّة).

وسؤالنا هو: كيف تكون الليلة حُرّة، وهي غيرُ محسوسة؟ وهل نتوقع أن تكون للّيلة أقوالٌ وأفعالٌ وأعمالٌ كما هي للإنسان الحُرّ؟ لذلك اتجه أصحاب اللّغة إلى المجاز اللّغويّ الذي علاقته التّشابه للتوسّع في اللّغة، إذ نرى انتقالاً لدلالة اللّفظة من معناها الحقيقي في أصل الوضع وهو: (نقيض العَبد) إلى معنى مجازي وهو: (عَدَم قُدْرَة الزَّوْج على افْتِضَاض عَرُوسه في تلك الليلة). وهذا يعني أنّ ما رواه الخليل يعدّ انزياحاً عن المألوف، فكأنّ القائل يريد أن يقول: إنّه لمّا كان الإنسان الحُرّ يقوم بالأعمال والأفعال والأقوال بمحض إرادته، جاز لنا ـــ عن طريق الاستعارة المكنيّة ـــ أن نطلق على تلك اللّيلة التي لا يقدر الزوج على افْتِضَاض عَرُوسه فيها قولنا: (ليلةٌ حُرّةٌ) ومعنى هذا: ليلةٌ عَرُوسُها فيها حُرّة، أي أنّ سبب انتقال دلالة هذا النمط إلى الدّلالة الجديدة كان التّشابه في حُرُوريَّة التصرف بين ما حدث للعروس في تلك الليلة، والإنسان الحُرّ.

وممّا رواه الخليل من أمثلة هذا المظهر عن العرب ما قيل في معنى لفظة (الحُمْرة)، فقال: "الحُمْرَةُ: لَوْنُ الأحْمَر، تقول: قد أحمَرَّ الشيء احمراراً إذا لَزِمَ لونَه فلم يَتَغَيَّرْ من حالٍ إلى حال، واحْمَارَّ يَحْمَارُّ إذا كان عَرَضاً حادثاً لا يثْبتُ، كقولك: جَعَلَ يَحْمَارُّ مَرَّةً ويَصْفَارُّ مرّةً"[1]. قال ابن فارس: "الحُمْرَةُ في الألْوان مَعْرُوفَةٌ"[2]. قال جميل بثينة[3]:

---

(١) العين ٣/٢٢٦- ٢٢٧(حمر).

(٢) مجمل اللّغة ١٨٤.

(٣) ديوانه ١٠٦.

تَقُـولُ بُثَيْنَـةُ لَمَّا رَأَتْ

فُنُوناً مِنَ الشَّعَرِ الأَحْمَرِ

وهذا يعني أنّ الدّلالة الأصليّة أو الأولى للفظة (الحُمْرة) هي: اللّون الأحمر، ثمّ انتقلت دلالتـها إلى معنى مجـازي مجرّد لتدلّ على الشدّة والـكَرْب، قال الخليل: "ومَوْت أحْمَرُ، وميتَةٌ حمـراءُ، أي: شديدةٌ... وسَنَةٌ حمراءُ، أي: شديدةٌ"[١]. وهذا ما أكّده الزمخشري بقوله: "ومـن المجـاز... مَـوْتٌ أحْمَرُ... وسَنَةٌ حَمْرَاءُ"[٢]. ممّا يعني أنّ ما رواه الخليل من هذه الدلالات المتطوّرة قد مثّلت خرقـاً واضحاً للتصاحب اللّغوي على مستوى الصفات، إذ إنّ كلمة (موت) ممّا يترافق معجميّاً ــ علـى مستوى الصفات ــ مع كلمة تتعلق به، ويوصف بها، مثل: مَوْتٌ زُؤَامٌ، مُفْجِعُ، سَهْلٌ، بَطِيءٌ...الخ، ولكنّها على المستوى اللّغوي العادي لا يمكن أن تترافق وصفاً مع الحُمْرَة أو الصُفْرَة أو الزُرْقَـة؛ لأنّ الموت من الأمور المعنويّة، ولا يوصف إلاّ بصفات معنويّة غير محسوسة. أمّا وصفه بـصفة ماديّة محسوسة فإنّه يعدّ انزياحاً عن المألوف، وأنّ الذي سوّغه هو أنّه لمّا كان اللّون الأحمر شديد الوَقْع على النفوس، ويمتلكها بقوّة فائقة ــ بخلاف الألوان الأخرى ــ جاز لنا عن طريق التّشابه ــمن باب الاستعارة المكنيّة ــ أن نطلق على الموت الشديد قولنا: (موتٌ أحْمَرُ)، لأنّ اللّون الأحمر لون الدّم، الذي له وقْع خاص في النفوس، وله قوة سرمديّة كامنة وراءه، يمتلك بها تلك النفـوس . وهو عنوان القتل في المعارك الضارية. وما علينا إلاّ أن نستذكر ــ هنا ــ معركة الحدث الحمراء التي تغنّى بها المتنبي[٣]، فقال:

هَل الحَدَثُ الحَمْراءُ تَعْرِفُ لَوْنَها

وتَعْـلَمُ أي السّاقِيَيْـنِ الغَمائِمُ

---

(١) العين ٣/٢٢٩ (حمر).

(٢) أساس البلاغة ١٩٦.

(٣) ديوانه ٢/٣٥٣-٣٥٤.

سَقَتْــها الغَمامُ الغُرُّ قَبْلَ نُزُولِهِ

فَلَمّا دَنَــا مِنْها سَقَتْها الجَماجِمُ

وما قيل عن (المَوْتِ الأَحْمَر) يقال عن (المِيْتَةِ الحَمْرَاء)، لأنّ لهذين النمطين دلالة متطوّرة واحدة.

أمّا ما رواه الخليل عن أصحاب اللّغة من العرب بقوله: (سَنَةٌ حَمْرَاءُ) فإنّه يمثّل خرقاً آخر للوظيفة المعجميّة على مستوى النعوت، لأنّ الموصوف (سنة) من الأمور المعنويّة، ولا يمكن لنـــا أن نصفها بصفة ماديّة (حمراء) على المستوى اللّغويّ العاديّ؛ لأنّ دلالتها التقليدية تتمثّل فـــي أنّ السنة تتصاحب مع كلمة توصف بها، وتتعلّق بها، مثل: جَدْبَة، خِصْبَة، شَمْسيّة، قَمَريّـــة... الـــخ، ولكنّها لا تتصاحب مع الصفة (حمراء) إلاّ إذا كان انزياحاً، فكأنّ القائل أراد أن يقول: إنّه لمّا كانت الحُمْرة تدلّ على اللّون الأحمر الذي يمتلك النفوس لشدة وقعه عليها، جاز لنا عن طريق التّشابه أن نطلق على السنة الشديدة المضنية القاسية على الناس قولنا: (سَنَةٌ حَمْرَاءُ)؛ لأنّ السنة الشديدة تؤثر في النّفْس الإنسانية بشكل كبير كما يؤثر فيها الدّم المراق عند قتل الإنسان أو ذبح الحيوان، لدرجة أنّ الناس يتحدثون عنها بعد عشرات السنين، وربّما يتوارثون الحديث عنها جيلاً بعد جيل. أي أنّ سبب انتقال دلالة هذا النمط إلى الدّلالة جديدة كان التّشابه في شدة الوقع في النفـــوس بـــين الـــسنة الشديدة المضنية واللّون الأحمر لون الدّم المراق عند قتل الإنسان أو ذبح الحيوان.

ويمكننا أن نعزو سبب هذا الانتقال الجديد للدّلالة إلى التّشابه في الحُمْرة بين اللّون الأحمر والسنة الجَدْبة التي يمتلئ الجوّ منها حُمْرة عارضة. قال الراغب: "والمَوْتُ الأَحْمَرُ أصلُه فـــي مـــا يُراق فيه الدَّمُ، وَسَنَةٌ حَمْرَاء: جَدْبةٌ، للحُمْرَة العَارِضَة في الجَوِّ منْها"[١].

وممّا أورده الخليل كذلك لفظة (السِّيدانة) التي تدور في فلك هذا الصنف من التصاحب،

---

(١) المفردات ٢٥٧.

فقال:" والسِّيدانةُ: الذِّئْبَةُ. وامرأةٌ سِيدانةٌ: جريئة"[1]. قال ابن سيده: "السِّيْدُ: الذِّئْبُ، في لغة هُذَيْل: الأسَدُ... والجمع سِيدانٌ، والأُنْثى سِيدانة. والسِّيْدَانُ كالسِّيدِ والأُنْثى سِيدانة"[2]. وقال الزمخشري: "ومن المجاز: امرأةٌ سِيدانةٌ: جَرِيَّةٌ كالذِّئبة. ويقال للذئبة: السِّيدانة"[3]. فأصل السِّيدانة: الذِّئبة، وهذا هو المعنى الحقيقي المادّيّ للّفظة في أصل الاستعمال اللّغويّ لها، إلاّ أنّ انتقال دلالة اللّفظة عن طريق شبكة العلاقات المجازيّة لتدلّ على الجُرْأة، وهي دلالة معنويّة مجرّدة، جعل التصاحب بين الصفة (سِيدانةٌ) والموصوف (امْرَأةٌ) غير متجانس معجميّاً؛ لأنّ كلمة (امرأة) لا تتصاحب معجميّاً ـ على مستوى الصفات ـ إلاّ مع كلمة تناسبها، وتتعلّق بها، نحو: طَوِيْلَةٌ، جَمِيْلَةٌ، شُجَاعَةٌ، مُرْهَفَةٌ... الخ، ولكنّها على المستوى اللّغويّ العاديّ لا يمكن أن تتصاحب وصفاً مع (سِيدانة) إلاّ إذا كان انزياحاً، فكأنّ القائل أراد أن يقول: إنّه لمّا كانت السِّيدانةُ تدلّ على الذِّئْبَة التي تتصف بالجرأة ـ خصوصاً عندما يتعرض جراؤها إلى خَطَرٍ دَاهِمٍ ـ جاز لنا عن طريق التّشابه ـ من باب الاستعارة المكنيّة ـ أن نطلق على المرأة الجَرِيئة قولنا: (امرأةٌ سِيدانةٌ)، فأجرأ ما تكون المرأة عندما يتعرض أولادها إلى خَطَرٍ مُحْدِقٍ.

وفي لفظة (العَبَس) التي رويت عن أصحاب اللّغة في كتاب العين، يقول الخليل فيها: "والعَبَسُ: ما يَبِسَ على هُلْب(*) الذَّنَب مِنَ البَعْر والبَوْل، وهو من الإبل كالوَذَحِ من الشّاء الذي يتعلّق بأذنابها وألْيَاتِها، ويكون ذلك من السِّمَن"[4]. قال أبو النّجم[5]:

كَأنَّ فـي أذنابِـهِنَّ الشُّـوَّلِ

مِنْ عَبَسِ الصَّيْفِ قُرُونَ الأُيَّلِ

---

(1) العين ٢٨٤/٧(سيد).

(2) المحكم والمحيط الأعظم ٥٦٨/٨.

(3) أساس البلاغة ٤٧٢.

(*) الهُلْب: شَعْرُ الذَّنَب. لسان العرب ٧٨٦/١.

(4) العين ٣٤٣/١(عبس).

(5) الرجز في: المخصّص ١٢٥/١٦؛ ولسان العرب ١٢٩/٦؛ تاج العروس ٢٢٣/١٦.

وقال جرير[1]:

تَرَى العَبَسَ الحَوْلِيَّ جَوْناً بكُوعِها

لها مَسَكاً مِنْ غيرِ عَاجٍ ولا ذَبْلِ

قال ابن السِّكِّيت: "والعَبْسُ: مصدر عَبَسَ يَعْبِسُ عَبْساً وعُبُساً، إذا قطّب. والعَبَسُ: ما يتعلّق بأذناب الإبلِ من أبْعَارِها وأبْوَالِها"[2]. وهذه هي الدّلالة الأصليّة للفظة (العَبَس) قبل أن يعتريها التغيّر الدّلاليّ، وهي دلالة مادّيّة محسوسة.

وتتبع الخليل تطوّر دلالة هذه اللّفظة، فقال: "وَيَوْمٌ عَبُوْسٌ: شديدٌ"[3]. وقد أكّد ابن فارس هذا التطوّر، فقال: "ثمّ اشتق من هذا: اليوم العَبُوس، وهو الشَّديد الكَرِيه"[4].

وعليه فإنّ دلالة لفظة (العَبَس) كانت تعني الوَذَحُ أو ما شابهه ممّا ييبس على أذناب بعض الحيوانات من أبْعَارِها وأبْوَالِها، وهو المعنى الحقيقي المادّيّ للّفظة في أصل الاستعمال، ثمّ انتقلت دلالة تلك اللّفظة إلى دلالة أخرى تجريديّة لتدلّ على شدّة الأيام وكراهيتها، قال الله تعالى: ﴿ يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴾ [الإنسان:١٠] .

ولو نظرنا إلى ما رواه الخليل: (يومٌ عَبُوسٌ) فإنّنا نجد أمر الترافق بين الموصوف (يَوْمٌ) وصفته (عَبُوسٌ) غير ممكن من الناحية المنطقيّة؛ لأنّ حالة اليأس التي مرّ بها القائل، جعلته يصف اليوم بأنّه عَابِس، والحقيقة هي أنّ الإنسان هو العابس. قال الراغب: "العُبُوس: قُطُوبُ الوَجْهِ مِنْ ضِيقِ الصدر. قال الله تعالى: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴾ [عبس:١]، ﴿ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴾ [المدثر:٢٢]، ومنه

---

(١) ديوانه ٣٧١.

(٢) إصلاح المنطق ٨٣.

(•) الهُلْب: شَعْرُ الذَّنب. لسان العرب ١/٧٨٦.

(٣)العين ١/٣٤٣(عبس).

(٤) مقاييس اللّغة ٤/٢١٠- ٢١١.

قيل: يَوْمٌ عَبُوسٌ"(١). فاليوم يمكن أن ينعت بوصف معنويّ مجرّد، ولا ينعت بصفات ماديّة محسوسة، كأن نقول: يَوْمٌ شَدِيدٌ طَوِيلٌ، مُشْرِقٌ، جَمِيلٌ، إلى آخر الألفاظ التي يمكن أن تترافق معجميّاً معه، إلاّ أنّ القائل أراد إضفاء المزيد من القوة على المعنى الذي أراده، فاتجه إلى المجاز اللّغويّ؛ ليصاحب بين اللفظتين، فقال: (يَوْمٌ عَبُوسٌ). وقد خرج هذا التصاحب على القاعدة اللّغويّة، وأنّ الذي سوّغه هو أنّه لمّا كان العَبَس يدلّ على الوَذَحِ أو ما شابهه ممّا تعلّق بأذناب الشّاء والإبل من أبْوالِها وأبْعَارِها، وجَفَّ وتماسك واشتدّ عليها، لدرجة أنّه يصعب نزعه عنها – جاز لنا عن طريق التّشابه أن نطلق على اليوم الشديد قولنا: (يوم عَبُوس) لأنّ اليوم العبوس يشتدّ، ويتكالب على الإنسان بمصائبه وآلامه وأحزانه وآهاته كما يشتدّ الوَذَحُ، ويتماسك على أذناب الشّاء والإبل، وهذا مخالف لما ذكره الراغب من أنّ أصل عبوس اليوم يعود إلى قُطُوب الوجه من ضيق الصّدر، والصّواب أنّ أصلهما من الوَذَحِ الذي جفَّ على أذناب بعض الحيوانات من أبْعَارِها وأبْوَالِها، الذي يطلق عليه العَبَس. قال الثّعالبي في مراحل العبوس عند الإنسان عن الليث عن الأصْمَعي: "إذا زَوَى ما بين عينيه فهوَ قاطِبٌ وعَابِسٌ. فإذا كَشَرَ عن أنيابه معَ العُبُوسِ فهوَ كالِحٌ. فإذا زاد عُبُوسَهُ فهوَ باسِرٌ ومُكْفَهِرٌّ. فإذا كان عُبُوسَهُ مِنَ الهَمِّ فهوَ سَاهِمٌ. فإذا كان عُبوسهُ مِنَ الغَيْظِ وكان مع ذلك منْتَفِخاً فهوَ مُبَرْطِمٌ"(٢).

ومن تلك الألفاظ كذلك لفظة (القَدّ) التي رواها الخليل عن أصحاب اللّغة من العرب، فقال: "القَدُّ: قَطْعُ الجِلْدِ وشَقُّ الثَّوْبِ ونَحْوُه. وتقول: قَدَدْتُ وَسَطَه بالسَّيْفِ، وقَدَدْتُ القَميصَ فانقَدَّ"(٣). وقد

---

(١) المفردات ٥٤٤.

(٢) فقه اللّغة وأسرار العربيّة ٩٣-٩٤.

(٣) العين ٥/١٦(قد).

استدلّ على هذا المعنى بقول ذي الرُمّة[1]:

... ... تكادُ تَنْقَدُّ منهُنَّ الحَيازيمُ

قال ابن فارس: "القاف والدال أصلٌ صحيح يدلّ عل قطع الشيء طولاً، ثم يستعار. يقولون: قَدَدْتُ الشَّيءَ قَدّاً إذا قطعتُه طولاً أَقُدُّه"[2]. وهذا هو المعنى الحقيقي للّفظة، وهو المعنى المراد في قوله تعالى: ﴿ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ ﴾ [يوسف:٢٦]، وفي قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ ﴾ [يوسف:٢٧]. بيد أنّ دلالة هذه اللّفظة انتقلت إلى معنى مجازي آخر، فأصبحت تدلّ على تَشْقِيْقِ الكَلامِ وكَثْرَتِه، وهي دلالة عقليّة مجرّدة. قال الخليل: "ورجلٌ قَدّادٌ: يَقُدُّ الكلامَ، وهو تَشْقيقُه إيّاهُ وكَثْرَتُه"[3]. قال ابن منظور: "وقَدَّ الكلامَ قدّاً: قَطَعَه وشَقَّه"[4]. من خلال ذلك نلاحظ أنّ دلالة لفظة (القَدّ) قد انتقلت من معناها المادّيّ المحسوس: (قطع الشيء طولاً)، وهو المعنى الحقيقي للّفظة، إلى معنى مجازي تجريدي لتدلّ على شقّ الكَلامِ وقَطْعِه.

وعليه فإنّ أمر التصاحب بين الموصوف (رجل) وصفته (قدّاد) ممكن من الناحية المعجميّة إن استخدمنا (القَدّ) للمعنى المادّيّ المحسوس. أمّا إذا وظفناها للمعنى العقليّ المجرّد؛ فإنّ أمر التصاحب لا يمكن قبوله من الناحية المنطقيّة ــ على مستوى الصفات ــ إذ كيف ينعت الرجل بأنّه مقدّد الكَلام، والقَدّ لا يقع إلاّ على ما هو مادّيّ محسوس؟ أمّا الكلام فهو "صوت مركّب دالّ"[5] ينتج

---

(١) ديوانه ٦٥٢؛ عجز بيت، وروايته: تَعْتَادُني زَفَراتٌ مِنْ تَذَكّرِها تَكَادُ تَنْقَضُ مِنْهُنّ الحيازيمُ
وقد أخلّت الرواية بموطن الشاهد.

(٢) مقاييس اللّغة ٦/٥.

(٣) العين ١٦/٥(قد).

(٤) لسان العرب ٣٤٤/٣.

(٥) الشعر ١١٤.

عن الأمواج أو الاهتزازات الهوائية الواقعة على الأذن التي يحدثها الجهاز الصوتي للمتكلم[1].أي أنّ الكلام غير محسوس ولا يقع عليه القَدّ. ولكن لمّا كان القَدّ يدلّ على شقّ الشيء طولاً، كـ (شَقّ الثوب والجِلْد ونحوها)، جاز لنا عن طريق التّشابه ــ من باب الاستعارة المكنيّة ــ أن نطلق على مَنْ يقطع الكلام ويشقه قولنا: (رَجُلٌ قَدَّادٌ)، لأنّ مَنْ يفصل الكلام ويجزّئه إلى أجزاء كان بمثابة مَنْ يَقُدُّ الشَّيءَ بفصل أجزائه بعضها عن بعض.

ومن تلك الأمثلة ــ كذلك ــ لفظة (النُّطْق) التي رواها الخليل عن أصحاب اللّغة من العرب، فقال: "نَطَقَ النّاطِقُ يَنْطِقُ نُطْقاً، وهو مِنْطِيقٌ بَلِيغٌ"[2]. قال الراغب: "النُّطْق في التَّعارُفِ: الأصْواتُ المُقَطَّعةُ التي يُظْهِرُها اللّسان وتَعِيها الآذانُ"[3]. قال الله تعالى: ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴾ [الصافات:٩٢]. وهذا يدلّ على أنّ أصل النطق في اللّغة اللّفظ بالقول "ولا يَكَادُ يقال إلاّ للإنسان، ولا يقالُ لغيره إلاّ على سبيل التَّبَع، نحو: الناطِق، والصامت، فيُرادُ بالناطق ما له صَوْتٌ، وبالصامت ما ليس له صَوْتٌ، ولا يقال للحيوانات ناطِقٌ إلاّ مُقيَّداً، وعلى طريق التشبيه"[3]. قال حميد بن ثور[4]:

عَجِبْتُ لها أنّى يكونُ غِناؤُهَا

فَصِيحاً ولم تَفْغَرْ لِمَنْطِقِها فَما

---

(١) ينظر: اللّغة ٤٣.

(٢) العين ٥/١٠٤(نطق).

(٣) المفردات ٨١١.

(٤) ديوانه ١٠١ ،"بِمَنْطِقِها" في موضع"لِمَنْطِقِها".

وتابع الخليل تطوّر دلالة لفظة (النطق) عند أهل اللّغة من العرب، فقال: "والكتابُ النّاطِقُ: البَيِّنُ"(١)، وقد استدلّ على ذلك بقول لبيد(٢):

أو مُذْهَبٌ جَدَدٌ عَلَى ألواحِهِ

النّاطِقُ المَبْرُوزُ والمَخْتُومُ

وهذا ما أكّده الزمخشري عندما قال: "ومن المجاز... كتاب ناطِقٌ: بيِّنٌ، وبذلك نَطَقَ الكتابُ"(٣). وهكذا نرى كيف انتقلت دلالة لفظة (النطق) من دلالتها الأصليّة التي تدلّ على اللّفظ بالقول إلى دلالة أخرى مجازيّة تدلّ على البيان والوضوح. قال الله تعالى: ﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ ﴾ [الجاثية:٢٩-٣٧].

وعليه فإنّ انتقال دلالة اللّفظة عن طريق شبكة العلاقات المجازيّة لتدلّ على البيان والوضوح، قد جعل التصاحب بين الموصوف (كتاب) وصفته (الناطق)غير متجانس معجميّاً؛ لأنّ كلمة (كتاب) لا تتصاحب معجميّاً ــ على مستوى الصفات ــ إلاّ مع كلمة تناسبها، وتتعلّق بها، مثل: الكِتَابُ المُفِيدُ، الوَاضِحُ، النَّظِيفُ، الكَبِيرُ، إلى غير ذلك من الألفاظ التي تتصاحب معه. لكنّ القائل بقوله: (الكِتَابُ النَّاطِقُ) قد خالف التوقعات جميعها، وابتعد دلالياً عن المصاحبة المباشرة بين الصفة والموصوف. إذ كيف يكون الكتاب ناطقاً وهو جماد لا لسان له؟ وهل للكتاب جهاز نطق يستطيع من خلاله التصويت به؟ لذلك اتجه القائل إلى المجاز اللّغويّ الذي علاقته التّشابه ؛ لتسويغ هذا التصاحب الذي يعدّ انزياحاً عن المألوف، فهو يريد أن يقول: إنّه لمّا كان النطق يدلّ على الكلام الواضح البليغ، الذي يطلق على صاحبه (الناطق)، جاز لنا عن طريق التّشابه ــ من باب

(١) العين ٥/١٠٤(نطق).

(٢) ديوانه ٩٩ ، وروايته:" على ألواحِهن" في موضع" على ألواحه"

(٣) أساس البلاغة ٩٦٨.

الاستعارة المكنيّة ـــ أن نطلق على الكتاب البَيّن الواضح قولنا: (الكتاب الناطق)؛ لأنّ الكتاب الذي تكون كلماته واضحة يُظْهِر ويُوضّح ما يريده صاحبه؛ أي كأنّه يتحدث بلسان صاحبه. وما أجمل كلام الراغب حين قال: "إن الكِتابَ نَاطِقٌ لكنْ نُطْقُهُ تُدْرِكهُ العَيْنُ كما أن الكلامَ كِتَابٌ لكن يُدْرِكُهُ السَّمْعُ"[1].

ومن تلك الألفاظ كذلك لفظة (النَّفْخ) الواردة في قول الله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ ﴾[طه:١٠٢]. قال الخليل: "النَّفْخُ: معروف. تقول نَفَخْتُهُ فانْتَفَخ"[2]. قال الراغب: "النَّفْخُ: نَفْخُ الرِّيحِ في الشَّيءِ"[3]. وهذا هو الأصل في دلالة اللّفظة الحقيقية قبل أن يعتريها التغيّر الدّلاليّ. إلاّ أنّ دلالة هذه اللّفظة قد تطوّرت مع مرور الزمن إلى معنى مجازي، فأصبحت تدلّ على السِّمَن. قال الخليل: "ورَجُلٌ منفُوخٌ، وقَوْمٌ مَنفُوخُونَ، أي: سَمِنُوا في رَخاوةٍ"[2]. وهذا ما أكّده الراغب عندما ذكر أصل لفظة (النَّفخ) وبيّن أنّه يستعار منه كذلك[4]:

١. انْتِفَاخُ النَّهَارِ: إذا ارْتَفَعَ.

٢. نَفْخَةُ الرَّبيع: حين أعْشَبَ.

٣. رَجُلٌ مِنفُوخٌ، أي: سَمِينٌ.

وقال الزمخشري: "ومن المجاز: انْتَفَخَ النَّهارُ: عَلا. ورَجُلٌ مَنفُوخٌ: سَمِينٌ ونَفَخَ شِدْقَيْه: تَكَبَّر، وجَاءَتْ نَفْخَةُ الرَّبِيْعِ: أيّام إعْشَابِه"[5]. والذي يهمنا من هذه الدلالات المتطوّرة عبارة: (رَجُلٌ مَنفُوخٌ) التي تحمل نوعاً من اللاملاءمة المعجميّة بين الموصوف (رَجُل) وصفته (مَنفُوخ)؛ لأنّ كلمة

---

(١) المفردات ٨١٢.

(٢) العين ٤/٢٧٧(نفخ).

(٣) المفردات ٨١٦.

(٤)المصدر نفسه ٨١٦-٨١٧.

(٥) أساس البلاغة ٩٧٧.

(رجل) يمكن أن ينعت بوصف ملائم له، كأن نقول: مُكْتنِزٌ، سَمِيْنٌ، مُمْتَلِئٌ، وغيرها من الصفات التي يمكن أن تتصاحب معجمياً معه. أمّا مصاحبته للصفة (منفوخ) فقد أضفى على التركيب الأسلوبي نوعاً من عدم القبول؛ إذ إنّ النّفخ لا يكون لأجسام الأحياء؛ لأنّها إذا نُفِخَت بالهواء فإنّ خلاياها تَتْلَف وتموت، وهو ما لم يقصده القائل بقوله. ولكنّ العلوّ هو الذي دفعه إلى أن يصاحب بين (رجل) وصفته الواردة هنا وهي (منفوخ)، وهما ممّا لا يترافقان على مستوى لغة الخطاب العاديّ. لكن ما الذي سوّغ له هذا التصاحب؟ إنّه المجاز الذي علاقته التّشابه إذ إنّه لمّا كان النّفْخ يدلّ على نفخ الشيء بالريح وعلوّه وارتفاعه عن مستواه عن سطح الأرض، جاز لنا عن طريق التّشابه ــ من باب الاستعارة المكنيّة ــ أن نطلق على الرجل السّمين قولنا: (رَجُلٌ مَنْفُوخٌ)؛ لأنّ السِّمَن يرفع لحم الجسم عن عظمه عمّا كان عليه، وبذلك يعظم الجسم ويغلظ طولاً وعرضاً. أي أن سبب انتقال دلالة لفظة (النَّفخ) إلى الدّلالة الجديدة كان التّشابه في العلوّ والارتفاع بين الشيء المنفوخ بالهواء والرجل السَّمين.

٢ــ علاقة الكناية عن صفة:

عندما استقرأتُ المادة اللّغوية في معجم العين، وجدتُ جملة من الألفاظ مثّلت العلاقة الأفقيّة الوصفيّة التي تمّ انتقال مجال الدلالة فيها عن طريق التّشابه ــ من باب شبكة العلاقات الكنائيّة ــ بصورتين، هما:

أ- انتقال الدلالة من المجال المحسوس إلى المجال المجرّد:

يمثّل هذا النوع من انتقال الدلالة جملة من الألفاظ التي انتقلت دلالاتها من الدلالة الحسيّة إلى دلالة أخرى مجرّدة، وكان التصاحب اللّغويّ بين الصفة والموصوف في العلاقة الأفقيّة الوصفيّة يمثّل شكلاً من أشكال اللاتجانس الدّلاليّ. فمن أمثلة هذا النوع ما رواه الخليل عن أصحاب

اللّغة من العرب حول لفظة (الجَرْف) فقال: "الجَرْف: اجترافُكَ الشَّيْءَ عن وَجْهِ الأَرْضِ"(١). قال ابن فارس: "جَرَفْتُ الشَّيْءَ جَرْفاً: إذا ذَهَبْتَ به كُلِّهِ. وسَيْلٌ جُرافٌ: يَذْهَبُ بكُلِّ شيءٍ. والجُرُفُ: المكانُ الذي يأكُلُهُ السَّيْلُ، وجُرُفٌ أيضاً"(٢). قال الله تعالى: ﴿ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ ﴾ [التوبة:١٠٩] ؛ أي: المكان الذي يأكله السيل فيجرفه، فهذه هي الدّلالة الأصلية أو الأولى للفظة (الجَرْف) قبل أن يعتريها التغيّر الدّلاليّ.

وتتبع الخليل دلالة هذه اللّفظة التي رواها عن أهل اللّغة، فقال: "ورجُلٌ مُجَرَّفٌ: جرفه الدّهْرُ أي اجْتَاحَ مَالَهُ فَأَفْقَرَه... ورجُلٌ جُرَاف: أكُولٌ جداً"(١)، وهذا ما أكّده الزمخشري بقوله: "ومن المجاز... جَرَف الدّهْرُ مَالَهُ"(٣). وعليه فإنّ دلالة لفظة (الجَرْف) قد انتقلت من أصل وضعها اللّغويّ الدّال على الذهاب بالشيء عن وَجْه الأرْضِ، وهي دلالة ماديّة محسوسة، إلى دلالتين جديدتين مجرّدتين: الأولى تدلّ على افتِقار الرجُلِ ماديّاً بعد الغنى: (رجُلٌ مُجَرّفٌ)، والثانية تدلّ على الأكُول: (رجُلٌ جُرَافٌ)، إلاّ أنّ التصاحب بين الصفة (مُجَرّف) والموصوف (رجُل) غير متجانس من الناحية المعجميّة على مستوى الصفات، وأن كلمة (رجل) لا يتصاحب إلاّ مع كلمة تناسبه، وتتعلّق به، كأن نقول: رجُلٌ فَقِير، غَنِي، طَوِيل، قصير... الخ، ولكنّها على مستوى الخطاب اللّغويّ لا يمكن أن تترافق (وصفاً) مع الجَرْف إلا إذا كان انزياحاً عن المألوف.

وسؤالنا هو: ما الذي سوّغ لنا مثل هذا التصاحب؟ إنّها علاقة التّشابه في هَبْش الشَّيء والذهاب به كلّه بين السَّيْل الذي يَجْرف كلّ شيء أمامه والدهر الذي يجتاح مَالَ الرجُل فيجعله فقيراً؛ لذلك جاز لنا عن طريق التّشابه ــ من باب شبكة العلاقات الكنائيّة ــ أن نقول عمّن اجتاح

---

(١) العين ١٠٨/٦(جرف).

(٢) مجمل اللّغة ١٢٧.

(٣) أساس البلاغة ١١٩.

الدهرُ مالَه قولنا: (رَجُلٌ مُجَرَّفٌ)، وكذلك الرجل الأكول الذي يَأكُل كثيراً وُصِفَ بأنّه (جُرَاف)؛ لأنّه كالسّيْل الذي يَجْرِف ما يوجد أمامه ويذهب به بعيداً. أي أنّ الذي سبب هذه الدّلالات هو الأخذ والذهاب بالشّيء.

ومن أمثلة هذا الباب ــ كذلك ــ ما جاء به الخليل على لسان أصحاب اللّغة في لفظة (الجُمُود)، فقال: "جَمَدَ الماءُ يجْمُدُ جُمُوداً"(١). وقال ابن فارس:" الجيم والدّال أصلٌ واحدٌ، وهو جُمُود الشَّيْءِ المَائِع مِنْ بَرْدٍ أو غيرِه، يقال: جَمَدَ الماءُ يَجْمُدُ"(٢). نلاحظ من ذلك أنّ أصل الاستعمال اللّغويّ للفظة (الجُمُود) يدلّ على صَلابَة السَائِل مِنْ بَرْدٍ أو غيره، وهي دلالة مادّيّة محسوسة، إلاّ أنّ هذه الدّلالة قد انتقلت عن طريق المجاز الذي علاقته التّشابه إلى دلالة أخرى مستحدثة رواها الخليل بقوله: "وسَنَةٌ جَمَادٌ: جامِدةٌ لا كَلأَ فيها ولا خِصْبَ. وعَيْنٌ جَمَادٌ: لا دَمْعَ فيها"(٣). وهذا ما أكّده الزمخشري بقوله: "ومن المجاز... سَنَةٌ جَمَادٌ، وأرضٌ جَمَادٌ: لا حَيًا فيهما... وهو جَامِدُ العَيْن، وجَمَادُ العَيْن، وجَمُودُها، وله عَيْن جَمُودٌ: قَلِيلَة الدَّمْع"(٤).

وعليه فإنّنا نجد أنّ التصاحب بين الصفة (جَمَاد) والموصوفين (سنة، عين)، بعيد كلّ البعد عن لغة الخطاب التلقائي العاديّ، إذ كيف تَجْمَد السَّنَة، وهي من الأمور المعنويّة؟ وكذلك العين فإنّها إذا جَمَدت فإنّها تتعطل عن حاسة النظر. وهذا يقودنا إلى أنّ لفظة (الجُمُود) ليست من مصاحبات السنة أو العين في المستوى المعجمي الاستعمالي المباشر، وإنّما من مصاحبات السوائل بأنواعها، أي أنّها لا تتصاحب إلاّ مع شيء مادّيّ مناسب لها، لكن الترافق بين الصفة (جماد) والموصوفين (سنة، عين) يعدّ انزياحاً عن المألوف، فكأنّ القائل أراد أن يقول: إنّه لمّا كان الجُمُود يدلّ على

(١) العين ٨٩/٦(جمد).

(٢) مقاييس اللّغة ٤٧٧/١.

(٣) العين ٩٠/٦(جمد).

(٤) أساس البلاغة ١٣٢.

صَلابَة السَّائِل مِنْ بَرْدٍ أو غيرِه، جاز لنا عن طريق التَّشابه ـ من باب العلاقـات الكنائيّـة ـ أن نطلق على السنة المُجْدِبَة القاحِلَة قولنا: (سنةٌ جَمَادٌ). أي أنّ سبب انتقال دلالة هذا النمط إلى الدّلالة الجديدة كان التّشابه في الصَّلابَة والقَسْوَة بين السّنَة المُجْدِبَة التي قلّ مَطَرُها فَقَسَتْ على الناس بِعَدَم الخِصبِ، وصَلابَة السَّائِل الذي تجمّعتْ ذرّاتُه فأصبَح قَاسِياً. قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾ [يوسف:٤٩]، وهذا عكس السَّنَة الجَمَاد. وكذلك جاز لنـا عن طريق التّشابه ـ من باب شبكة العلاقات الكنائيّة ـ أن نطلق على العين التي لا دمـع فيهـا قولنا: (عينٌ جَمَاد)، كناية عن قسوة القلب. قال الفيومي (ت٧٧٠هـ): "جَمَدَ الماءُ وغَيْرُه جَمْداً مِنْ باب قَتَلَ ، وجُمُوداً : خِلاف ذَابَ ، فهو جَامِدٌ ، وجَمَدَتْ عَيْنُه : قلَّ دَمْعُها : كِنَايَة عَنْ قَسْوَة القَلْب ، وَجَمَدَ كَفُّهُ : كِنَايَة عَنْ البُخْلِ ، وماء جَمْد بالسكون : تسمية بالمصدر ، خلاف الـذائب"(١). أي أنّ الذي سبّب هذه الدلالات المتطوّرة هو القسوة والصلابة.

ومـن أمثـلة هذا الصنف ما رواه الخليل عن أهل اللّغة من العـرب حـول لـفظة (الخرَس)، فقال: "خَرِسَ خَرَساً، والخَرَسُ: ذهاب الكلام خِلْقَةً، أو عِيّاً. وكتيبةٌ خرساءُ: لا يُسْمَعُ لها صَوْتٌ ولا جَلَبَةٌ(*)، وفيهم نَجْدة"(٢). وهذا ما أكّده ابن فارس بقوله: "الخَرَسُ في اللِّسان، وهو ذهاب النُّطق. ويُحْمَل على ذلك فيقال: كتيبةٌ خَرْساءُ، إذا صَمَتَتْ من كثرة الدُّروع، فلـيس لهـا قعْقعَـةُ سِلاح"(٣). فأصل الخَرَس ذهاب النّطق سواء أكان خِلْقَة أم مرضاً، وهذه هي الدّلالـة الأصـليّة أو الأولى للّفظة قبل أن يعتريها التغيّر الدّلاليّ، إلاّ أنّ انتقال دلالة اللّفظة عن طريق شبكة العلاقـات

---

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ١/١١٧.

(*) الجلبة: الصِّياح والصَّخَب. لسان العرب ١/٢٦٩.

(٢)العين ٤/١٩٥(خرس).

(٣) مقاييس اللّغة ٢/١٦٧.

المجازيّة لتدلّ على صَمْت الكتيبة جعل الترافق بين الموصوف (كتيبة) والصفة (خرساء) غير متجانس معجميّاً؛ لأنّ الموصوف (كتيبة) لا تتصاحب إلا مع كلمة تناسبها، وتوصف بها، كأن نقول: كتيبةٌ قَوِيَّةٌ، عَظِيْمَةٌ، شَدِيْدَةٌ... الخ، لكنّها على المستوى اللّغويّ العاديّ لا يمكن أن تتصاحب (وصفاً) مع (الخَرَس)؛ لأنّ الخَرَس ممّا يتعلّق بالإنسان فقط، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، كيف يمكننا وصف ما لا لسان له بالخَرَس؟ حتى البهائم التي لها ألسنة لا يجوز وصفها بالخَرَس؛ لأنّها لا تنطق. لذلك فإنّ أصحاب اللّغة لم يريدوا بقولهم: (كَتِيْبَةٌ خَرْسَاءُ) المعنى الحقيقي، وإنّما استعاروا اللّفظة (خرساء) لتدلّ على المعنى المجازي؛ لعلاقة التّشابه بين المعنى الحقيقي لها والمعنى المجازي. فكأنّ القائل أراد أن يقول: إنّه لمّا كان الخَرَس يدلّ على ذهاب النّطق خِلْقَة أو مرضاً، جاز لنا عن طريق التّشابه ـ من باب شبكة العلاقات الكنائيّة ـ أن نطلق على الكتيبة التي لا يخرج لها صوت ولا جَلَبَة قولنا: (كَتِيْبَةٌ خَرْسَاءُ). أي أنّ سبب انتقال دلالة هذا النمط إلى الدّلالة الجديدة كان التّشابه في ذهاب الصوت بين الكتيبة التي لا صوت لها وذهاب نطق الإنسان.

وممّا جاء من هذا النوع ما رواه الخليل عن العرب حول لفظة (الرَّعَن)، فقال: "رَعُنَ الرجُلُ يَرْعُنُ رَعَناً فهو أرعَنُ، أي: أهْوَج، والمَرْأةُ رَعْنَاء إذا عُرِف المُوْق(*) والهَوَج في منطقها. والرَّعْنُ من الجبال ليس بطَوِيلٍ، ويجمع على رُعُون ورِعان"[1]. وحول هذه اللّفظة الواردة في قوله تعالى: ﴿ لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا ﴾ [البقرة:١٠٤]، يقول ابن القيّم الجوزيّة (ت٧٥١هـ) ـ رحمه الله :ـ "نهاهم سبحانه أن يقولوا هذه الكلمة ـ مع قصدهم بها الخير ـ لئلا يكون قولهم ذريعة إلى التشبيه باليهود في أقوالهم وخطابهم، فإنّهم كانوا يخاطبون بها النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويقصدون السّبّ، ويقصدون فاعلاً من الرّعونة، فنهى المسلمين عن قولها؛ سدّاً لذريعة

(*) المُوْقُ: حُمْقٌ في غَباوة. لسان العرب ١٠/٣٥٠.

(١) العين ٢/١١٨(رعن).

التّشابه ، ولئلا يكون ذريعة إلى أن يقولها اليهود للنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ تشبيها بالمسلمين يقصدون بها غير ما يقصده المسلمون"[١]. أمّا الراغب فقد بيّن مراحل التطوّر الدّلالي التي مرّت بها هذه اللّفظة حين قال: "كان ذلك قولاً يقولُونه للنبيّ ــ صلى الله عليه وسلم ــ على سبيل التّهكُّم، يقْصدُون به رَمْيَهُ بالرُّعُونة، ويُوهِمُونَ أنَّهم يقُولُونَ رَاعِنَا، أي: احْفَظْنَا، مِنْ قَوْلِهِمْ: رَعُنَ الرَّجُلُ يَرْعُنُ رَعناً، فهو رَعِنٌ وأَرْعَنُ، وامْرَأَةٌ رَعْنَاءُ، وَ تَسْمِيَتُهُ بذلك لِمَيْلٍ فيه تشبيهاً بالرَّعْنِ، أي: أَنْفِ الجَبَلِ لِما فيه مِنَ المَيْلِ، قال الشاعر[٢]:

لَوْلاَ ابن عُتْبَةَ عَمْرٌو والرَّجَاءُ لهُ

ما كانَتِ البَصْرَةُ الرَّعْنَاءُ لِي وطَنَا

فوصفها بذلك، إمّا لِما فيها من الخَفْضِ بالإضافة إلى البَدْوِ تشبيهاً بالمرأةِ الرَّعْنَاءِ، وإمّا لِما فيها من تكسُّرٍ، وتَغَيُّرٍ في هوائِهَا"[٣].

وهذا يعني أنّ الدّلالة الأصليّة أو المركزية للفظة (الرّعَن) قبل أن يعتريها التغيّر الدّلاليّ كانت تعني: أَنْفَ الجَبَل لما فيه من المَيْل، وهي دلالة ماديّة محسوسة، ثمّ انتقلت دلالة هذه اللّفظة عن طريق شبكة العلاقات المجازيّة إلى دلالة مستحدثة لتدلّ على الهَوَج، وهي دلالة عقليّة مجرّدة. "فالألفاظ تستخدم عبر الأجيال ونتيجة استخدامها، يغرم أناس بمعاني الألفاظ الهامشيّة، ويبقى معظم الناس يشتركون في استعمالها على معناها المركزيّ. ويرث الجيل التالي ما شاع من دلالات هامشيّة ومركزيّة، ومع توالي الأيام يتضخم الانحراف وتصبح الدّلالة الهامشيّة شائعة"[٤]. وهذا يعني أنّ الدّلالة المجازيّة (الهامشيّة) شاعت لكثرة الاستعمال، وأصبحت دلالة حقيقيّة على اللفظ. ثمّ

---

(١) أعلام الموقعين ١٤٩/٣.

(٢) البيت معزو للفرزدق، ولم يرو في ديوانه. وهو في: مقاييس اللّغة ٤٠٧/٢؛ جمهرة اللّغة ٣٨٨/٢؛ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٨٨/٣.

(٣) المفردات ٣٥٨.

(٤) علم الدّلالة والمعجم العربي ٨١.

انتقلت بعدها هذه الدّلالة الحقيقيّة الجديدة إلى دلالة مجازيّة ثانية لتدلّ على الكثرة. قال الخليل: "وجَيْشٌ أَرْعَنُ: كَثِير"[1]. قال العجّاج[2]:

أَرْعَنَ جَرَّارٍ إذَا جَرَّ الأَثَرْ

وهذا يعني أنّ ما رواه الخليل: (جَيْشٌ أَرْعَنُ) يحمل نوعاً من اللاتجانس بين الصفة والموصوف، لأنّ الموصوف (الجيش) لا يترافق إلاّ مع كلمة تناسبه، ويوصف بها، كأن نقول: جَيْشٌ جَرَّارٌ، شَدِيدٌ، قَوِيٌّ، عَظِيْمٌ... الخ. لكنّ القائل هنا ابتعد كثيراً عن المصاحبة المباشرة معجميّاً؛ لأنّه قال: (جيشٌ أرْعَنُ) إذ كيف يكون الجيش أرعنَ، والرّعونة مما يتعلّق بالإنسان؟! الأمر الذي جعل الدّلالة بعيدة تحتاج إلى تفسير. فكأنّ القائل أراد يقول: إنّه لمّا كانت الرّعونة تدلّ على الإنسان الأهْوَج الذي يميل ويتقلب بآرائه، وأهوائه، وأقواله، وسلوكياته من حال إلى حال حسبما يُمْليه عليه الآخرون، جاز لنا عن طريق التّشابه ــ من باب شبكة العلاقات الكنائيّة ــ أن نطلق على الجيش الكثير قولنا: (جيشٌ أرْعَنُ)؛ لأنّ الجيش إذا كثر فإنّه يميل بكثرة عدده على عدوّه بأمر مِنْ ساستِه، مغتراً بكثرته، ظانّاً أنّ النصر حليفة. قال الله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ ﴾ [التوبة:٢٥] ، وكذلك إذا كثر الجيش تكثر متطلباته ورغباته، عند ذلك يصعب ضبطه والسيطرة عليه من قبل ساستِه الذين يكونون بمثابة عقل الأهوج الذي لا يضبط صاحبه عن ميولا ته ورغباته.

وممّا ذكره الخليل عن العرب من أمثلة هذا المظهر قولهم في لفظة (السَّحّ)، فقال: "وسَحَّ المَطَرُ والدَّمْعُ يَسِحُّ سَحّاً وهو شدَّةُ انصِبَابِه"[3]. وقال ابن فارس: "السين والحاءُ أصلٌ واحدٌ يدلّ على

---

(١) العين ١١٨/٢(رعن).

(٢) ديوانه ١٦.

(٣) العين ١٦/٣(سح).

الصَّبّ، يقال سَحَحْتُ الماءَ أسُحُّ سَحّاً. وسَحَابَةٌ سَحُوحٌ، أي صَبّابة"[1]. وهذا يعني أنّ الدّلالة الأصليّة أو المركزيّة للفظة (السّحّ) تدلّ على الصّبّ قبل أن يعتريها التغيّر الدّلاليّ، ثم تغيّرت دلالة هذه اللّفظة عن طريق المجاز الذي علاقته التّشابه إلى دلالة مستحدثة، وضّحها الخليل على لسان أهل اللّغة من العرب بقوله: "وفَرَسٌ مِسَحٌّ: أي سَرِيْعٌ"[2]. قال امرؤ القيس[3]:

مِسَحٌّ إذا ما السَّابِحَاتُ على الوَنَى

أَثَرْنَ الغُبَـارَ بالكَديدِ المُـرَكَّلِ

وهذا ما أكّده ابن فارس بقوله: "وفَرَسٌ مِسَحٌّ، أي: سريع يُشَبَّهُ عَدْوُهُ بانْصِبابِ المَطَرِ"[4].

وإذا أنعمنا النظر في هذه الدّلالة المتطوّرة في عبارة: (فَرَسٌ مِـسَحٌّ) نجد أنّ التصاحب الدّلاليّ فيها بين الصفة والموصوف، يمثّل خرقاً واضحاً للتصاحب المعجميّ، فكلمة (فرس) على المستوى اللّغويّ العاديّ لا يمكن أن تتصاحب وصفاً مع (السَّحّ)؛ لأنّ السَّح ممّا يتعلّق بخصوصيّة السـوائل، هذا مِنْ ناحية، ومِنْ ناحية أخـرى فإنّ لفظة (السَّحّ) تتصاحب مع كلمة تناسبها معجمياً ــ على مستوى الصفات ــ وتوصف بها، كأن نقول: فرسٌ مِكَرٌّ، مِفَرٌّ، سَرِيْعٌ، مُنْطَلِقٌ... الخ. وهذا يقودنا إلى القول بأنّ أصحاب اللّغة لم يريدوا بقولهم: (فَرَس مِسَحٌّ) المعنى الحقيقي، وإنّما لتدلّ على المعنى المجازي؛ وذلك لعلاقة التّشابه بين دلالتها الحقيقيّة ودلالتها المجازيّة. فكأنّ القائـل أراد أن يقول: إنّه لمّا كان السَّحُّ يدلّ على شدّة انْصِبَاب المَطَر والدَّمْع، جاز لنا عن طريق التّشابه ــ من باب شبكة العلاقات الكنائيّة ــ أن نطلق على الفرس المُنْطَلق بسرعة قولنا: (فَرَسٌ مِـسَحٌّ)، أي أنّ

---

(١) مقاييس اللّغة ٦٥.

(٢) العين ٣/١٦(سح).

(٣) ديوانه ٤٧.

(٤) مجمل اللّغة ٣٤٦.

سبب انتقال دلالة هذا النمط إلى دلالة الجديدة كان التّشابه في شدّة السرعة بين سرعة انْصِبَاب المَطَرِ والدَّمْعِ من جهة، وسرعة انطلاق الفرس في عَدْوِهِ من جهة أخرى.

ومن أمثلة هذا المظهر ــ أيضاً ــ ما ذكره الخليل حول معنى لفظة (الشَّرْس)، فقال: "الشَّرْسُ: شِبْه الدَّعْك، كما يَشْرُسُ الحمارُ ظُهُورَ العَانَة بلَحْيَيْه، ونحو ذلك. وقيل: الشَّرْس: النَّهْس، وهو عَضِيضُ الحمار والفَرَس، الذي لا يَقْطع، وهو أوضع مِن القَطْع أو مثْله"(١). قال ابن فارس: "الشَّرْسُ: شِدَّة الدَّعْكِ للشَّيء. يُقال شَرَسْتُه شَرْساً"(٢). وهذا المعنى الحقيقي للَفظة في أصل الاستعمال اللّغويّ لها، إلاّ أنّ دلالة هذه اللّفظة قد انتقلت عن طريق شبكة العلاقات المجازيّة الذي علاقته التّشابه إلى دلالة أخرى جديدة لتدلّ على الصَّلابَة والخُشُونَة، قال الخليل: "وأَمْكِنَةٌ شَرَاسٌ، أي: صَلْبَةٌ خَشِنةٌ، وأرضٌ شَرْساءُ"(١).

وعليه فإنّ قول الخليل: (أمكنةٌ شَرَاسٌ) يحمل نوعاً من اللاتجانس المعجميّ بين الموصوف (أَمْكِنَةٌ) والصفة(شَرَاسٌ)؛ لأنّ كلمة (أمكنة) لا تتصاحب معجمياً ــ على مستوى الصفات – إلاّ مع كلمة مناسبة لها، وتتعلّق بها، مثل: وَعِرَةٌ سَهْلَةٌ، مُنْبَسِطَةٌ، مُوحِشَةٌ، وغيرها من الألفاظ التي تتصاحب معجمياً معها، إلاّ أنّ القائل خالف كلّ التوقعات، فقال: (أمكنةٌ شَرَاسٌ)، وأنّه ابتعد دلالياً بقوله هذا عن المصاحبة المباشرة بين الصفة والموصوف.

وسؤالنا هو: كيف تكون الأَمْكِنَة شَراساً، وهي جامدة لا روح فيها ولا حِراك؟ لكنّه لمّا كان الشَّرْس يدلّ على شِدَّة الدَّعْك للشَّيء، كما يَشْرُس الحمار ظهور العانة بلَحْيَيْه، جاز لنا عن طريق التّشابه – من باب شبكة العلاقات الكنائيّة– أن نطلق على الأمكنة الصَّلْبَة الخَشِنَة قولنا: (أَمْكِنَةٌ شَرَاسٌ)؛ لأنّها عندما تكون صلبة تدعك أرجل واطئها من إنسان وحيوان، وتدعك النبات الخارج

---

(١) العين ٢٢٨/٦(شرس).

(٢) مقاييس اللغة ٢٥٩/٣.

منها بالتضييق عليه وعدم إنباته بشكل سليم. قال عبد الرحمن الكاتب (ت٣٢٠ هـ): "ويقالُ للسيّئِ الخُلُق: هو سَكِسُ الخُلُقِ، وشَرِسٌ، وضرِسٌ، إذا كان صَعْبَ الخُلُقِ، ومعهُ شَكاسَة، وشراسَةٌ، إذا كانَ سيّئَ الخُلُقِ، وشَكِسُ الخَليقَةِ، وعسِرُ الخليقَةِ"(١).

ومما أوقفنا عليه الخليل من أمثلة هذا الباب ما رواه عن العرب حول لفظة (الصَّلْد)، فقال: "حَجَر صَلْدٌ، وجَبينٌ صَلْدٌ أي أملَسُ يَابِسٌ. وإذا قُلتَ: صَلَتٌ فهو مُستَوٍ"(٢). قال الله تعالى: ﴿فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا﴾ [البقرة:٢٦٤]. وقال رؤبة(٣) في الجبين:

لمّا رَأَتْني خَلَقَ المُمَوَّهِ

بَرّاق أصلادِ الجَبينِ الأجْلَهِ

وقد ذكر ابن فارس أنّ أصل (الصلد) يدلّ على: "صَلابةٍ ويُبْسٍ، من ذلك الحَجَر الصَّلْب"(٤). ممّا يعني أنّ دلالة لفظة (الصَّلْد) في أصل وضعها اللّغويّ كانت تدلّ على الحَجَر الصُّلْب الأمْلَس، أي أنّ الدّلالة الأصليّة للّفظة قد استعملت في حقيقتها للمعنى الماديّ المحسوس، ثمّ اعترى هذه اللّفظة التغيّر الدّلاليّ عن طريق شبكة العلاقات المجازيّة فنقلها إلى دلالة عقليّة مستحدثة وضّحها الخليل – على لسان أهل اللّغة من العرب – بقوله: "ورجُلٌ صَلْدٌ أي بَخيلٌ جدّاً، وقد صَلُدَ صَلادةً"(٢). وهو ما أكّده الزمخشري عندما قال: "ومنَ المجاز... رجُلٌ صَلْدٌ وصَلُودٌ: بَخيل جدّاً، وقد صَلُدَ صَلادة، وصَلَدَ يَصلِد صُلُوداً"(٥).

---

(١) الألفاظ الكتابيّة ٩٨.

(٢) العين ٧/٩٩(صلد).

(٣) ديوانه ١٦٥؛ ضمن مجموع أشعار العرب.

(٤) مقاييس اللّغة ٣/٣٠٣.

(٥) أساس البلاغة ٥٣٧.

وإذا تتبعنا ما رواه الخليل: (رجُلٌ صَلْدٌ)، نجد أنّ التصاحب بين الموصوف (رجل) وصفته الواردة هنا وهي (صَلْد) بعيد كلّ البعد عن لغة التخاطب العاديّة، وهما ممّا لا يتصاحبان على المستوى المعجميّ، إذ كيف يكون الرجل صُلْباً أملس كالحجر، وهو كتلة من لحْمٍ، ودَمٍ، وعَظْمٍ، تكتنفها المشاعِر والأحاسيس، أمّا الحجر فهو جَامِدٌ لا حياة فيه؟ لذلك فإنّ أمر التصاحب غير ممكن في المستوى المعجميّ العاديّ؛ لأنّ أهل اللّغة ابتعدوا من الناحية الدّلاليّة عن أداء الوظيفة المعجميّة للألفاظ، ولكنّه ممكن، إذا كان انزياحاً، فكأنّهم يريدون القول: إنّه لمّا كان الصَّلْد يدلّ على الحجر الصُّلْب الأمْلَس الذي لا يُنبتُ نباتاً، ولا يأخذ الماءُ الذي يجري عليه منه شيئاً، جاز لنا عن طريق التّشابه أن نطلق على الرجل البخيل جدّاً قولنا: (رجل صَلْد)؛ لأنّ البخيل لا ينفق الخير على نفسه وأهله، ولا يستطيع أحد من الناس أن يأخذ منه شيئاً، لذلك يقال له في أيامنا هذه: ناشف، ميّت، جِلْدة... الخ. أي أن سبب انتقال دلالة هذا النمط ـ من باب شبكة العلاقات الكنائيّة ـ إلى الدّلالة الجديدة كان التّشابه في الصلابة بين الرجل البخيل والحجر الصُّلْب الأمْلس.

ومن أمثلة هذا القسم ـ أيضاً ـ ما رواه الخليل عن أهل اللّغة من العرب حول لفظة (الضَّأن)، فقال: "والضَّئين: الضَّأنُ، الواحدة ضَائِنَةٌ، والأَضْؤُن على افعُل، أقلّ العَدَد"[1]. وقد ذكر ابن فارس أنّ أصل لفظة (الضَّأن) يدلّ على: "بعض الأنْعَام... يقال أضأن الرجُلُ إذا كثُرَ ضَـأْنُه، والضَّائِنَة الواحدة من الضَّأن"[2]. وقال الخطيب الإسكافي(ت٤٢١هـ): "الضأن: ذواتُ الصُّوفِ، يُقال لِولَدِها: السَّخْلَةُ والبَهْمَةُ. وتُخَصُّ الأُنْثَى بالرَّخِلِ، والجميع: الرُّخالُ، والذَّكَرُ بالحَمَلِ والخروفِ العُمْروسِ"[3]، وهذا يدلّ على أنّ أصل لفظة (الضَّأن) استعمل في حقيقته للمعنى الماديّ المحسوس

---

(١) العين ٧/٦١(ضأن).
(٢) مقاييس اللّغة ٣/٣٨٤.
(٣) مبادئ اللّغة ٢٤٥.

الذي يدلّ على الخِراف. قال الله تعالى: ﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِۗ ﴾ [الأنعام:١٤٣].

وتتبع الخليل دلالة هذه اللّفظة، فقال: "ورجلٌ ضَائِنٌ أي ليّنٌ كأنّه نَعْجةٌ... ورجل ضَائِنٌ: في خَلْقِه استرخاء. وهو مِضْئانُ الخَلْق، ونقيضه ماعِزُ الخَلْقِ"(١). قال ابن سيده: "ورَجُلٌ ضَائِنٌ: لَـيِّنٌ كأنّهُ نَعْجَةٌ"(٢). وقال الزمخشري: "ومن المجاز: رجُلٌ ضَائِنٌ: لَيِّنُ الجَانِب"(٣). وهذا يعني أنّ دلالة لفظة (الضَّأن) قد انتقلت عن طريق شبكة العلاقات المجازيّة من معناها المادّيّ المحسوس الدّال على الخِراف إلى معنيين مجرّدين، يدلّ الأوّل على لين الجانب، والآخر على استرخاء في الخَلْق. ممّا يعني أنّ ما رواه الخليل عن أصحاب اللّغة من العرب: (رجُلٌ ضَائِنٌ) يحمل نوعاً من اللاتجانس المعجميّ، إذ صاحبوا بين الموصوف (رجل) وصفته (ضَائِن)، وبذلك ابتعدوا من الناحية الدّلاليّة عن أداء الوظيفة المعجميّة للكلمتين.

وعليه فإنّنا نتوقع من القائل أن ينعت الرجل بصفة مناسبة مثل: طَوِيلٌ، كَرِيمٌ، شَدِيدٌ، قَوِيٌّ، مَتِينٌ، وغيرها من الألفاظ التي يمكن أن تتصاحب معجميّاً معه، لكنّه خالف التوقعات كلّها، فقال: (رجُلٌ ضَائِنٌ)، حيث اتّجه إلى المجاز اللّغويّ الذي علاقته التّشابه؛ لتسويغ هذا التصاحب، إذ إنّه لمّا كانت الضَّأن تدلّ على هذا النوع المعروف من الغنم (الخِراف) التي لا تناسبها البيئة الجبلية الوَعِرة، ولا الأودية والأغوار، وإنّما تناسبها البيئة السهلة المنبسطة، تماشياً مع بنية أجسامها، اللّيّنة، جاز لنا عن طريق التّشابه ــ من باب شبكة العلاقات الكنائيّة ــ أن نطلق على الرجل اللّين الجانب، والرجل الذي في خَلْقِه استرخاء قولنا: (رجُلٌ ضَائِنٌ)؛ لأنّ الرجل اللّين الجانب يتقرب من

---

(١) العين ٧/٦١(ضأن).

(٢) المحكم والمحيط الأعظم ٨/٢٢٤.

(٣) أساس البلاغة ٥٥٢.

الناسِ، والناسُ يتقرّبون منه، ويتودّد إليهم ويتودّدون إليه، كما تتقرب الخراف بعضها من بعض، وأنّ الرجل الذي في خَلْقِه استرخاء، لا يتحمّل ما يتحمّله الرجل الذي في خَلْقِه صلابة وقوة، فهو مشابه للخراف التي لا تتحمّل ما تتحمّله المِعَاز: من صعود الجبال الوعرة، ونزول الأودية والغِيران. وهو ما رواه الخليل في كلامه الآنف عندما قال: (وهو مِضْئَانُ الخَلْق، ونقيضه ماعِز الخَلْق).

ومن الألفاظ – أيضاً – ما رواه الخليل حول لفظة (الفَقَم)، فقال: "الفَقَمُ: رَدَّةٌ في الذَّقَن، والنَّعْتُ أَفْقَمُ وفقْماءُ... وأمرٌ أَفْقَمُ: أعوَجُ مخالِفٌ"[1]. قال الجوهري: "الفَقَمُ بالتحريك: أنْ تَتَقَدَّم الثّنايا السّفلى فلا تَقَع على العليا. والرجلُ أَفْقَمُ. والأَفْقَمُ مِنَ الأمور: الأعوج"[2]. فأصل الفَقَم الردّة في الذَّقَن وهذا هو المعنى الحقيقي للَفظة قبل أن يعتريها التغيّر الدّلاليّ، إلاّ أنّ التغيّر الدّلاليّ الذي طرأ على هذه اللّفظة لتدلّ على الاعوجاج والمخالفة، قد جعل أمر التصاحب بين كلمة (أمْر) وصفته (أفْقَم) غير متجانس معجمياً؛ لأنّ لفظة (أمر) لا تترافق معجمياً ـ على مستوى الصفات ـ إلاّ مع كلمة تناسبها، وتتعلّق بها، مثل: أمْرٌ سَهْلٌ، صَعْبٌ، بَسِيطٌ، مُقْنِعٌ، وغيرها من الألفاظ التي تترافق معجمياً معها، لكنّ القائل خالف كلّ التوقعات، فقال: (أمْرٌ أفْقَمُ) حيث ابتعد بقوله هذا عن المصاحبة المباشرة بين الصفة والموصوف؛ لأنّ الأمر من الأمور المعنويّة ولا يوصف إلاّ بصفة معنويّة. أمّا الصفة (أفْقَم) فهي صفة ماديّة، لا يوصف بها إلاّ ما هو ماديّ محسوس.

لذلك مثّل هذا النوع من التصاحب نوعاً من البعد المعجميّ الذي لا يقبله الخطاب التلقائي العاديّ. ولكن لمّا كان الفَقَم يدلّ على الرَّدَّة في الذَّقْن حيث تتقدم الثنايا السفلى فلا تقع عليها العليا، جاز لنا عن طريق التّشابه أن ننعت الأمر المنحرف عن غيره بقولنا: (أمْرٌ أفْقَمُ)؛ لأنّ الأمر

---

(١) العين ١٨٢/٥(فقم).

(٢) الصّحاح ٢٠٠٣/٥.

المنحرف يصيبه بعض القصور والاختلاف عمّا يتعارف عليه الناس، فيصبح مخالفاً لغيره، أي أنّ سبب انتقال دلالة هذه اللّفظة ــ من باب شبكة العلاقات الكنائيّة ــ إلى الدّلالة الجديدة كان التّشابه في الاعوجاج وعدم الاستقامة بين الذّقن البارز إلى الإمام والأمر المخالف للقوانين والأعراف الإنسانية.

وقال الخليل في لفظة (القَرْص) التي رواها عن أهل اللّغة: "قَرَصَه بلسانِه وإصبَعِه يَقْرُصُه قَرْصاً أي تَقَبَّضَ على الجِلْدِ بإصبَعَيْنِ غَمْزَةً تُوجِعُه"[1]. قال الزمخشري: "قَرَصَ جِلْدَه بظُفْرَيه، وقَرَصَه قَرْصةً مُؤْلِمةً وقَرَصاتٍ"[2]. وهذا بمجمله يعني أنّ الدّلالة الأصليّة أو الأولى للفظة (القَرْص) قبل أن يعتريها التغيّر الدّلاليّ هي: أن يقبض على الجلد بأطراف الأصابع غمزة توجعه، إلاّ أنّ الدّلالة الأصليّة لهذه اللّفظة قد نقلت إلى دلالة أخرى مجازيّة، فأصبحت تدلّ على حَذْي اللّسان، وقد أشار الخليل إلى هذا المعنى بقوله: "ولَبَنٌ وشَرابٌ قارِصٌ: يَحذي اللّسان"[1]. قال أبو عمرو الشّيباني (ت١٨٨هـ): "والقَارِصُ: الذي يَحْذِي اللِّسان مِنَ اللَّبَنِ"[3]. وهذا المعنى أكّده الزمخشري حين قال: "ومن المجاز... لَبَنٌ ونَبِيْذٌ قَارِصٌ: يَحذي اللّسان، وفيه قُرُوصَة"[2].

والناظر إلى ما رواه الخليل: (لَبَنٌ وَشَرَابٌ قَارِصٌ)؛ فإنّه يجد القائل قد ابتعد من الناحية الدّلاليّة عن أداء الوظيفة المعجميّة بين الموصوف (لَبَن) وصفته (قَارِص)، إذ نتوقع من القائل أن يصف اللّبن بصفة مناسبة، نحو: حَامِضٌ، جَامِدٌ، خَاثِرٌ، رِخْوٌ، وغيرها من الألفاظ التي يمكن أن تترافق معجمياً معه، لكنّ القائل خالف كلّ التوقعات، فقال: (لَبَنٌ قَارِصٌ). ممّا يعني أنّ هذا النوع من الترافق قد أضفى على التركيب نوعاً من عدم القبول؛ لأنّ القَرْصَ من مستلزمات الإنسان فقط، وتتصاحب معه، أمّا تصاحبها مع اللّبن في قولنا: (لبن قارص) فقد مثّلَ نوعاً من البعد المعجميّ

---

(١) العين ٥/٦١(قرص).

(٢) أساس البلاغة ٧٥٨.

(٣) الجيم ٣/١٣٦.

ـ على مستوى الصفات ـ الذي لا تقبله لغة الخطاب العاديّة، إذ كيف يَقْرُص اللبن؟ وهل أصبح للبن أصابع تقبض على الجلد وغيره؟ ولكن ما الذي سوّغ هذا التصاحب؟ أنّها علاقة التّشابه بينهما، فلمّا كان القرص يؤلم ويوجع، جاز لنا عن طريق التّشابه ـ من باب شبكة العلاقات الكنائيّة ـ أن نطلق على اللّبن والشراب عندما يَحْذِي اللّسان قولنا: (لَبَنٌ وشَرَابٌ قَارِصٌ). أي أنّ سبب انتقال دلالة لفظة (القَرْص) إلى الدّلالة الجديدة كان التّشابه في الألم والوجع بين الأصابع التي تتقبّض على الجلد فتؤلمه وتوجعه، من جهة، واللّبن والشّراب اللذين يؤلمان اللّسان ويوجعانه، من جهة أخرى. قال لبيد[1]:

رَضِيتِ بأدْنَى عَيْشِنا وحَمِدْتِنا
إذا صَدَرَتْ عَنْ قَارِصٍ ونَقيعِ

ب- انتقال الدلالة من المجال المجرّد إلى المجال المجرّد:

فمن هذا الباب الذي انتقلت فيه الدلالة من الدلالة المجرّدة إلى دلالة مجرّدة أخرى عن طريق التّشابه ـ من باب شبكة العلاقات الكنائيّة ـ وكان التصاحب اللغوي بين الصفة والموصوف في علاقة الوصف الأفقيّة غير متجانس، ما ذكره الخليل عن أهل اللّغة من معانٍ للفظة (البَوَار)، فقال: "البَوارُ: الهَلاكُ... يقال هو بُورٌ، وهي بُورٌ، وهما بُورٌ، وهنّ بُورٌ، هذا في لُغة، وأمّا في اللّغة الفُضْلَى فهو بائر، وهما بائران، وهم بُورٌ، أي: ضالّون هَلْكَى"[2]. قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴾ [الفرقان:١٨]. قال ابن فارس:" الباء والواو والراء أصلان: أحَدُهما هَلاَك الشَّيء وما يشبِهُه مِن تعطّلِهِ وخُلُوِّه، والآخر ابتلاءُ الشَّيء وامتحانُه. فإمّا الأول فقال الخليل:

---

(١) ديوانه ٥٥.

(٢) العين ٨/٢٨٥(بور).

البَوَار الهَلاَك، تقول: بَارُوا، وهم بُورٌ، أي ضَالُّون هَلْكَى. وأَبَارَهُم فُلانٌ. وقد يقال لِلواحِد والجميعِ والنِّساء والذُّكور بُورٌ"[١]. وهذا يعني أنّ دلالة لفظة (البَوار) في أصل الاستعمال اللّغويّ كانت تدلّ على الهَلاك، وهي دلالة عقليّة تجريديّة. ولم تقف دلالة هذه اللّفظة عند هـذا الحـدّ مـن الدّلالـة التجريديّة، بل تعدّتها عن طريق شبكة العلاقات المجازيّة إلى دلالة أخرى مجرّدة لتدلّ على الكَسَاد، قال الخليل: "وسُوقٌ بَائِرةٌ، أي: كَاسِدةٌ، وبَارَتْ البِيَاعاتُ، أي كَسَدَتْ"[٢]. وهذا ما أكّده الزمخـشري بقوله: "ومن المجاز: بارت البِيَاعَاتُ: كَسَدَتْ، وسوق بَائرَةٌ"[٣].

وعليه فإنّ أمر الترافق بين الصفة (بائرة) والموصوف (سوق) غيـر وارد مـن الناحيـة المعجميّة، لأنّ كلمة (سوق) يمكن أن تتصاحب معجميّاً ــ على مستوى الصفات ــ مع كلمة تتعلّق بها، وتوصف بها، مثل: واسِعَةٌ، مُغْلَقَةٌ، جَمِيلَةٌ... الخ. أمّا تصاحبها وصفاً مع البَوار فإنّـه يمثّـل خرقاً واضحاً للتصاحب المعجميّ؛ لأنّ البَوار من مصاحبات الإنسان فقط. ولكنّه لمّا كان الكَـسَاد للسُّوق يؤدّي إلى فساد ما فيها من بِضَاعة وحَاجِيات مختلفة، جاز لنا عن طريق التّشابه ــ من باب شبكة العلاقات الكنائيّة ــ أن نطلق على تلك السُّوق قولنا: (سُوقٌ بَائِرةٌ)، أي: سُوقٌ بَائِرةٌ بِضَاعَتها، أي أن سبب انتقال دلالة هذا النمط إلى الدّلالة الجديدة كان التّشابه في الهلاك بين كَـسَاد بِـضَاعَة السُّوق وفَسَادِها ــ من جهةــ وهَلاكِ الإنسانِ ــ من جهة أخرى.

ومن ذلك ــ أيضاً ــ ما رواه الخليل عن العرب حول لفظة (الرّخيص)، فقال: "والرُّخْصُ في الأشْيَاء: بيعٌ رخيصٌ. رخُص رُخْصاً. وارْتَخَصْتُه: اشْـتريتُه رَخِيْـصاً، وأَرْخَـصْتُه: جَعَلْتُــه رَخِيْصاً"[٤]. قال ابن سيده: "الرُّخْص: ضدّ الغلاء. رَخُصَ رُخْصاً، فهو رَخِيص. وأرْخَصَه: جَعَلَــه

---

(١) مقاييس اللّغة ٣١٦/١.

(٢) العين ٢٨٥/٨(بور).

(٣) أساس البلاغة ٦٨.

(٤) العين ١٨٥/٤(رخص).

رَخِيصاً. وارتَخَصَه: اشْتَرَاه رَخِيصاً. واستَرْخَصَه: رآه رَخِيصاً"(١). وهذا هو المعنى الحقيقي للّفظة في أصل الاستعمال اللّغويّ لها، وهي دلالة عقليّة مجرّدة، ثم انتقل معناها عن طريق شبكة العلاقات المجازيّة إلى دلالة جديدة مجرّدة لتدلّ على القساوة والذّعورة. قال الخليل: "والموت الرّخيص: الذَّريعُ"(٢). وهو ما أكّده الزمخشري بقوله: "ومن المجاز: نزل به الموت الرّخيص وهو الوَحِيّ(*) الذريع"(٣).

وعليه فإنّ أمر الترافق بين الموصوف (الموت) والصفة (الرَّخِيْص) لا يمكن قبوله على مستوى الخطاب اللّغويّ العاديّ؛ لأنّ كلمة (الموت) ممّا يتصاحب وكلمة تناسبه معجميّاً ــ على مستوى الصفات ــ ويوصف بها، كأن نقول: المَوْتُ المفاجئ، المُتَفَشّي، السّهْل... الخ. لكنّ القائل أراد أن يضفي مزيداً من القوة على المعنى الذي أراده، فقال: (الموت الرخيص)، وكما هو معروف لدينا فإنّ كلمة (رخيص) تترتب مع السِّعْرِ والسِّلَعِ بأنواعها بالدرجة الأولى، إلاّ أنّ القائل هنا لم يذكر هذه المترافقات اللّفظيّة المعجميّة، وإنّما جاء بمصاحب بعيد كلّ البعد عنه، لا يمكن أن يكون الرُّخْصُ من صفاته أو متعلّقاته، فقال: الموت، إذ يريد أن يصوّر الموت على أنّه سلعة رخيصة. فالسلعة إذا أُفْرِطَ بها قلّت قيمتها في السوق ونزل سعرها إلى أدنى الدرجات، ممّا يؤدي إلى كثرتها في السوق وتكدّسها دون أن يُلقي لها الناس بالاً، وكذلك الموت عندما يكثر ويتفشى بين الناس جرّاء الأمراض، والحروب، والكوارث الطبيعية، وغيرها، فلا يكاد الناس يتدافَنُون، عند ذلك لا يصبح للموت قيمة كما كانت له من ذي قبل. أي أنّ سبب انتقال هذه الدّلالة ــ من باب شبكة

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم ٥/٥٦.

(٢) العين ٤/١٨٥(رخص).

(*) الوَحِيُّ: السّرِيعُ. يقال: مَوْتٌ وَحِيٌّ. لسان العرب ١٥/٣٨٢.

(٣) أساس البلاغة ٣٣١.

العلاقات الكنائيّة ـ إلى الدّلالة الجديدة كان التّشابه في الكثرةِ ودُنُوِّ النظرة بين السلعة التي هبط سعرها والموت المتفشي.

وقال الخليل في لفظة (السَّفْر) التي رواها عن أهل اللّغة من العرب في كتاب العين: "وسَفَرْتُ البيتَ بالمِسْفَرةِ أي كَنَسْتُه بالمِكْنَسَةِ سَفْراً، والسَّفيرُ: الكُناسةُ"[1]. وقال ابن فارس: "السين والفاء والراء أصلٌ واحدٌ يدلّ على الانْكِشَاف والجَلاء... ومن الباب، وهو الأصل: سَفَرْتُ البيتَ كَنَسْتُه... ولذلك يسمَّى ما يسقُط من ورق الشّجر السَّفير"[2]. قال ذو الرّمّة[3]:

وحَائِلٍ مِنْ سَفِيرِ الحَـوْلِ جَائِلُهُ

حَوْلَ الجَرَاثيمِ في ألوَانِه شَهَبُ

وهذا يعني أنّ أصل الاستعمال اللّغويّ للفظة (السَّفْر) يدلّ على الانْكِشَاف والجَلاء، وهو المعنى الحقيقي للّفظة. قال الراغب في مقدّمة التفسير: "وجعل السَّفْر لإبراز الأعيان للأبصار فقيل: سَفِرت المَرْأة عن وجهها، وأسْفَر الصُّبْح، وسَفرْتُ البَيْتَ إذا كَنَسْتُه"[4].

وتتبع الخليل تطوّر دلالة هذه اللّفظة عند أصحاب اللّغة من العرب، فقال: "ووَجْهٌ مُسْفِرٌ: منيرٌ مُشْرِقٌ سُرُوراً وحُسْناً"[1]. وهذا ما أكّده الزمخشري بقوله: "ومن المجاز: وَجْهٌ مُسْفِر: مُشْرِق سُرُوراً"[5]، قال الله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴾ [عبس:38]، ممّا يعني أنّ دلالة لفظة (السَّفْر) قد انتقلت من معناها العقليّ المجرّد الذي يدلّ على الانْكِشَاف والجَلاء إلى دلالة أخرى تجريديّة مستحدثة لتدلّ على الإشْرَاقِ والإنَارَةِ.

---

(1) العين 7/246(سفر).

(2) مقاييس اللّغة 3/82.

(3) ديوانه 27.

(4) مقدّمة التفسير 91.

(5) أساس البلاغة 442.

ولو نظرنا إلى ما رواه الخليل عن أصحاب اللّغة: (وجهٌ مُسْفِرٌ)، فإنّنا نجد القائل قد ابتعد من الناحية الدّلاليّة عن أداء الوظيفة المعجميّة بين الصفة والموصوف، إذ نتوقع أن يوصف الوجه بقولنا: وَجْهٌ أَبْيَضُ، أَسْمَرُ، وَضَّاءٌ، مُنِيرٌ، عَابِسٌ، إلى غير ذلك من الألفاظ التي تتصاحب معه معجمياً. ولكنّ القائل خالف كلّ التوقعات، فقال: (وَجْهٌ مُسْفِرٌ)، وبهذا اتجه أصحاب اللّغة إلى المجاز اللّغويّ الذي علاقته التّشابه؛ لتسويغ هذا التصاحب، إذ إنّه لمّا كان السَّفْر يدلّ على انْكِشَافِ البيت من السَّفير وجلائه منه، جاز لنا عن طريق التّشابه ــ من باب شبكة العلاقات الكنائيّة ــ أن نطلق على الوَجْهِ المُشْرِقِ المُنيرِ قولنا:(وجهٌ مُسْفِرٌ)؛ لأنّ الوَجْهِ المُشْرِقِ تزول عنه علامات العُبُوس، والقُطُوب، والاحْمِرَار، والاكْفِهْرَار، وغيرها ــ التي تكون ترجمة لما في القلب من غَيْظٍ، وحِقْدٍ، وغِلٍّ، وغَضَبٍ... الخ ــ كما يزول السَّفير عن البيت، عندها يصبح البيت نضراً متلألئاً، يروق في عين ناظره. أي أنّ سبب انتقال دلالة لفظة (السَّفر) إلى الدّلالة الجديدة كان التّشابه في الانكشاف والجلاء بين البيت الذي كُشِفَتْ عنه الكُنَاسةُ والوَجْه الذي كُشِفَ عنه العُبُوس فتلألأ نضارة ورونقاً وجمالاً.

وأخيراً ومن خلال نماذج التراكيب اللّغويّة المذكورة مسبقاً، فإنّنا نجد أنّ الوصف باب من أبواب التوسع الدّلالي في اللّغة العربيّة، إذ يفتح فضاءات واسعة في الأصناف الأدبيّة واللّغويّة المختلفة، وذلك عندما تكون علاقة التصاحب بين الصفة والموصوف بعيدة عن لغة الخطاب العاديّة. وهذا ما وجدناه فعلاً عند الخليل في معجم العين، حيث خرجت الكثير من التراكيب اللّغويّة على القواعد والقوانين اللّغويّة. ممّا أدّى إلى انزياح العلاقة القائمة بين الصفة والموصوف، حتى أصبحت تحتاج إلى تأويل، وربّما يُغْلَق باب التأويل أمام المجتهدين.

وما عرضناه مِنْ أمثلة في هذا الباب غيضٌ مِنْ فيضٍ[١].

---

(١) ينظر: الملحق (٤) في آخر الرسالة.

الفصل الثالث

علاقة الإضافة الأفقيّة

توطئة:

الإضافة صلة معنويّة جزئيّة تكون بين المضاف والمضاف إليه[١]. أمّا عند الباحثين والدارسين للّغة فإنّها تعني: ضمّ اسم إلى اسم آخر مع تنزيل الاسم الثاني من الأوّل منزلة تنوينه أو ما يقوم مقام تنوينه، ولا تتم الدلالة المقصودة إلا بالاسمين معاً، ويسمى الأوّل مضافاً والآخر مضافاً إليه. والغاية من الإضافة أن يكتسب السابق تعريفاً أو تخصيصاً من اللاحق أو أن يخفف[٢]. وعليه فإنّ المتضايفين يتمتعان بعلاقة قويّة استمداها من تلك القوانين التي فرضتها اللّغة، وتتمثل هذه العلاقة بوجود ملاءمة بين المضاف والمضاف إليه. إذ إنّ المضاف إليه يصبح كأنّه جزءٌ من المضاف على اعتبار أنّه مكمل لدلالته، وعلى اعتبار أنّه بديل عن التنوين شكلياً[٣]. لذلك لابدّ من أن يوجد بين المتضايفين علاقة (وشائجيّة) ــ إن جاز لنا التعبير ــ قويّة جداً، بحيث يصبحان كالكلمة الواحدة، هذا إذا كانا متصاحبين. أمّا إذا حدث خرق لهذه العلاقة من قبل أبناء اللّغة ــ على مستوى اللّغة الفنيّة ــ فإنّه يؤدي إلى حدوث فجوة أو لاتجانس بينهما ــ المضاف والمضاف إليه ــ قد تصل إلى حدّ عدم القبول أو الفهم، حتى تصبح بحاجة إلى تأويل، ونطلق على هذه العمليّة اللّغويّة عمليّة الانزياح.

وقد جاء هذا الانزياح كثيراً في ما أورده الخليل من الألفاظ التي رواها رواية حيّة عن أهل اللّغة من العرب الذين وردت أسماؤهم في مادة كتاب العين، حيث مثّلت تلك الألفاظ هذا النمط التركيبي (تركيب الإضافة) من العلاقات التسلسليّة الأفقيّة، كان التصاحب بين المضاف والمضاف

---

(١) الألسنيّة العربيّة ٧٥.

(٢) ينظر: الأصول في النحو ٢/٣؛ معجم النحو ٣٢.

(٣) ينظر: انزياح المصاحبات المعجميّة (بحث) ١٦٩.

إليه مبنيّاً على العلاقة التنافريّة أو اللاتجانس، وهذا – بدوره – يؤدّي إلى توسيع فضاءات دلالات تلك الألفاظ كي يتمكن أهل اللّغة من التعبير عن حاجاتهم والإبانة عن مآربهم.

علاقات التّشابه في علاقة الإضافة الأفقيّة:

من خلال قراءتي المادة اللّغويّة في معجم العين، وجدتُ علاقتين من علاقات التّشابه في علاقة الإضافة الأفقيّة، يتمّ عن طريقهما انتقال دلالة الألفاظ من دلالتها في أصل الاستعمال اللّغوي لها إلى دلالات مجازيّة أخرى، وهاتان العلاقتان هما:

١ـ علاقة الاستعارة التصريحيّة:

لقد مثّلت هذا النمط اللّغويّ (علاقة الإضافة) جملة من الألفاظ التي تمّ انتقال مجال الدلالة فيها عن طريق التّشابه ــ من باب شبكة العلاقات الكنائيّة ــ بصورتين، هما:

أ- انتقال الدلالة من المجال المحسوس إلى المجال المحسوس:

فمن هذا الباب الذي انتقلت فيه دلالة الألفاظ من الدلالة المحسوسة إلى دلالة محسوسة أخرى عن طريق التّشابه ــ من باب علاقة الاستعارة التصريحيّة ــ وكان التصاحب اللّغويّ بين المضاف والمضاف إليه في علاقة الإضافة الأفقيّة يمثّل شكلاً من أشكال اللاتجانس الدّلاليّ، ما رواه الخليل عن أصحاب اللّغة من العرب حول لفظة (الذُّبَاب)، فقال: "والمِذَبَّةُ التي تَذُبُّ بها الذُّباب، والذُّبَاب اسمٌ واحدٌ للذكر والأنثى، والغالب في الكلام التذكير... ويجمع الذُّبابُ على أذِبَّةٍ، فإنْ كَثُرَ فهو الذِّبّان"[1]. قال الراغب في السياق ذاته: "الذُّبَابُ يَقَعُ على المعروف من الحَشَرَاتِ

---

(٠) الظُبَةُ: طَرَفُ السيف. لسان العرب ٥٦٨/١.

(١) العين ١٧٨/٨(ذب).

الطائِرَةِ، وعلى النَّحل، والزَّنَابير ونحوِهما"[1]. قال الله تعـالى: ﴿ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا ﴾ [الحج:٧٣]. وقال المتلمس الضبعي[2]:

وذَاكَ أوَانُ العِرْضِ جُنَّ ذُبَابُهُ

زَنَابِيرُهُ وَالأَزْرَقُ المُتَلَمِّسُ

وهذا يعني أنّ الدّلالة الأصليّة أو المركزيّة للفظة (الذُّبَاب) قبل أن يعتريها التغيّـر الـدّلاليّ كانت تعني ذلك النوع من الحشرات المعروف، وهي دلالة ماديّة محسوسة، ثمّ انتقلت دلالـة هـذه اللّفظة عن طريق شبكة العلاقات المجازيّة إلى دلالة ماديّة مستحدثة وضّحها الخليل بقوله: " وذُبَابُ السّيْفِ: رأْسُهُ الذي فيه ظُبَتُه(*)"[3]. وهذا ما أكّده الزمخشري بقوله: "ومن المجاز... ضَرَبَهُ بِذُبَابِ سَيْفِه وهو حَدُّ طَرَفِه. يُقال: ثَمَرَةُ السَّوْطِ يَتْبَعُها ذُبَابُ السَّيْفِ"[4].

وإذا أنعمنا النظر في هذه الدّلالة المتطوّرة في عبارة: (ذُبَاب السّيْف)، نجد أنّ التـصاحب الدّلاليّ فيها بين المتضايفين يمثّل خرقاً واضحاً للتصاحب المعجميّ. فكلمة (ذباب) على المـستوى اللّغويّ العاديّ لا يمكن أن تتصاحب معجمياً ــ على مستوى تركيب الإضافة ــ مع (السيف)؛ لأنّ السيف ممّا يتعلّق بالإنسان أو المَعْدِن، وإنّما تتصاحب مع كلمة تناسبها، وتتعلّق بها، كـأن نقـول: ذُبَاب الكُهُوفِ، الصَّحْرَاءِ، الأَمْوَاتِ، الحَيَوَانات... الخ. وهذا يقودنا إلى القول بأنّ أصحاب اللّغة لم يريدوا بقولهم: (ذُبَاب السَّيْف) المعنى الحقيقي للَفظة، وإنّما أرادوا المعنى المجازي ؛ لوجود علاقة التّشابه بين الدلالتين الحقيقيّة والمجازيّة، أي أنّ القائل أراد أن يقول: إنّه لمّا كان الذُّباب يدلّ علـى

---

(١) المفردات ٣٢٥.

(٢) ديوانه ١٢٣.

(*) الظُّبَةُ: طَرَفُ السيف. لسان العرب ٥٦٨/١.

(٣) العين ١٧٨/٨(ذب).

(٤) أساس البلاغة ٢٩٣.

المعروف من الحشرات الطائرة التي تؤذي كلّ ما تقع عليه ـ سواء أكان ذلك بحمل الجراثيم إليه، أو سقوطها عليه وعضّه ونفاذ خرطومها فيه، خصوصاً عند سقوطها على مؤق عين الإنسان والحيوان، فإنّها توجعه وتحرقه ـ جاز لنا عن طريق التّشابه ـ من باب الاستعارة التصريحيّة ـ أن نطلق على حدّ السيف قولنا: (ذُباب السيف) ؛ لأنّ حدّ السيف يؤلم ويؤذي من يُضْرَبُ به. قال الراغب: "وذُبَابُ السَّيْفِ تَشْبِيها به في إيذائه"[1] ؛ أي في إيذاء الذباب. أو لنقل: إنّه لمّا كانت الحشرات تتلألأ في طيرانها وتلصف وتلمع، جاز لنا عن طريق شبكة العلاقات المجازيّة ـ من باب الاستعارة التصريحيّة ـ أن نطلق على حدّ السيف قولنا: (ذُباب السيف)؛ لأنّ حدّ السيف وطرفه كالذُّبَابِ يلمع ويلصف ويتلألأ تحت أشعة الشمس إذا حُرّك في الهواء . أي أنّ سبب انتقال دلالة لفظة (الذّباب) إلى الدّلالة الجديدة كان التّشابه في الإيذاء والتلألؤ بين الذباب وحدّ السيف. قال أبو عبيد القاسم الهروي (ت٢٢٤هـ): "الذُّباب: طَرَفُ السَّيْفِ"[2].

وممّا رواه الخليل من أمثلة هذا المظهر عن العرب ما قيل في معنى لفظة (الرُّكْن)، فقال: "رَكِنَ إلى الدُّنيا: مال إليها واطمأنّ.. يَرْكَنُ رَكَناً.. ورَكَنَ يَرْكُنُ رُكُوناً، لُغَةُ سُفْلَى مُضَرَ. وناسٌ أخذوا من اللّغتين فقالوا: رَكَنَ يَرْكَنُ. والرُّكْنُ: ناحيةٌ قويّةٌ من جَبَلٍ أو دارٍ، والجَمْعُ: أَرْكانٌ"[3]. وقال ابن فارس حول هذا الموضوع: "الراء والكاف والنون أصلٌ واحدٌ يدلّ على قُوَّة. فرُكْن الشَّيءِ: جَانِبُه الأَقْوى"[4]. وهذا يعني أنّ الدّلالة الأصليّة أو الأولى للفظة (الرُّكْن) هي: النّاحيّة القويّة التي يَستند إليها الشيء ويقوم بها، وهي دلالة ماديّة محسوسة.

---

(١) المفردات ٣٢٥.

(٢) الأجناس من كلام العرب ٩.

(٣) العين ٣٥٤/٥(ركن).

(٤) مقاييس اللّغة ٤٣٠/٢.

وقد أصاب هذه اللّفظة التطوّر الدّلاليّ فانتقلت دلالتها إلى معنى مجازي ماديّ لتدلّ على ما يُتَقوّى به من مُلْك وجُنْد وقَوْم. قال الخليل: "ورُكْنُ الرَّجُلِ: قَوْمُه وعَدَدُه الّذين يَعْتَزّ بهم"(١). وهذا ما أكّده الزمخشري بقوله: "ومن المجاز: فلانٌ يَأْوِي مِنْ عزٍّ قَوْمِه إلى رُكْنٍ شديد"(٢). قال الله تعالى:

﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ [هود:٨٠].

ممّا يعني أنّ ما رواه الخليل من تطوّر دلالي للفظة (الرُّكْن) قد مثّل خرقاً واضحاً للتصاحب اللّغويّ على مستوى تركيب الإضافة، إذا إنّ كلمة (الرُّكْن) ممّا يترافق معجميّاً — على مستوى الإضافة — مع كلمة تتعلّق به، وتناسبه. كأن نقول: رُكْنُ الجَبَلِ، البَيْتِ،الكَهْفِ، وغيرها من الألفاظ التي تتصاحب معه، ولكنّه على مستوى لغة الخطاب العاديّ لا يمكن أن يترافق مع المضاف إليه (الرجل) إلا إذا كان انزياحاً عن المألوف، وأنّ الذي سوّغه هو أنّه لمّا كان الرُّكْن يدلّ على الناحيّة القويّة التي تُقَوّي ما يُسند إليها وتدعمه كي لا يسقط، جاز لنا عن طريق التّشابه — من باب الاستعارة التصريحيّة — أن نطلق على قَوْمِ الرجُلِ وجُنْدِه ومُلْكه قولنا: (رُكْن الرجل) ؛ لأنّ قوم الرجل وجنده ومُلْكه من الأمور التي يستمدّ منها الرجل قوّته ويلجأ إليها عند الشدائد. قال الراغب: "رُكْنُ الشيءِ: جانِبُهُ الذي يَسْكُنُ إليه، ويُستعارُ للقُوّةِ"(٣). أي أنّ سبب انتقال دلالة هذا النمط إلى الدّلالة الجديدة كان التّشابه في القوة بين الرُّكْن الذي يُقَوّي ما يُسند إليه وقوم الرجل، وجنده، ومُلْكه،مصدر قُوّته وشجاعته.

---

(١) العين ٣٥٤/٥(ركن).

(٢) أساس البلاغة ٣٦٩.

(٣) المفردات ٣٦٥.

وفي لفظة (الكَبِد) التي رويت عن أصحاب اللّغة في كتاب العين، يقول الخليل: "الأَكْبَادُ جَمْع كَبِد، وهي اللّحْمَة السّوداء في البَطِن. والكَبِدُ، يذكّر ويؤنث"(١). وقال الراغب في السياق ذاته: "الكَبِدُ مَعْرُوفةٌ، والكَبَدُ والكُبَادُ تَوَجُّعُهَا، والكَبْدُ إصَابَتُهَا، ويقالُ: كَبَدْت الرجُلَ: إذا أَصَبْتَ كَبِدَهُ"(٢). وقال ابن سيده: "الكَبِد والكِبْد: اللّحمة السّوداء في البطن، وهي مِنَ السَّحْر في الجانب الأيمن،، أُنْثَى، وقد تُذَكّر. وقال اللّحياني: هي مؤنَّثة فقط. والجمع: أكبادٌ، وكُبُودٌ"(٣). وهذا يدلّ على أنّ أصل لفظة (الكَبِد) استعمل في حقيقته للمعنى الماديّ المحسوس الذي يدلّ على اللّحْمَة السوداء في البطن.

وتتبع الخليل دلالة هذه اللّفظة، فقال: "وكَبِدُ الأَرْض، وجَمْعُه: أَكْبَاد: ما فيها مِنْ مَعَادِن المَال"(١). قال الزمخشري: "ومن المجاز... هو يَبْحَثُ عن كَبِدِ الأَرْضِ وأَكْبَادِها وهي مَعَادِنُها، وَرَمَتْ إليه الأَرْضُ بأَفْلاذِ كَبِدها: بِكُنُوزِها وَذَخَائِرِها"(٤). وهذا يعني أنّ دلالة لفظة (الكَبِد) قد انتقلت عن طريق شبكة العلاقات المجازيّة من معناها الماديّ المحسوس الدّال على اللّحمة السوداء في البطن إلى معنى آخر محسوس يدلّ على كنوز الأرض ومعادنها وذخائرها. ممّا يعني أنّ ما رواه الخليل عن أصحاب اللّغة من العرب: (كَبِد الأَرْضِ)، يحمل نوعا من اللاتجانس المعجميّ، إذ صاحبوا بين المضاف (كَبِد) والمضاف إليه (الأَرْض)، وابتعدوا من الناحية الدّلاليّة عن أداء الوظيفة المعجميّة للكلمتين.

وعليه فإنّنا نتوقع من القائل أن يضيف المضاف (كبد) إلى مضاف إليه مناسب له، ويتعلّق به، نحو: كَبِدُ الإنْسَانِ، الحَيَوَانِ، الطّائِرِ، وغيرها من الألفاظ التي يمكن أن تتصاحب معجمياً معه، لكنّه خالف كلّ التوقعات فقال: (كَبِدُ الأَرْضِ)، إذ لا يعقل أن تكون للأرض كبد؛ لأنّ الكبد ممّا

---

(١) العين ٥/٣٣٢(كبد).

(٢) المفردات ٦٩٥.

(٣) المحكم والمحيط الأعظم ٦/٧٥٩.

(٤) أساس البلاغة ٨٠٦.

يتعلّق بالإنسان والحيوان فقط. ولكنّ القائل اتّجه إلى المجاز اللّغويّ الذي علاقته التّشابه؛ لتسويغ هذا التصاحب. إذ إنّه لمّا كانت الكَبِدُ تدلّ على اللّحمة السوداء في البطن، التي تتصف بأهمّيّتها الوظيفيّة العالية لجسم الإنسان والحيوان، وقيمتها الغذائيّة، جاز لنا عن طريق التّشابه أن نطلق على كنوز الأرض ومعادنها وذخائرها قولنا: (كَبِدُ الأرْضِ)؛ لأنّ لهذه الكنوز قيمة شرائية عالية عند الإنسان، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإنّ كنوز الأرض تتأكسد في باطن الأرض ويصبح لونها أسود، وهذا ما يشبه لون كبد الإنسان والحيوان المائل إلى السواد.

أو لنقل: إنّه لمّا كانت كَبِدُ الإنسان في وسط البَدَنِ وداخل الجسد شبّهت بها كنوز الأرض الموجودة في داخلها. قال ابن سيده: "وكَبِدُ الأرْض: ما في معادنها مِنَ الذّهب والفضّة ونحو ذلك، أراه: على التشبيه"(١).

ومن الألفاظ ــ أيضاً ــ ما رواه الخليل عن أصحاب اللّغة من العرب حول لفظة (اللُّعَاب)، فقال: "ولُعَابُ الصَّبيِّ: ما سال من فيه، لَعَبَ يَلْعَبُ لَعْباً"(٢). قال ابن السكّيت: "وقد لَعَبَ الغُلاَمُ يَلْعَبُ، إذا سال لُعابُه"(٣). وقال الراغب مبيناً أصل هذه اللّفظة: "أصل الكَلِمَةِ اللُّعَابُ، وهو البُزَاقُ السَّائِلُ، وقد لَعَبَ يَلْعَبُ لَعْباً"(٤). وقال الثّعالبي: "لا يُقَالُ لِمَاءِ الفَمِ رُضَابٌ إلاّ ما دَامَ في الفَمِ، فإذا فارَقَهُ فَهُوَ بُزَاقٌ"(٥)، فأصل اللُّعاب، البزاق الذي يسيل من فم الصبي. قال لبيد يصف آباءه وأجداده(٦):

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم ٦/٧٦٠.

(٢) العين ٢/١٤٩(لعب).

(٣) إصلاح المنطق ١٨٨.

(٤) المفردات ٧٤١.

(٥) فقه اللّغة وأسرار العربيّة ٢٢.

(٦) ديوانه ١٢٧.

لَعَبْتُ عَلَى أَكْتَافِهِم وَحُجُورِهِمْ

ولِيداً وسَمَّــوْنِي مُفيداً وَعَاصِماً

ومع مرور الزمن لحق هذه اللّفظة التطوّر الدّلاليّ فأصبحت تدلّ على شعاع الشمس وعلى السّراب. قال الخليل:" ولُعابُ الشَّمْسِ: السَّرَاب... ولُعَابُ الشّمْسِ أيضاً: شُعَاعُها"[١]. وقــال ابــن فارس في السياق ذاته: "ولُعَاب الشّمْسِ: السَّرَابُ، ويقال: هو الذي يَمْتَدُّ كأَنَّهُ نَسْجُ العَنْكَبوتِ"[٢]. قال الأزهري: "لُعَاب الشَّمس: هو الذي يقال له: مُخَاط الشيطان. وهو السَّهام ــ بفتح السين ــ ويقــال له: ريق الشّمس، وهو شِبْه الخيط تراه في الهواء إذا اشتدّ الحرّ وركَد الهواء. ومَنْ قال: إنّ لُعــاب الشّمس السَّراب فقد أبطل، إنّما السَّراب: يُرَى كأنّه مَاءٌ جَارٍ نصف النّهار. وإنّما يَعْرِف هذه الأشياء مَنْ لَزِمَ الصّحارى والفلوات، وسار في الهواجر فيها"[٣]. وهذا ما أكّده ــ كذلك ــ الزمخــشري، فقال: "ومن المجاز... سال لُعَابُ الشَّمْس وهو الذي تراه يَتَحَدَّر من السَّماءِ كَنَسْجِ العَنْكَبــوتِ فــي القيظ"[٤]. قال ذو الرّمّة[٥]:

في صَحْنِ بَهماءَ يَهْتَفُ السَّمَامُ بها

في قَرْقَرٍ بلُعَابِ الشَّمْسِ مَضْرُوجِ

نخلص من ذلك إلى أنّ التطوّر الدّلاليّ الذي طرأ على هذه اللّفظة قد جعل أمر التــصاحب بين المتضايفين في قول الخليل: (لُعَاب الشَّمْس) غير متجانس معجميّاً؛ لأنّ كلمة (لعاب) يمكــن أن

---

(١) العين ١٤٩/٢(لعب).

(٢) مجمل اللّغة ٦٤٥.

(٣) تهذيب اللّغة٤١١/٢.

(٤) أساس البلاغة ٨٥٨.

(٥) ديوانه ١٠٣.

تترافق معجمياً ــ على مستوى تركيب الإضافة ــ مع كلمة تناسبه، وتتعلّق به، كأن نقول مثلاً: لُعَابُ الصَّبيّ، الغُلاَمِ، الطِّفْلِ، وغيرها من الألفاظ التي تترافق معه. لكنّ القائل خالف كلّ التوقعات، فقال: (لُعَابُ الشَّمْسِ) حيث ابتعد دلالياً بقوله هذا عن المصاحبة المباشرة بين المضاف والمضاف إليه؛ لأنّه لا يعقل أن يكون للشمس لعاب يسيل منها، وهي كتلة نارية متوهّجة، ناهيك عن أنّ اللُّعاب ممّا يتعلّق بالإنسان فقط. لذلك مثّل هذا النوع من الترافق نوعاً من البعد المعجميّ الذي لا يقبله الخطاب اللّغويّ العاديّ. ولكن لمّا كان اللّعاب يدلّ على الماء الذي يَسِيل من فم الصبي لَزِجَاً مُتَقَطّراً صَافِياً نَقِيّاً لامِعَاً، كأنّه خيط من خيوط العنكبوت، جاز لنا عن طريق التّشابه ــ من باب الاستعارة التصريحيّة ــ أن نطلق على شُعَاعِ الشَّمْسِ وعلى السَّرَابِ قولنا: (لعاب الشمس)؛ لأنّ السّراب يُصْدِر تَمَوّجَاتٍ تشبه في هيئتها لعاب الصبي، وكذلك شعاع الشمس المُتَحَدِّر من السماء، ومن سفوح الجبال، وما يخرج من النِّقاب فإنّه يشبه في هيئته وصفاته لعاب الصبي. قال قُطْرب (ت٢٠٦هـ): "وَمَا كَانَ مِنْ حَرِّ الشَّمس: السَّرَابُ. وهو الذي يَتَلألأ كَأنّه سَمَاء. ويَكُون نِصْفُ النَّهار لازِقاً بالأَرضِ. وهو الآل. وَأَمَّا اللّعابُ: فالذي يَتَسَاقَط مِنَ السَّماءِ كَأنَّه زَبَدٌ"(١). قال النّابغة(٢):

يُثِرن الحَصَا حتى يُبَاشِرْنَ بَرْدَه

إذَا الشَّمس مَجَّتْ رِيقَها بالكَلاكلِ

ب- انتقال الدلالة من المجال المحسوس إلى المجال المجرّد:

يمثّل هذا المظهر من انتقال مجال الدلالة العديد من الألفاظ التي انتقلت دلالاتها من الدلالة الحسيّة إلى دلالة أخرى مجرّدة عن طريق التّشابه ــ من باب علاقة الاستعارة التصريحيّة ــ وكان التصاحب اللّغويّ بين المضاف والمضاف إليه في علاقة الإضافة الأفقيّة غير متجانس. . فمن أمثلة

---

(١) الأزمنة وتلبية الجاهليّة ١٤٥.

(٢) ديوانه ١٤٢.

هذا المظهر ما رواه الخليل عن أصحاب اللّغة من العرب حول لفظة (الزَّهْرَة) التي رويت عن أهل اللّغة من العرب يقول الخليل: "الزَّهْرَة: نَوْرُ كلّ نبات. وزَهرةُ الدُّنيا: حُسْنُها وبَهْجَتُها"(١). وإلى مثل هذا ذهب ابن فارس فقال: "الزاء والهاء والراء أصلٌ واحدٌ يدلّ على حُسنٍ وضِيَاء وصَفَاء. من ذلك الزُّهْرة: النجم، ومنه الزَّهْر، وهو نَوْر كلِّ نبات ؛ يقال أزهر النبات. وكان بعضهم يقول: النَّور الأبيضُ، والزّهر الأصفر، وزَهرة الدُّنيا: حُسْنُها"(٢). فأصل الزَّهرة: نَوْر النباتات، وهذا هو المعنى الحقيقي للّفظة في أصل الاستعمال اللّغويّ لها، إلاّ أنّنا نرى انتقالاً لدلالة اللّفظة من معناها الحقيقي في أصل وضعها اللّغويّ، وهو: (نَوْر النباتات) إلى معنى مجازي مجرّد، هو حُسْنُ الدُّنيا وبَهْجَتُها.

وعليه فإنّ عبارة: (زَهْرة الدُّنيا) التي رواها الخليل عن أصحاب اللّغة من العرب تحمل نوعاً من عدم القبول أو الفهم ؛ لأنّنا نتوقع أنّ المضاف (زَهْرة) يمكن أن يضاف إلى مضاف إليه مناسب له، ويتعلّق به، مثل: زَهْرة اللّوزِ، التُّفّاحِ، اليَاسَمين، الفُلِّ، وغيرها من الألفاظ التي تتصاحب معها على مستوى تركيب الإضافة. ولكنّ القائل هنا ابتعد كثيراً عن المصاحبة المباشرة معجمياً بين المتضايفين؛ لأنّه قال: (زَهْرة الدّنيا)، إذ إنّه لم يُرِد المعنى المادّيّ المحسوس الدّال على نَوْر النباتات، وإنّما أراد المعنى العقليّ المجرّد الدّال على الحُسْن والبَهْجة.

وهكذا نرى أمر الترافق بين المضاف (زَهْرَة) والمضاف إليه (الدّنيا) قد مثّل خرقاً واضحاً للتصاحب اللّغويّ الذي لا يمكن قبوله على مستوى التركيب اللّغويّ العاديّ، ولكنّ هذا التصاحب مقبول إذا كان الأمر انزياحاً ؛ لأنّ أصحاب اللّغة لم يريدوا ذلك على سبيل الحقيقة، وإنّما اتجهوا إلى المجاز اللّغويّ، فاستعاروا اللّفظة لتدلّ على المعنى المجازي بسبب الشبه بين المعنيين ؛ أي

---

(١) العين ١٣/٤(زهر).

(٢) مقاييس اللّغة ٣١/٣.

كأنّهم أرادوا القول: إنّه لمّا كانت الزَّهْرة تدلّ على نَوْر النباتات التي تضفي على النباتات رونقاً وحسناً وبهجةً وبهاءً، جاز لنا عن طريق التّشابه أن نطلق على حُسْن الدّنيا وبهجتها قولنا: (زَهْرة الدّنيا)؛ لأن حُسْنَ الدّنيا وبَهْجَتَها يُجَمّلان الدنيا ويُرَغِّبان النفوس بها كما تُجَمِّل الزَّهْرةُ النبتة، وترتاح لها النفوس.

ومما أورده الخليل من أمثلة هذا الصنف كذلك لفظة (الطّائر)، فقال: "الطَّيْر: اسمٌ جامعٌ مؤنث. الواحد: طَائِر، وقلما يُقال للأنثى: طَائِرة... ويُجْمع الطَّيْرُ على أطْيَار جَمْعُ الجَمْعِ"(1). ويوضّح الراغب دلالة هذه اللّفظة بقوله: "الطَّائِرُ: كلُّ ذي جَنَاحٍ يَسْبَحُ في الهوَاء، يقالُ: طَارَ يَطِيرُ طَيَرَاناً، وَجَمْعُ الطَّائِر: طَيرٌ"(2). وهذا يعني أنّ دلالة لفظة (الطائر) في أصل وضعها اللّغويّ كانت تدلّ على كلّ ما يطير في الهواء بجناحين، أي أنّ الدّلالة الأصليّة للّفظة قد استعملت في حقيقتها للمعنى المادّيّ المحسوس. قال الله تعالى﴿ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ ﴾[الأنعام:38]، وقال تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ ﴾[النمل:17] .

ثمّ اعترى هذه اللّفظة التغيّر الدّلاليّ عن طريق شبكة العلاقات المجازيّة فنقلها إلى دلالة عقليّة مستحدثه وضّحها الخليل بقوله: "وطَائِرُ الإنسانِ: عَمَلُه الذّي قُلِّده"(1). وقد عرض لهذه الدّلالة من خلال قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ ﴾ [الإسراء:13]. وقد أكّد الزمخشري الدّلالة نفسها بقوله: "ومن المجاز... ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ ﴾ [الإسراء:13] "(3).

---

(1) العين 7/447(طير).

(2) المفردات 528.

(3) أساس البلاغة 601.

وإذا تتبعنا ما رواه الخليل: (طائر الإنسان)، نجد أنّ التصاحب بين المضاف (طائر) والمضاف إليه (الإنسان) بعيد كلّ البعد عن لغة التخاطب العاديّة، وهما ممّا لا يتصاحبان على المستوى المعجميّ، إذ كيف يكون لكلّ إنسان طائر؟ وهل يعقل أنّ الإنسان إذا مات يدفن معه هذا الطائر؟ لذلك فإنّ أمر التصاحب غير ممكن من النّاحية المنطقيّة؛ لأنّ أهل اللّغة ابتعدوا من الناحية الدّلاليّة عن أداء الوظيفة المعجميّة للألفاظ، ولكنّه ممكن إذا كان انزياحاً، فكأنهم أرادوا القول: إنّه لمّا كان الطائر يدلّ على كلّ ما يطير في الهواء بجناحين حيث يعلو في السماء مبتعداً عن الأرض، جاز لنا عن طريق التّشابه ـ من باب الاستعارة التصريحيّة ـ أن نطلق على عمل الإنسان ـ خَيْرِه وشَرِّه ـ قولنا: (طائر الإنسان)؛ لأنّ عمل الإنسان ملازماً له أينما حلّ وارتحل لا يفارقه أبداً حتى في مماته، إذ يتبع الميّت إلى القبر ثلاثةُ أشياء: أهلُهُ، ومَالُهُ، وعَمَلُهُ. فيرجع اثنان ويبقى واحد. يرجع أهله وماله، ويبقى عمله ملازماً له إلى يوم الحساب؛ أي كأنّه طار معه إلى الآخرة. قال النّبيُّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ:(**يَتْبَعُ المَيِّتَ ثَلاثَةٌ، فَيَرْجِعُ اثْنَان ويَبْقَى واحِدٌ، يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ**)[١].

أو لنقل إنّ العرب كانوا يتفاءلون ويتشاءمون بالطير، فإذا ما مرّ طائر من يمين الرائي إلى يساره تشاءم وعدل عن رأيه. أمّا إذا مرّ من يساره إلى يمينه فولاه يمينه فإنّه يتيمّن به ويسير في رأيه، لذلك سمّوا نفس الخير والشّر بالطائر، قال محمد علي الصابوني: "استعير الطائر لعمل الإنسان، ولمّا كان العرب يتفاءلون ويتشاءمون بالطير سمّوا نفس الخير والشرّ بالطائر بطريق الاستعارة"[٢].

---

(١) صحيح مسلم ٧٤٩.

(٢) صفوة التفاسير ١٥٦/٢.

ومن تلك الأمثلة كذلك لفظة (السِّرَاج) التي رواها الخليل عن أهل اللّغة من العرب، فقال: "والسِّراجُ: الزاهِرُ الذي يَزْهَرُ باللَّيلِ، والفِعْلُ منه: أسْرَجْتُ السِّراجَ إسْراجاً"(١). وقال ابن فارس: "السين والراء والجيم أصلٌ صحيحٌ يدلّ على الحُسْنِ والزِّينَةِ والجَمَالِ. من ذلك السِّرَاجُ، سمّي لضيائِهِ وحُسْنِه"(٢). وقال الراغب: "السِّرَاجُ: الزّاهِرُ بفَتيلَةٍ وَدُهْنٍ وَيُعَبَّرُ به عَنْ كُلِّ مُضيءٍ"(٣). وهذا يدلّ على أنّ أصل السِّرَاج في اللّغة المِصْباح الزّاهِر إلاّ أنّ الخليل أردف قائلاً: "والشَّمْسُ سِراجُ النَّهارِ، والهُدَى سِراجُ المُؤْمنينَ "(١). وهو ما أكّده الزمخشري بقوله: "ومن المجاز... الشَّمْسُ سِراجُ النَّهَارِ والهُدَى سِراج المُؤْمنين"(٤).

وهكذا نلحظ أنّ دلالة لفظة (السِّرَاج) قد انتقلت من دلالتها على المِصْبَاح الزّاهِر إلى دلالتين مجازتين تدلّ الأولى على الشَّمْس، وهي دلالة محسوسة، والأخرى على الهُدَى، وهي دلالة مجرّدة، وأنّ الذي جعل هاتين الدلالتين مختلفتين تركيب الإضافة الذي يعدّ نمطاً من أنماط العلاقات التسلسلية الأفقية. "فالمفردة الواحدة تكتسب معاني مختلفة مع مصاحبات مختلفة"(٥).

والمنعم النظر في هاتين الدلالتين المتطوّرتين، يجد القائل قد ابتعد من الناحية الدّلاليّة عن أداء الوظيفة المعجميّة بين المتضايفين. إذ نتوقع من القائل في العبارة الأولى: (الشَّمْسُ سِرَاجُ النَّهَارِ) أن يضيف المضاف (سِرَاج) إلى مضاف إليه مناسب له، ويتعلّق به، ومثله في العبارة الثانية: (الهُدَى سِرَاجُ المُؤْمِنِينَ)، كأن يقول مثلاً: سِرَاجُ فُلانٍ، المَسْجِدِ، البَيْتِ، وغيرها من الألفاظ

---

(١) العين ٦/٥٣(سرج).
(٢) مقاييس اللّغة ٣/١٥٦.
(٣) المفردات ٤٠٦.
(٤) أساس البلاغة ٤٣٣.
(٥)علم اللّغة المعاصر ــ مقدّمات وتطبيقات ٩١.

التي يمكن أن تترافق معجمياً معه، لكنّ القائل خالف كلّ التوقعات، فقال: (سِرَاجُ النَّهَارِ)، (سِـراجُ المُؤْمنِينَ).

وسؤالنا هو: هل يعقل أن يكون للنهار سراج، كي نضيئه فيه؟ وهل يعقل أن يكون للمؤمنين سراج واحد يضاء عليهم، وهم في مختلف بقاع الأرض؟ ممّا يعني أنّ هذا النوع من الترافـق قـد أضفى على التركيب نوعاً من عدم القبول ؛ لأنّ السّراج من مستلزمات بيت الإنسان فـي اللّيـل، وربّما بيت الحيوان، وتتصاحب معهما، أمّا تصاحبها مع النهار والمؤمنين في عبارتي: (الـشّمس سراج النهار)، و(الهُدى سراج المؤمنين) فقد مثّل نوعاً من البعد المعجميّ ـ على مستوى تركيب الإضافة ـ الذي لا تقبله لغة الخطاب العاديّة، إلاّ إذا كان انزياحاً. فكأنّ القائل أراد القول: إنّه لمّـا كان السّراج يدلّ على المصباح الزّاهِر الذي يكشف الظُّلْمة ويفضح المستور وينير الطريـق أمـام صاحبه، جاز لنا عن طريق التّشابه ـ من باب الاستعارة التصريحيّة ـ أن نطلق علـى الـشمس قولنا: (سراج النهار)، وعلى الهدى قولنا: (سراج المؤمنين) ؛ لأنّ الشمس تكشف معـالم الطبيعـة كلّها كما يكشف السّراجُ المستورَ في الظلمة ممّا حوله. وكذلك الهدى فإنّها تكشف للمـؤمن الكفـر والظلم والضلال وتنير له طريق الحق إلى برّ الأمان. أي أنّ سبب انتقال دلالة لفظة (السّراج) إلى الدلالتين الجديدتين كان التّشابه في الإنارة، وكشف المستور بين المـصباح الزاهـر مـن جهـة، والشمس والهدى من جهة أخرى.

وقال الخليل في لفظة (العَقْرَب): "العَقْرَب: الأنْثَى والذَّكَر فيه سَوَاءٌ والغالِبُ التأنيث"[١]. وقد أشار ابن منظور إلى هذا المعنى بقوله: "العَقْرَب واحِدَة العَقَارِب من الهَوَامّ. يكون للذكر والأنثـى بِلَفْظ واحدٍ ، والغالبُ عليه التأنيث"[٢]. وهذا يعني أنّ دلالة لفظة (العَقْرَب) في أصل وضعها اللّغويّ

---

(١) العين ٢٩٧/٢ (عقرب).

(٢) لسان العرب ٦٢٤/١.

كانت تدلّ على تلك الدويبة المعروفة، أي أنّ الدّلالة الأصليّة للّفظة قد استعملت في حقيقتها للمعنى المادّيّ المحسوس.

وقد اعترى هذه اللّفظة التغيّر الدّلاليّ عن طريق شبكة العلاقات المجازيّة، فنقلها إلى دلالة عقليّة مستحدثة وضّحها الخليل بقوله: "ويُقال للرَّجُل الذي يَقْرِضُ النَّاسَ: إنَّه لَتَدِبُّ عَقَارِبُه"[1]. وهذا ما أكّده ابن فارس بقوله: "العَقْرَبُ مَعْروفَة، والباء فيه زائدة، وإنّما هو من العَقْر، ثم يُسْتَعار فيُقال للذي يَقْرُص النّاس: إنّه لَتَدِبُّ عقَارِبُه"[2]. أي أنّ دلالة لفظة (العَقْرب) المادّيّة التي تدلّ على تلك الدويبة المعروفة قد انتقلت إلى دلالة أخرى مجازيّة تجريديّة لتدلّ على مَنْ يَقْرِضُ الناس بلسانه.

والناظر في ما رواه الخليل: (إنّه لَتَدِبُّ عَقَارِبُه) يجد أنّ أمر الترافق بين المضاف (عقارب) والمضاف إليه الضمير المتّصل (الهاء) في (عقاربه) العائد على الإنسان غير ممكن من الناحية المنطقيّة. إذ كيف يكون للإنسان عقارب تدبّ في أعْرَاض الناس؟ لكنّه لمّا كانت العَقَاربُ تَلْسَع مَنْ تَدِبُّ عليه لسْعَاً شديداً، جاز لنا عن طريق التّشابه – من باب الاستعارة التصريحيّة – أن نطلق على الإنسان الذي يَجْرَح أعْرَاض الناس، ويُؤْذيها بلسانه قولنا: (إنّه لَتَدِبُّ عقَارِبُه)؛ لأنّ مَنْ يَشْتم الناس بلسانه، ويقع في أعْرَاضِهم؛ فإنّه يُؤذيهم إيذاءً نفسياً شديداً كما تؤذي العقارب مادّيّاً جسد الإنسان. وإنّ من الكلام لأشدّ إيذاء من لَسْعِ العقَارِب. قال الجاحظ في حديثه عن العقارب: "وَرَوَوْا أنَّ عَقْرباً لسعت النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم فقال: (لَعَنَها اللهُ فإنَّها لا تُبَالي مَنْ ضَرَبَت!)[3]. وقال الضّبّيّ: أنا عقْرَبٌ، أضرُّ ولا أنفع"[4].

---

(1) العين ٢/٢٩٧ (عقرب).

(2) مقاييس اللّغة ٤/٣٦٠.

(3) عن عائشة؛ قالت: لَدَغَت النبي صلى الله عليه وسلم عقرب وهو في الصلاة فقال: "لَعَنَ الله العقرب. ما تَدَعُ المُصَلِّيَ وغير المُصَلّي. اقتلوها في الحلّ والحَرَم". صحيح سنن ابن ماجة ٢٠٨.

(4) الحيوان ٤/٢١٩.

ومن أمثلة هذا القسم ممّا وقفنا عليه في كتاب العين لفظة (النَّعل) الواردة في قول الله تعالى: ﴿فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ [طه:١٢]. قال الخليل: "النَّعلُ: ما جُعِلَتْ وقاية من الأرض. نَعِلَ يَنْعَلُ نَعْلاً، وانْتَعَلَ بكذا: إذا لَبِسَ النَّعل"(١). وهذا ما ذهب إليه ابن فارس فقال: "النون والعين واللام أُصَيلٌ يدلّ على اطْمِئنان في الشَّيءِ وتسفُّل. منه النَّعْل المَعْرُوفَة، لأنّها في أسفَل القَدَم. ورجُلٌ نَاعِلٌ: ذو نَعْل، ومُنْتَعِلٌ أيضاً"(٢). وهذا يعني أنّ دلالة لفظة (النَّعْل) في أصل وضعها اللّغويّ كانت تدلّ على الحذاء المَعْرُوف، وهي دلالة ماديّة محسوسة. ثمّ اعترى هذه اللّفظة التطوّر الدّلاليّ عن طريق شبكة العلاقات المجازيّة فنقلها إلى دلالة ماديّة أخرى مستحدثة ذكرها الخليل في كتابه العين على لسان أهل اللّغة من العرب، فقال: "ونَعْلُ السَّيْفِ: الحَدِيدَةُ التي في أَسْفَل جَفْنه"(١). وقد ذهب إلى هذه الدّلالة المتطوّرة الزمخشري، فقال: "ومن المجاز... لِسَيْفِهِ نَعْلٌ: حَديدَةٌ في أَسْفَل جَفْنه"(٣). قال ذو الرّمّة(٤):

تَرَى سَيْفَه لا يَنْصُفُ السَّاقَ نَعْلُه

أَجَلْ لا وإنْ كانت طِوالاً مَحَامِلُهْ

وإذا تتبعنا ما رواه الخليل: (نَعْلُ السَّيْفِ)، فإنّنا نجد التصاحب بين المضاف (نَعْل) والمضاف إليه (السَّيْف) بعيد كلّ البعد عن مستوى لغة الخطاب العاديّ، إذْ كيف يكون للسيف نعل، والنعل ممّا تتعلّق بخصوصية الإنسان؟ أي أنّ أمر التصاحب غير ممكن من الناحية المنطقيّة، لأنّ كلمة (نَعْل) لا تتصاحب معجمياً ـــ على مستوى تركيب الإضافة ـــ إلاّ مع كلمة تناسبها، وتتعلّق بها، كأن نقول مثلاً: نَعْلُ زَيْدٍ، فَاطِمَة، الإنْسانِ، الرَّجُلِ، إلى غير ذلك من الألفاظ التي تتصاحب

---

(١) العين ٢/١٤٢(نعل).

(٢) مقاييس اللّغة٥/٤٤٥.

(٣) أساس البلاغة ٩٧٢.

(٤) ديوانه ٥٦١.

معجميّاً معها. لكنّ القائل خالف ما هو مألوف لدى أبناء اللّغة، فقال: (نعل السيف)، وبهـذا اتّجـه أصحاب اللّغة إلى المجاز اللّغويّ الذي علاقته التّشابه؛ لتسويغ هذا التصاحب. إذ إنّه لمّا كانت النّعْل تدلّ على الحذاء التي تقي رِجْلَ الإنسانِ من صَلابَة الأرْضِ خُشُونتِها وشَوْكِها وحَصَاها، جاز لنـا عن طريق التّشابه ــ من باب الاستعارة التصريحيّة ــ أن نطلق على ما في أسْفَلِ غِمْدِ السيف من حديد أو فضّة قولنا: (نَعْلُ السَّيْفِ)؛ لأنّ قطعة الحديد أو الفضّة الموجودة في أسفل غِمْد السيف تقي السيف من الثَّنْي والثّلم ممّا يَصْطَدم فيه وهو مَغْمُودٌ، وهذا ما يشبه نَعْل الإنسان التي تقـي رِجْـل صَاحِبِها ممّا يسوءها.

٢ــ علاقة الكناية عن صفة:

لقد وجدت مجموعة من الألفاظ في معجم العين، مثّلت علاقة الإضافة الأفقيّة التي تمّ انتقال مجال الدلالة فيها عن طريق التّشابه ــ من باب شبكة العلاقات الكنائيّة ــ بصورتين، هما:

أ- انتقال الدلالة من المجال المحسوس إلى المجال المحسوس:

لقد وقفتُ على هذا النوع من انتقال الدلالة في ما أورده الخليل من ألفاظ في كتابه العـين على لسان أصحاب اللّغة من العرب، إذ أورد جملة من الألفاظ قد انتقلت دلالاتهـا مـن الدلالـة المحسوسة إلى دلالة محسوسة أخرى عن طريق التّشابه ــ من باب شبكة العلاقات الكنائيّة ــ كان التصاحب اللّغوي بين المضاف والمضاف إليه في علاقة الإضافة الأفقيّة غير متجانس. من ذلك ما ذكره الخليل حول دلالة لفظة (الجُمُود)، فقال: "جَمَدَ الماءُ يَجْمُدُ جُمُوداً"[١]. وقال ابن فارس: "الجيم والميم والدّال أصلٌ واحدٌ، وهو جُمُود الشّيءِ المَائِع من بردٍ أو غيره. يُقَال: جَمَدَ المـاءُ يَجْمُـد[٢].

(١) العين ٦/٨٩(جمد).

(٢) مقاييس اللّغة ١/٤٧٧.

وهذا يعني أنّ أصل الاستعمال اللّغويّ للفظة (الجُمُود) يدلّ على الصَّلابَة (ضِدُّ: ذَابَ)، وهو المعنى الحقيقي للفظة.

وتتبع الخليل تطوّر دلالة هذه اللّفظة عند أهل اللّغة من العرب، فقال: "ورَجُلٌ جَامِدُ العَيْنِ: قَلَّ دَمْعُه"(١). وقال ابن عبّاد(ت٣٨٥ هـ): "ورَجُلٌ جَامِدُ العَيْنِ: إذا قَلَّ دَمْعُه "(٢). ممّا يعني أنّ دلالة لفظة (الجمود) قد انتقلت مجازياً من معناها المادّيّ المحسوس الذي يدلّ على الصَّلابَة إلى دلالة أخرى مادّيّة مستحدثة لتدلّ على قِلَّة الدَّمْع. قال الزمخشري: "ومن المجاز... هو جَامِدُ العَيْنِ، وجَمَادُ العَيْنِ، وجَمُودُها، وله عَيْنٌ جَمُودٌ: قَلِيْلَةُ الدَّمْعِ"(٣).

وبهذا يظهر لنا أنّ أمر الترافق بين المضاف (جَامِد) والمضاف إليه (العَيْن) في قول الخليل: (رجل جامد العين) لا يمكن قبوله من الناحية المنطقيّة على مستوى التركيب الإضافي؛ لأنّ العين إذا جَمُدَت فإنّها تتعطل عن أداء وظيفتها العضوية: (الرؤية)، وهذا ما لم يُرِدْه القائل بقوله. أضف إلى ذلك أنّ كلمة (جَامِد) ليست من خصائص (العين) كي تتعلّق بها وتتصاحب معها معجميّاً، ولكنّ السوائل بأصنافها هي التي لها هذا الجمود، ولهذا فإنّ الانحسار والقلّة وعدم السَّيلان – وهي من لوازم السوائل – هي التي دفعت القائل إلى أن يصاحب بين المضاف (جامد) والمضاف إليه (العين). فهو يريد أن يقول: إنّه لمّا كان الجُمُودُ يدلّ على الصَّلابَة للسوائل عندما تَتَحَسر بعدم سيلانها، جاز لنا عن طريق التّشابه – من باب شبكة العلاقات الكنائيّة – أن نطلق على مَنْ يَقِلُّ دَمْع عَيْنِه قولنا: (رجُلٌ جَامِدُ العَيْنِ)؛ لأنّ السائل إذا جَمَد فإنّه يَنْكَمِش ولا يسيل، وأنّ أوّل مراحل جُمُوده قِلَّة الجريان، ثمّ الانكماش فالانحسار فالجمود، وكذلك عين الإنسان الذي يتعرض إلى مصيبة عظيمة؛ فإنّه يبكي ودموعه تسيل ثم تَقِلّ هذه الدموع شيئاً فشيئاً حتى تَنْحَسر وتَجِفّ. وربّما

---

(١) العين ٨٩/٦(جمد).

(٢) المحيط في اللّغة ٥٥/٧.

(٣) أساس البلاغة ١٣٢.

يكون هذا الإنسان قاسي القلب لا يتأثر كثيراً بما يصيبه، لدرجة أنّه إذا بكى لا يُنْزل من الـدمع إلاّ القليل، وكأنّ دموعه قد جَمُدت. أي أنّ سبب انتقال دلالة لفظة (الجمود) إلى الدّلالة الجديـدة كـان التّشابه في الانحسار، والقلّة، وعدم السَّيلان بين السوائل الجامدة وعين الإنسان القليلة الدمع.

وقال الخليل في لفظة (الحَبَّة) التي رواها عن أصحاب اللّغة من العرب في كتابـه العـين: "وقالوا الحَبَّةُ إذا كانت حُبوبٌ مختلفة مِنْ كلّ شيءٍ شيءٌ... ويقال لِحَبّ الرَّياحين حِبَّـة، وللواحـدة حَبَّة"(1). قال ابن عبّاد: "الحَبُّ: مَعْرُوفٌ، ويُجْمَعُ على الحُبُوب والأحِبَّةِ والحَبّات. وما أكْثَرَ حَبّاتِهم. والحَبَّةُ والحِبَّةُ: بُزُورُ البَقْلِ... وحِبُّ الرَّياحِيْنِ: حَبُّه، الواحِدَةُ حِبَّـةٌ"(2). وهـذا يعنـي أنّ أصـل الاستعمال اللّغويّ للفظة (الحَبَّة) يدلّ على البذور، وهو المعنى الحقيقي للّفظـة. قـال الله تعـالى: ﴿كَمَثَلِ حَبَّـةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ﴾ [البقـرة:٢٦١]. إلاّ أنّ دلالـة هذه اللّفظة قد انتقلت عن طريق المجاز الذي علاقته التّشابه إلى دلالة أخرى جديـدة لتـدلّ علـى سُوَيْدَاءِ القلب وثمرته. قال الخليل: "وَحَبَّة القَلْبِ: ثَمَرَتُه"(1). قال كُراع النّمل: "وحَبَّةُ القلب: زَنَمَةٌ في جوفه"(3). وقال ابن فارس بعد أن ذكر الأصل اللّغويّ للفظة (الحَبّ): "ومِنْ هذا الباب حَبَّة القَلْـب: سُوَيْدَاوُه، ويُقَال ثَمَرَتُه"(4).

وبهذا يظهر لنا أنّ قول الخليل: (حَبَّة القَلْب) يحمل نوعاً من اللاتجـانس المعجمـيّ بـين المضاف (حبّة) والمضاف إليه (القلب)؛ لأنّ كلمة (الحَبَّة) لا تتصاحب معجميّاً ـ علـى مـستوى التركيب الإضافي ـ إلاّ مع كلمة مناسبة لها، وتتعلّق بها، نحو: حَبَّة القَمْـحِ، الـشَّعيْرِ، العَـدَسِ،

---

(١) العين ٣/٣١(حب).
(٢) المحيط في اللّغة ٢/٣٢١.
(٣) المنجّد ١٧٥.
(٤) مقاييس اللّغة ٢/٢٦.

وغيرها من الألفاظ التي تتلاءم معجمياً معها. إلاّ أنّ القائل قد خالف بقولـه: (حبّـة القلـب) كـلّ التوقعات، وابتعد دلالياً عن المصاحبة المباشرة بين المتضايفين.

وسؤالنا هو: كيف تكون للقَلْبِ حَبَّةٌ وهي ممّا يتعلّق بالنباتات؟ ولكن لمّا كانت الحَبَّة تـدلّ على بذرة النبات التي هي نتاج النباتات، والتي تحمل خصائص أُمّها الإنباتيّة، جاز لنا عن طريـق التّشابه ــ من باب شبكة العلاقات الكنائيّة ــ أن نطلق على سُوَيْدَاءِ القَلْب أو ثَمَرَتِه قولنـا: (حَبَّـةُ القَلْبِ) ؛ لأنّ سُوَيْدَاءَ القَلْبِ أو ثَمَرَتَه هي التي تنتج عنها مشاعر الإنسان وأحاسيسه وعواطفه، كما تنتج النَّبْتَةُ الحبّةَ (الثمرة) المُحَمَّلة بصفاتها الوراثية، فمنها ما هو طيّب المذاق، ومنها ما هو سيئ. ومنها ما هو مفيد للإنسان، ومنها ما يضرّه. قال الأعشى(١):

فرَمَيْتُ غَفْلَةَ عَينِه عن شَاتِهِ

فأصَبْتُ حَبّةَ قَلْبِها وَطِحَالَـها

ومن أُمثلة هذا القسم ــ أيضا ــ ما رواه الخليل عن أصحاب اللّغة من العرب حول لفظـة (الخُرْطُوم)، فقال: "الخُرْطُوم: الأنفُ. والخُرْطُوم: اسم لِما ضُمَّ عليه مُقَدَّمُ الحَنَكَيْنِ والأنف"(٢). قال كُراع النّمل: "الخُرْطُوم مِنَ السِّبَاع: بِمَنزِلة الأنْف مِنَ الإنْسانِ "(٣). وقال الراغب: "الخُرْطُوم: أنْفُ الفيل"(٤). وهذا يدلّ على أنّ أصل لفظة (الخُرْطُوم) استعمل في حقيقته للمعنى الماديّ المحـسوس الذي يدلّ على الأنف.

---

(١) ديوانه ١٣٩.

(٢) العين ٤/٣٣٣(خرطوم).

(٣) المنجَّد ١٩١.

(٤) المفردات ٢٧٩.

وتتبع الخليل دلالة اللّفظة، فقال: "وخراطيم القوم سادتهم ومُقَدَّمُوهم في الأمور"[1]. وهذا ما أكّده ابن فارس بعد أن ذكر أصل لفظة الخرطوم، فقال: "ومن الباب تَسْمِيَتُهم سَادَةَ القُوم الخَرَاطِيمَ"[2]. قال العجّاج[3]:

مِنَّا الخَرَاطِيمَ وَرَأْساً عُلَّجا

من خلال ذلك نلاحظ أنّ لفظة (الخُرْطُوم) قد انتقلت من معناها الماديّ المحسوس الدّال على الأنف، وهو المعنى الحقيقي للّفظة، إلى معنى مجازي ماديّ مستحدث لتدلّ على سيّد القوم ومُقدَّمِهم.

وعليه فإنّ أمر التصاحب بين المضاف (خراطيم) والمضاف إليه (القوم) ممكن من الناحية المعجميّة إن استخدمنا لفظة (الخرطوم) في معناها الحقيقي في أصل اللّغة، أي عندما يكون معنى الخرطوم: الأنف. لكنّ هذا المعنى لم يقصده القائل بقوله: (خراطيم القوم)، وإنّما أراد معنى آخر وهو سادة القوم ومُقَدَّمُوهم. أي أنّ أمر التصاحب بين المتضايفين لا يمكن قبوله من الناحية المنطقيّة على مستوى تركيب الإضافة. إذ كيف يصبح سادة القوم ومُقَدَّمُوهم خراطيم لأبناء قومهم؟ لذلك اتجه أصحاب اللّغة إلى المجاز اللّغويّ ــ من باب شبكة العلاقات الكنائيّة ــ للتوسّع في اللّغة، فكان تعبيرهم (خراطيم القوم) كناية عن سادة القوم ومُقَدَّميهم. أي إنّه لمّا كان الخرطوم يدلّ على الأنف الذي ينسب إليه الحميّة والغضب والعزة والذِّلّة، جاز لنا عن طريق التّشابه أن نطلق على سادة القوم ومُقَدَّميهم قولنا: (خراطيم القوم)، فهم رمزَ الحميّة والغضب، والعزة والذِّلة. إذ يحتمي أبناء العشيرة بهم، وإذا غضبوا غضبت العشيرة معهم، وهم عزّةٌ لعشيرتهم، وأنّ أمر العشيرة تحت

(١) العين ٣٣٣/٤(خرطوم).

(٢) مقاييس اللّغة ٢٥١/٢.

(٣) ديوانه ٣٨٩.

أيديهم، أي أنهم كالأنف. وقد تغنّى الحطيئة[1] مفتخراً ببني أنف الناقة وهم بطن من بني سعد بن زيد مَناة فقال فيهم:

قَوْمٌ هُمُ الأنفُ، والأذْنابُ غَيْرُهُمُ
ومَنْ يُسَوّي بأنْفِ الناقةِ الذَّنَبا

ومن ذلك ــ أيضًا ــ ما رواه الخليل حول لفظة (الدّعَامَة)، فقال: "الدّعامة: اسم الخَشَبَة التي يُدعَم بها... والدَّعْمُ: تَقْوِيَةُ الشّيءِ الوَاهِنِ، نحو الحَائِط المَائِل فتَدْعَمه بدِعَامةٍ مِنْ خَلْفِه، وبه يُشَبَّه الرجُلُ السيّد يقال: دِعامةُ العَشِيرةِ، أي به يتقوّوْنَ"[2]. قال ابن فارس: "الدّال والعين والميم أصلٌ واحدٌ، وهو شَيءٌ يكون قِيَاماً لشَيءٍ ومِسَاكاً. تقول: دَعَمْتُ الشَّيءَ أدعِمُهُ دَعْماً، وهو مَدْعُومٌ، والدّعامتانِ: خَشَبَتا البَكَرَة. ودِعامةُ القَوْمِ: سَيِّدُهُم"[3]. وقال الزمخشري: "ومن المجاز: هو دِعَامَة قَوْمِه: لِسَيِّدِهِم وسَنَدِهِم... وهم دَعَائِم قَوْمِهم"[4]. فأصل الدّعَامَة: الخَشَبَة التي يُدْعَم بها، وهذا هو المعنى الحقيقي للّفظة في أصل الاستعمال اللّغويّ لها.

إلاّ أنّ انتقال دلالة اللّفظة عن طريق شبكة العلاقات المجازيّة لتدلّ على السيّد الوجيه جعل التصاحب بين المتضايفين (دِعَامَة العَشِيرةِ) غير متجانس معجميّاً؛ لأنّ كلمة (دِعامة) لا تتصاحب معجمياً ــ على مستوى تركيب الإضافة ــ إلاّ مع كلمة تناسبها، وتتعلّق بها، مثل: دِعامة الحَائِط، الشَّجَرة، السَّقْف... الخ، ولكنّها على المستوى اللّغويّ العاديّ لا يمكن أن تتصاحب مع المضاف إليه (العشيرة) إلاّ إذا كان انزياحاً، فكأنّ القائل أراد أن يقول: إنّه لمّا كانت الدّعَامَة تدلّ على الخَشَبَة التي يُدْعَم بها الشَّيءُ الوَاهِنُ فتصير له مِسَاكاً، جاز لنا عن طريق التّشابه ــ من باب شبكة

---

(١) ديوانه ١٧.

(٢) العين ٢/٦٠(دعم).

(٣) مقاييس اللّغة ٢٨٢.

(٤) أساس البلاغة ٢٧٢.

العلاقات الكنائيّة ـ أن نطلق على سيّد العشيرة قولنا: (دِعامة العشيرة)، لأنّ أبناء العشيرة يتقوَّوْنَ بسيّدهم إذا تعرضوا للضعف والإذلال كما يَتَقَوَّى الشَّيءُ الوَاهِنُ بالدِّعَامَةِ. قال الأعشى[1]:

كِــلا أبَوَيْكُمْ كان فَرْعاً دِعامَةً

ولكنّهم زَادُوا وأصْبَحْتَ نَاقِصاً

وممّا ذكره الخليل عن العــرب من أمثلة هذا المظهر قولهم في لفظة (الرَّحَى)، فقال: "رحاً ورَحَيان، وثلاث أرْحٍ، وأرْحَاء كثيرة، والأرْحِية كأنّها جماعة الجماعة. ورَحَى الحَرْبِ: حَوْمَتُها"[2]. قال كُراع النّمل: "والرَّحى: التي يُطْحَنُ بها. والرّحى: الصَّدْرُ، ورحى الحَرْب مِنْ ذلك"[3]. وقــال ابن فارس في السياق ذاته: "الراء والحاء والحرف المعتلُّ أصلٌ واحدٌ وهي الرَّحَــى الــدّائرة. ثــمّ يتفرع منها ما يُقَارِبُها في المعنى. من ذلك رَحَى الحَرْبِ، وهي حَوْمَتُها"[4]. وبهذا يظهــر لنــا أنّ أصل الاستعمال اللّغويّ للفظة (الرحى) يدلّ على الأداة التي يُطحن بها، وهي دلالة مادّيّة محسوسة، إلاّ أنّ هذه الدّلالة قد انتقلت عن طريق المجاز الذي علاقته التّشابه إلى دلالة أخرى مستحدثة لتدلّ على حومة الحَرْب.

والناظر في عبارة الخليل: (رحى الحرب) يجد أنّ التصاحب الدّلاليّ فيها بــين المــضاف (رحى) والمضاف إليه (الحرب) يحمل نوعاً من اللاتجانس على مستوى التركيب الإضــافي؛ لأنّ الحرب ليس لها رحى، وليست هذه الكلمة من خصائصها التي تتعلّق بها،وتتصاحب معها، ولكــنّ

(١) ديوانه ١٩٣.

(٢) العين ٢٨٩/٣(رحى).

(٣) المنجّد ٢١٢.

(٤) مقاييس اللّغة ٤٩٨.

الحَبِّ هو الذي يتعلّق بالرحى ويتصاحب معها، كأن نقول: (رحى الحَبِّ) لكنّ القائل هنا ابتعد كثيراً عن المصاحبة المباشرة معجمياً ؛ لأنّه قال: (رحى الحرب)، إذ كيف يكون للحرب رحى، والرحى ممّا يتعلّق بما هو مادّيّ؟! الأمر الذي جعل الدّلالة بعيدة تحتاج إلى تأويل. فكأنّ القائل أراد أن يقول: إنّه لمّا كانت الرحى تدلّ على تلك الأداة التي يُطحن بها الحَبُّ، جاز لنا عن طريق التّشابه ــ من باب شبكة العلاقات الكنائيّة ــ أن نطلق على حَوْمَة الحَرْبِ قولنا: (رَحَى الحَرْبِ) ؛ لأنّ أشدّ القتال يكون في حومة الحرب، إذ يُقتل عدد كبير من المقاتلين في هذا الموضع دون غيره ؛ فيكون بمثابة الرحى التي تطحن كلّ الحبوب التي توضع فيها. أي أنّ سبب انتقال دلالة هذا النمط إلى الدّلالة الجديدة كان التّشابه في القتل والطَّحْن بين الرحى وحومة الحرب، فحومة الحرب تقتل وتَطحن أكثر من يدخلها من المقاتلين كالرحى التي تطحن الحبوب وتقتل أجِنَّتَها.

ومن أمثلة هذا الصنف ما رواه الخليل عن أصحاب اللّغة من العرب حول لفظة (السُّوْق)، فقال: "سُقْتُه سَوْقاً، ورَأَيتُه يَسُوقُ سِيَاقاً أي ينزِعُ نَزْعاً يعني الموتَ... والسّوقُ مَعْرُوفةٌ، والسّوقُ موضِعُ البياعاتِ"[1]. وقال ابن فارس: "السين والواو والقاف أصلٌ واحدٌ، وهو حَدْوُ الشَّيءِ. يقال سَاقَهُ يَسُوقُه سَوقاً والسَّيِّقَةُ: ما استيق من الدوابّ. ويقال سقتُ إلى امرأتي صَدَاقها، وأسَقْتُه. والسّوقُ مشتقّةٌ من هذا، لما يُساق إليها من كلّ شيء، والجمع أسواق"[2]. وكما هو واضح من قول ابن فارس ؛ فإنّ دلالة لفظة (السُّوق) التي تدلّ على الموضع الذي يُجْلَب إليه المتاع للبيع، متطوّرة من مجالها الحقيقي الدّال على سَوْق الدوابّ صَدَاقاً للمرأة. "فتطوّر الدّلالة ظاهرة شائعة في كلّ اللّغات يلمسها كلّ دارس لمراحل نمو اللّغة وأطوارها التاريخية. وقد يعدّه المتشائم بمثابة الداء الذي

---

(١) العين ٥/١٩٠(سوق).

(٢) مقاييس اللّغة ١١٧.

يندر أن تفرّ أو تنجو منه الألفاظ، في حين أن مَنْ يؤمن بحياة اللّغة ومسايرتها للزمن ينظر إلى هذا التطوّر على أنّه ظاهرة طبيعيّة دعت إليها الضرورة الملحّة"(١).

إلاّ أنّ دلالة السُّوق المجازيّة أصبحت مألوفة؛ لشيوعها بين الناس وتعارفهم عليها، وقد عُدّت من الحقيقة، أي أنّ دلالة لفظة (السُّوق) التي تدلّ على الموضع الذي يُجلَب إليه المتَاعُ والسّلَعُ للبَيْع والابْتِيَاع هي دلالة حقيقية للّفظة. قال الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ﴾ [الفرقان:٧] .

وقد تبع تطوّر دلالة لفظة (السُّوق) تطوّر آخر فأصبحت تدلّ على حَوْمَة القتال. قال الخليل: "وسُوق الحَرْبِ: حَوْمَةُ القِتال"(٢). وهذا ما أكّده الزمخشري بقوله: "ومن المجاز... رأيتُه يَكرُّ في سُوقِ الحَرْبِ: في حَوْمَةِ القِتَالِ وَوَسَطِه"(٣).

وعليه فإنّ أمر الترافق بين المضاف (سوق) والمضاف إليه (الحرب) غير متجانس معجمياً؛ لأنّ المضاف (سوق) لا يتصاحب إلاّ مع كلمة تناسبه، وتتعلّق به، كأن نقول: سُوقُ الاثنينِ، المَدِينةِ، السُّكَّرِ، الحَلالِ، الخَضْراوات... الخ، ولكنّ القائل عَمَدَ إلى استعمال المضاف إليه (الحرب)، فخالف التوقعات جميعها، وابتعد دلالياً عن المصاحبة المباشرة بين المتضايفين. إذ كيف يكون للحَرْبِ سُوْقٌ؟ وهل تُجْلَبُ السِّلَعُ والأَمْتِعَةُ إلى ساحةِ القتال للابتياع؟ لذلك فإنّ الأمر غير ممكن من الناحية المنطقيّة؛ لأنّ أهل اللّغة ابتعدوا من النّاحية الدّلاليّة عن أداء الوظيفة المعجميّة للألفاظ، ولكنّه ممكن إذا كان انزياحاً، فكأنّ القائل أراد أن يقول: إنّه لمّا كانت السُّوق تدلّ على

---

(١) دلالة الألفاظ ١٢٣.

(٢) العين ٥/١٩٠(سوق).

(٣) أساس البلاغة ٤٦٩.

الموضع الذي تجلب إليه السّلع والأمتعة للبيع والابتياع، جاز لنا عن طريق التّشابه ــ من باب شبكة العلاقات الكنائيّة ــ أن نطلق على حَوْمة القتال قولنا: (سُوقُ الحرب)؛ لأنّ السلع والأمتعة تجلب إلى ذلك المكان كي تنفق ويتخلص منها صاحبها، وربّما عاد بها أو بجزء منها، وقد شبّه بهذا الأمر ذهاب المقاتلين إلى حَوْمة القتال فيقتل فيها مَنْ يقتل، ويعود منها مَنْ يعود، إمّا سالماً وإمّا جريحاً. أي أنّ سبب انتقال دلالة (السُّوق) إلى الدّلالة الجديدة كان التّشابه في مكان الجلب والسَّوق بين المَوْضِع الذي تُجْلَبُ إليه السّلعُ والأَمْتِعَةُ، من جهة، وحَوْمة القتال التي يخوضها المقاتلون ويُسَاقون إليها، من جهة أخرى.

ب- انتقال الدلالة من المجال المحسوس إلى المجال المجرّد:

فمن هذا الباب الذي انتقلت فيه دلالة الألفاظ من الدلالة المحسوسة إلى دلالة مجرّدة عن طريق التّشابه ــ من باب شبكة العلاقات الكنائيّة ــ وكان التصاحب اللّغويّ بين المضاف والمضاف إليه في علاقة الإضافة الأفقيّة يمثّل شكلاً من أشكال اللاتجانس الدّلاليّ، ما رواه الخليل حول دلالة لفظة (الجَعْد)، فقال: "رَجُلٌ جَعْدُ الشَّعْر، وشَعْرٌ جَعْدٌ، وقد جَعُدَ يَجْعُدُ جُعُودَة. وجَعَّدَها صاحبُها تجعيداً. ويُجْمَعُ الجَعْدُ جِعَادًا "[1]. وقد استدلّ على ذلك بقول الشاعر[2]:

قد تَيَّمَتْنِي طَفْلَةٌ أُمْلُودُ

بِفَاحِمٍ زَيَّنَهُ التَّجْعِيدُ

وقال ابن فارس في السياق ذاته: "الجيم والعين والدال أصلٌ واحدٌ، وهو تَقَبُّضٌ في الشَّيء، يُقال شَعْر جَعْدٌ، وهو خِلاف السَّبْط(*). قال الخليل: جَعُدَ يَجْعُدُ جُعُودةً، وجَعَّده صَاحِبُه تَجْعِيداً "[3]. وهذا

(١) العين ٢١٨/١(جعد).

(٢) البيت دون عزو في: تهذيب اللّغة ٣٤٩/١ ؛ مقاييس اللّغة٤٦٢/١ ؛ أساس البلاغة ١٢٦ ؛ لسان العرب١٢٢/٣.

(*) شَعْرٌ سَبْطٌ وسَبَطٌ: مُسْتَرْسِلٌ غير جَعْدٍ. لسان العرب ٣٠٨/٧.

(٣) مقاييس اللّغة ٤٦٢/١.

يعني أنّ دلالة لفظة(الجَعْد) في أصل وضعِها اللّغويّ كانت تدلّ على تَقبُّض في الشّيء واجتماعه، ممّا يعني أنّ أصل اللّفظة قد استعمل في حقيقته للمعنى المادّيّ المحسوس. إلاّ أنّ دلالة هذه اللّفظة قد انتقلت عن طريق المجاز الذي علاقته التّشابه ــ من باب شبكة العلاقات الكنائيّة ــ إلى دلالة عقليّة مجرّدة وضّحها الخليل على لسان أصحاب اللّغة بقوله: "ورجلٌ جَعْدُ اليدين: بخيلٌ بملك يده. يقال للقصير الأصابع: جَعْدُ الأصابع "(١). قال ابن فارس: "وممّا يُحَمل على هذا الباب قَوْلُهم نَبَاتٌ جَعْدٌ، ورَجُلٌ جَعْد الأَصَابِعِ، كِنَايَة عَنْ البُخْل "(٢). وهذا ما أكّده الزمخشري حين قال: "ومن المجاز... رَجُلٌ جَعْدُ الأَصَابِعِ، وجَعْد البَنَان: للبَخِيل "(٣). قال الشاعر(٤):

مَا قَابِضُ الكَفَّينِ إلاّ جَعْدُ

والناظر إلى ما رواه الخليل: (رَجُلٌ جَعْدُ اليَدَينِ)، يجد أنّ القائل قد أضاف كلمة (جعد) إلى (اليدين)، واليدان من الناحية الدّلاليّة المعجميّة لا تتصاحب مع الجَعْد ــ على مستوى التركيب الإضافي ــ وإنّما تتصاحب مع كلمة تناسبها، وتتعلّق بها، كأن نقول: جَعْدُ الشَّعْر، الجِلْد، الثَّوْب، الحِذَاء، وغير ذلك من الألفاظ التي تتصاحب معها معجميّاً. إلاّ أنّ القائل خالف كلّ التوقعات، فقال: (جَعْد اليدين)، وبهذا فقد اتّجه إلى المجاز اللّغويّ الذي علاقته التّشابه ؛ لتسويغ هذا التصاحب. إذ إنّه لمّا كان الجَعْد يدلّ على تَقبّض في الشّيء واجتماعه والتوائه، جاز لنا عن طريق التّشابه ــ من باب شبكة العلاقات الكنائيّة ــ أن نطلق على البخيل قولنا: (رَجُلٌ جَعْدُ اليَدَيْنِ)، لأنّ يد البخيل تكون عاجزة عن الوصول إلى المال لبذله، مَغْلُولة مَقْبُوضَة حَرِيصَة أشدّ الحرص على عدم إنفاق

---

(١) العين ١/٢١٨(جعد).

(•) شَعْرٌ سَبْطٌ وسَبِطٌ: مُسْتَرْسِلٌ غير جَعْد. لسان العرب ٧/٣٠٨.

(٢) مقاييس اللّغة ١/٤٦٢.

(٣) أساس البلاغة ١٢٦.

(٤) البيت دون عزو في: العين ١/٢١٨ ؛ المحكم والمحيط الأعظم ١/٣٠٤ ؛ لسان العرب ٣/١٢٢. وراويته في المحكم ولسان العرب: " مِنْ قَائِضِ الكَفَّينِ غَيرِ جَعْدِ ".

هذا المال. قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ [الإسراء:٢٩]. قال ابن فارس تحت عنوان (بَابُ البُخْلِ): "يُقَالُ: فُلانٌ جَعْدُ اليَدَيْنِ، جَعْدُ البَنَانِ، يَابسُ الكَفِّ"[١]. وهذا عكس ما يُتَحَدَّثُ به عن الكريم الذي يقال عنه: إنّ يَدَه طَائِلَة، أي طائل اليدين كريم، واللص الذي يقال عنه: إن يده طويلة، أي: طويل اليدين، يتعدّى على أشياء الآخرين وممتلكاتهم. قال الأزهري (ت٣٧٠هـ): "وأمّا الجَعْدُ المذموم فَلَه أيضاً معنيان كلاهما منفيٌّ عمّن يُمدح: أحدهما أنْ يقالُ: رجلٌ جَعْدٌ، إذا كان قصيراً متردّد الخُلُق. والثّاني أنْ يقال: رجلٌ جَعْدٌ، إذا كان بَخيلاً لَئيماً لا يَبِضُّ حَجَرُه. وإذا قالوا: رجل جَعْد اليدين، وجَعْد الأنامل، لم يكن إلاّ ذمّاً محضاً"[٢].

وممّا أوقفنا عليه الخليل من أمثلة هذا الباب ما رواه عن العرب حول لفظة (الحَسَك)، فقال: "الحَسَك: نَبَاتٌ له ثمرةٌ خَشِنةٌ تتعلّق بأصْوَافِ الغَنَمِ، الواحدةُ حَسَكَة"[٣]. وقال ابن فارس: "الحاء والسين والكاف من خُشُونَةِ الشَّيءِ، لا يَخْرُج مَسَائِلُه عنه. فمِنْ ذلك الحَسَكُ، وهو حَسَكُ السَّعْدان[*]، وسمي بذلك لخُشُونَتِه وما عليه مِنْ شَوْك"[٤]. ممّا يعني أنّ دلالة لفظة (الحَسَك) في أصل وضعها اللّغويّ كانت تدلّ على النبات الذي له ثمرة خشنة تتعلّق بأصواف الغنم، أي إنّ الدّلالة الأصليّة للّفظة قد استعملت في حقيقتها للمعنى الماديّ المحسوس. إلاّ أنّ التغيّر الدّلاليّ قد أصاب هذه اللّفظة ونقلها، عن طريق شبكة العلاقات المجازيّة إلى دلالة معنويّة مستحدثة، وضحّها الخليل بقوله:

---

(١) متخيّر الألفاظ ١٠٣.
(٢) تهذيب اللّغة ٣٤٩/١.
(٣) العين ٥٩/٣(حسك).
(*) حسك السّعدان: نَبَاتٌ له ثَمَرَةٌ خَشِنَةٌ تَعْلَقُ بِأصْوافِ الغَنَمِ، واحدَتُهُ حَسَكَة. لسان العرب ٤١١/١٠.
(٤) مقاييس اللّغة ٥٦/٢.

"وحَسَكُ الصَّدْر: حِقْد العَداوة، تقولُ: إنّه والحَسَكُ الصَّدْر عليّ"[1]. وهذا ما اكّده الزمخشري بقوله: "ومن المجاز: في صَدْرِه عليّ حَسَكَةٌ أي عداوة، وقد حَسِك عليّ حَسَكاً، وهو حَسِكُ الصَّدْر على أخيه، وأضمر له حَسِيكَة، وبينهم حَسَائِكُ"[2].

وخلاصة ذلك أنّ لفظة (الحَسَك) قد انتقلت دلالتها من أصل وضعها اللّغويّ عن طريق شبكة العلاقات المجازيّة ــ من باب شبكة العلاقات الكنائيّة ــ إلى دلالة معنويّة مستحدثة لتدلّ على حِقْد العَداوة. ولكنّ التصاحب بين المتضايفين غير منسجم من الناحية المعجميّة. فالمضاف (حَسَك) في قول الخليل: (حَسَكُ الصَّدْر) لا يتصاحب معجميّاً ــ على مستوى التركيب الإضافي ــ إلاّ مع كلمة مناسبة له، وتتعلّق به، كأن نقول: (حَسَك السَّعدان). أمّا تصاحبه مع المضاف إليه (الصَّدْر) فقد مثّل نوعاً من البعد المعجميّ الذي لا تقبله لغة الخطاب العاديّة، إذ كيف يكون للصَّدْر حَسَك؟ وهل أصبح الصَّدْر نباتاً يُثْمِر ثمرة خشنه تتعلّق بأصواف الغنم وأوبار الإبل؟

ولكن ما الذي سوّغ هذا التصاحب؟ إنّها علاقة التّشابه بين الدلالتين. فكأنّ القائل يريد أن يقول: إنّه لمّا كان النبات الذي يقال له الحَسَك يلتزق بأصواف الغنم وأوبار الإبل ويتعلّق بها، جاز لنا عن طريق التّشابه ــ من باب شبكة العلاقات الكنائيّة ــ أن نطلق على حِقْد العَداوة قولنا: (حَسَك الصَّدْر) ؛ لأنّ حقد العداوة يقود إلى الجفوة والخشونة، ويتعلّق بالقلب، ويلتزق به كما يتعلّق الحَسَك بأصواف الغنم وأوبار الإبل. أي إنّ سبب انتقال دلالة لفظة (الحسك) إلى الدّلالة الجديدة كان التّشابه في الخشونة والتعلّق والالتصاق بين ذلك النبات وحِقْد العَداوة.

---

(١) العين ٣/٥٩(حسك).

(٢) أساس البلاغة١٧٤.

وممّا جاء من هذا الباب، ممّا رواه الخليل عن أصحاب اللّغة من العرب، لفظة (الخِفَّة)، فقال: "الخِفَّةُ: خِفَّةُ الوَزْنِ، وخِفَّةُ الحَالِ"(١). وقال ابن فارس: "الخاء والفاء أصلٌ واحدٌ، وهو شيء يخالف الثِّقَل والرَّزانة. يقال خَفَّ الشَّيءُ يَخِفُّ خِفَّةً، وهو خَفِيفٌ وخُفَافٌ"(٢). وهذا هو المعنى الحقيقي للفظة (الخِفَّة) في أصل الاستعمال اللّغويّ لها قبل أن يعتريها التغيّر الدّلاليّ. قال الله تعالى: ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾ [الأعراف:١٨٩]. وقد انتقلت دلالة تلك اللّفظة عن طريق شبكة العلاقات المجازيّة إلى دلالة مستحدثة وضّحها الخليل بقوله: "وخِفَّةُ الرجُلِ: طَيْشُه"(١). وهذا ما أكّده الراغب عندما قال: "يقال خَفِيفٌ فِي مَنْ يَطِيشُ، وثَقِيلٌ فِي مَا فيه وَقَارٌ، فيكونُ الخَفِيفُ ذمًّا، والثَّقِيلُ مَدْحًا"(٣). قال الله تعالى: ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ﴾ [الزخرف:٥٤].

نخلص من ذلك إلى أنّ دلالة لفظة (الخِفَّة) قد انتقلت من معناها الماديّ المحسوس الدّال على قِلَّة الثِّقل (خِفَّة الوزن) إلى معنى عقليّ مجرّد يدلّ على الطَّيْش. ممّا يعني أنّ ما رواه الخليل عن أصحاب اللّغة من العرب: (خِفَّة الرجل)، يحمل نوعاً من اللاملاءمة ؛ لأنّنا نتوقع أنّ المضاف (خِفَّة) يمكن أن يضاف إلى مضاف إليه مناسب له، ويتعلّق به، كأن نقول: خِفَّة الوَزْن، الحَمْل، الإناء... الخ، ولكنّ القائل هنا ابتعد كثيراً عن المصاحبة المباشرة معجميّاً بين المتضايفين؛ لأنّه قال: (خِفَّة الرجُل)، فهو لم يُرِد المعنى الماديّ المحسوس الدّال على قِلَّة الثِّقل، وإنّما أراد المعنى العقليّ الدّال على الطَّيْش.

لذلك فإنّ أمر الترافق بين المضاف (خِفَّة) والمضاف إليه (الرجُل) قد مثّل خرقاً واضحاً للتصاحب اللّغويّ الذي لا يمكن قبوله على مستوى لغة الخطاب العاديّ، ولكنّه ممكن إذا كان

---

(١) العين ١٤٣/٤(خف).

(٢) مقاييس اللّغة ١٥٤.

(٣) المفردات ٢٨٩.

انزياحاً، إذ إنّ أصحاب اللّغة لم يريدوا ذلك على سبيل الحقيقة، وإنّما اتجهوا إلى المجاز اللّغـــويّ بسبب الشبه بين المعنيين. فكأنّهم أرادوا القول: إنّه لمّا كانت الخِفّة تدلّ على خِفَّة الوزن للأشـــياء (قِلّة ثِقَلِها)، ممّا يسهل حَمْلها من قبل الصغير والكبير، جاز لنا عن طريق التّشابه ــ من باب شبكة العلاقات الكنائيّة ــ أن نطلق على طيش الرجل وحُمْقه قولنا: (خِفّة الرجل)، لأنّ الرجل إذا طَـــاش وحَمُق خَفَّ عَقْلُه وزَال حلمُه، حينها يُسَيّره الصغير قبل الكبير كيفما شاء وأينما أراد.

وممّا جاء من هذا النوع ممّا رواه الخليل عن العرب لفظة (الشَّكيمة)، الواردة في قـــول القطامي[١]:

لأفراسِهِ يَوْماً على الدَّرْبِ غارةٌ

تُصَلْصِلُ في أشْدَاقِهِنَّ الشَّكائِمُ

قال الخليل: "شَكَمَ الفَرَسَ يَشْكُمُه شَكْماً، أي: أدْخَل الشَّكِيمَةَ في فمه، وهي الحديدةُ الّتي في الفم مـــن اللِّجام والجميع: الشُّكُمُ، والشَّكَائِمُ"[٢]. وقال ابن فارس في السياق ذاته: "والشَّكيمَةُ شَـــكِيمَةُ اللِّجـــام، وهي الحَديدةُ المُعْتَرِضَةُ التي فيها الفَأسُ، والجَمْعُ شَكَائِم"[٣].

وهكذا فإنّ لفظة (الشَّكيمة) تعني الحديدة التي في فم الدّابة من اللِّجـــام، وهـــو المعنـــى الحقيقي للفظة، ولم تقف دلالة هذه اللّفظة عند هذا الحدّ من الدّلالة المحسوسة، بل تعدّتها عن طريق شبكة العلاقات المجازيّة إلى دلالة مجرّدة لتدلّ على الجِدّ والعارِضة وشدّة النفس. قال الخليل على

---

(١) ديوانه ١٣١.

(٢) العين ٥/٣٠٠ (شكم).

(٣) مقاييس اللّغة ٣/٢٠٦.

لسان أهل اللّغة من العرب: "وفُلانٌ شديدُ الشّكيمة، أي: ذو عارِضَـــة وجِـدّ"[1]. وهــو مــا أكّـده الزمخشري بقوله: "ومن المجاز: إنّ فلاناً لشديدُ الشّكيمة إذا كان ذا جِدٍّ وعارِضة"[2].

وعليه فإنّ تصاحب لفظة (فلان) مع لفظة (شديد) ممكن الحدوث، ولكــنّ المـضاف إليــه (الشّكيمة) اعترض الجانب اللّغويّ، وأضفى على التركيب نوعاً من عدم القبول؛ لأنّ الشّكيمة مــن مستلزمات الخيل، والبغال، والحمير، وتتصاحب معها. أمّا تصاحبها مع الإنسان (فــلان شَـكيمَتُه شديدة)؛ فإنّه يمثّل نوعاً من البعد المعجميّ الذي لا يقبله الخطاب التلقائي العاديّ، وأنّ الذي ســوّغ هذا التصاحب علاقة التّشابه ــ من باب شبكة العلاقات الكنائيّة ــ فمثلما تَكْبَح الشّكيمة جماح الدّابّة وتسيطر عليها ، يواجه الإنسان الأمور ويتصدى لها بجِدٍّ وعَزْمٍ وقُــوَّة، ويكبحهــا ويــتمكن مــن السيطرة عليها. قال الفيروزأبادي (ت٨١٧هـ): "والشّكيمَةُ الأَنَفَةُ، والانْتصارُ مِنَ الظُّلْمِ، والعَهْـدُ، والشَّدُّ، والشَّبَهُ، والطَّبْعُ. وفي اللِّجامِ الحَديدَةُ المُعْتَرِضَةُ في فَمِ الفَرَس فيها الفأسُ"[3].

وممّا جاء من هذا الصنف ــ أيضاً ــ ما رواه الخليل عن أصحاب اللّغة من العرب حــول لفظة (الشَّوكَة) إذ قال: "الشَّوكَةُ، والجميعُ: الشَّوكُ. وشَــجَرةٌ شــائكَةٌ ومُـشيكةٌ، أي: ذات شَــوك، والشَّوك، ما يَنْبُت في الأرض، والواحدة بالهاء"[4]. وقال ابن فارس في السياق ذاته: "الشين والواو والكاف أصلٌ واحدٌ يدلّ على خشونةٍ وحدّةِ طرفٍ في الشَّيءِ. من ذلك الشَّوك، وهو مَعْرُوفٌ. يقال شجرةٌ شَوِكَة وشَائِكة ومُشِيكة. ويقال شاكني الشَّوكُ. وأشَكْتَ فلانًا، إذا آذيتَه بالشَّوكِ"[5]. وهذا يعني

---

(١) العين ٥/٣٠٠ (شكم).

(٢) أساس البلاغة ٥٠١.

(٣) القاموس المحيط ٤/١٣٦.

(٤) العين ٥/٣٨٩(شوك).

(٥) مقاييس اللّغة ٣/٢٢٩- ٢٣٠.

أنّ دلالة لفظة (الشَّوْكة) في أصل الاستعمال اللّغويّ كانت تدلّ على الشَّوْك المعروف الذي تخرجه بعض النباتات، وهي دلالة ماديّة محسوسة.

ولم تقف دلالة هذه اللّفظة عند هذا الحدّ من الدّلالة الماديّة بل تعدّتها عن طريق شبكة العلاقات المجازيّة إلى دلالة أخرى تجريديّة مستحدثة لتدلّ على شدّة البأس والقوة. قال الخليل:" وشَوْكَة المقاتل: شِدَّةُ بأسِه، وهو شَديدُ الشَّوْكَة"[1]. وهذا ما أكّده ابن فارس فقال: "ويُشْتَقُّ من ذلك الشَّوْكَة، وهي شِدَّةُ البأس"[2]. وقال الزمخشري في الدّلالة نفسها: "ومن المجاز... لهم شَوْكَةٌ في الحَرْبِ. وفلانٌ ذو شَوْكَةٍ. وهو شَاكُ السّلاح"[3].

وعليه فإنّ أمر الترافق بين المضاف (شوكة) والمضاف إليه (المقاتل)، في قول الخليل: (شوكة المقاتل)، غير وارد من الناحية المعجميّة، لأنّ كلمة (شوكة) يمكن أن تتصاحب معجميّاً ـــ على مستوى التركيب الإضافي ـــ مع كلمة تتعلّق بها، وتناسبها، نحو: شَوْكَةُ الشَّجَرَةِ، النَّبْتَةِ، الرُّمَّانَةِ، اللَّيْمُونَةِ، النَّبَقِ... الخ، أمّا تصاحبها على مستوى التركيب الإضافي مع المقاتل فإنّه يمثّل خرقاً واضحاً للتصاحب المعجميّ؛ لأنّ الشوكة ممّا يتعلّق بالنباتات والأشجار فقط. لكنّ أصحاب اللّغة اتجهوا إلى المجاز اللّغويّ الذي علاقته التّشابه لتسويغ هذا التصاحب. إذ إنّه لمّا كانت الشوكة تدلّ على ما يخرج من النبات والشجر دقيقاً صلباً مُحَدَّد الرأس كالإبر، جاز لنا عن طريق التّشابه ـــ من باب شبكة العلاقات الكنائيّة ـــ أن نطلق على شدّة البأس والقوة التي يتمتع بها المقاتل قولنا: (شوكة المقاتل). أي أنّ سبب انتقال دلالة هذا النمط إلى الدّلالة الجديدة كان التّشابه في

---

(١) العين ٣٨٩/٥(شوك).
(٢) مقاييس اللّغة ٢٢٩/٣- ٢٣٠.
(٣) أساس البلاغة ٥٠٩.

الصَّلابَةِ والقوَّةِ بين شَوْك النباتات والأشجار، من جهة، وشدّة بأس المقاتل وقوته، من جهة أخرى.

قال الله تعالى: ﴿ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ﴾ [الأنفال:٧].

ومن أمثلة ما رواه الخليل من هذا النوع ما ذكره حول لفظة (الصَّميم)، إذ قال: "والصَّميمُ: العَظْمُ الذي هو قِوامُ العُضْوِ مِثْلُ صَمِيمِ الوَظِيف، وصميم الرأس، ونحوهما"[١]. وقال الزمخشري في السياق ذاته: "وأصاب الصميمَ وهو العظم الذي هو قِوام العضو"[٢]. وهذا يدلّ على أنّ أصل لفظة (الصَّميم) استعمل في حقيقته للمعنى الماديّ المحسوس.

وتتبع الخليل انتقال دلالة اللّفظة عند العرب أصحاب اللّغة، فقال: "ومنه يقال: هو مِنْ صَمِيمِ قَوْمِه، أي من خالِصِهِم وأصلِهم"[١]. وهو ما ذكره الزمخشري بقوله: "ومن المجاز... هو من صَميم القوم: أصلهم وخالِصهم"[٣]. قال الشاعر[٤]:

بِمَصْرَعِنَا النُّعْمانَ يَوْمَ تَأَلَّبَتْ

علينا تَميمٌ من شَظًى وصَميمِ

ممّا يدلّ على أنّ لفظة (الصَّميم) قد انتقلت دلالتها من أصل وضعها اللّغويّ عن طريق شبكة العلاقات المجازيّة إلى دلالة معنويّة مستحدثة لتدلّ على أصل القوم وخالِصهم.

ولكنّ التصاحب بين الضّمير (هو) والجار والمجرور وما أضيف إليه غير منسجم من الناحية المعجميّة، إذ كيف يكون للقوم عَظْم يكون قِوامَهم في مَعاشِهم وأمور حياتهم؟ لكنّه لمّا كان العَظْم قِوام العُضْو وسنده، جاز لنا عن طريق التّشابه ــ من باب شبكة العلاقات الكنائيّة ــ أن نطلق على أصل القوم وخُلَّصِهم قولنا: (هو من صَميم القوم). قال البَطَلْيوسي: "والصَّميمُ مِنْ كلِّ

---

(١) العين ٧/٩٢ (صم).

(٢) أساس البلاغة ٥٤١.

(٣) المصدر نفسه ٥٤٢.

(٤) البيت دون عزو في: تهذيب اللّغة ١٢/١٢٨؛ أساس البلاغة ٥٤٢؛ لسان العرب ١٢/٣٤٧.

شيءٍ: خالِصهُ، وفلان من صَمِيمِ العربِ وصَمِيمِ العجمِ"[1]، فالعربي كان وما زال يفتخر بأصله وفَصْله، فهما عِمَاده وسَنَده.

ومن ذلك ــ أيضا ــ ما قيل في لفظة (الكَلْب)، قال الخليل: "الكَلْبُ: واحد الكِلاب، والأنثى بالهاء، وثلاثة أَكْلُبٍ وكَلَبات"[2]. قال الراغب: "الكَلْبُ: الحَيَوَانُ النَّبَّاحُ، والأُنْثَى كَلْبَةٌ، والجَمْعُ: أَكْلُبٌ وكِلابٌ، وقد يقالُ للجَمْعِ كَلِيبٌ"[3]. وجاء في المثل: "أَنْوَمُ مِنْ كَلْبٍ"[4]. وهذه هي الدّلالة الأصليّة للفظة (الكلب) قبل أن يعتريها التغيّر الدّلاليّ، وهي دلالة ماديّة محسوسة. قال الله تعالى: ﴿ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ﴾ [الكهف:١٨]. بيد أنّ هذه اللّفظة انتقلت دلالتها الماديّة المحسوسة الدالّة على الحَيَوَانِ النَّبَّاحِ إلى دلالة عقليّة مجرّدة تدلّ على الشدَّة. قال الخليل:" وكَلْبَةُ الشِّتَاءِ وكَلْبَتُه وكَلَبُهُ، أي: شِدَّتُه"[5]. قال ابن عبّاد: "ودَهْرٌ كَالِبٌ وكَلِبٌ: أَلَحَّ على أَهْلِه بِما يَسُوْؤهم، وأَصَابَهم كُلْبَةُ الزَّمَانِ وكَلَبُه: أي شِدَّته، ويقال كُلُبَةٌ أيضاً، وكَلِبَ الشِّتَاءُ كُلْبَةً وكَلَباً: اشْتَدَّ"[6]. وقد أكّد الزمخشري هذا التطوّر فقال: "ومن المجاز: نحن في كَلَبِ الشِّتَاءِ وكُلْبَتِهِ، والناس في أُلْبَةٍ وكُلْبَةٍ: في جُوعٍ وبَرْدٍ"[7].

نخلص ممّا تقدّم إلى أنّ التصاحب بين المضاف (كَلْبَة) والمضاف إليه (الشِّتَاء) غير ممكن من الناحية المنطقيّة، وأنّ كلمة (كلبة) لا تضاف إلاّ إلى كلمة تناسبها، وتتصاحب معها، كأن نقول: كَلْبَة الرَّاعِي، البَيْتِ، البُسْتَانِ، إلى آخر الألفاظ التي يمكن أن تترافق معجمياً معها. إلاّ أنّ القائل

---

(١) الفرق بين الحروف الخمسة ٧٤٩.

(٢) العين ٥/٣٧٥(كلب).

(٣) المفردات ٧٢٠.

(٤) مجمع الأمثال ٢/٣١٦.

(٥) العين ٥/٣٧٦(كلب).

(٦) المحيط في اللّغة ٦/٢٦٩.

(٧) أساس البلاغة ٨٣١.

أراد إضفاء المزيد من القوة على المعنى الذي أراده، فاتّجه إلى المجاز اللّغـويّ ليـصاحب بـين الكلمتين، فقال: (كَلْبَة الشِّتَاءِ). وقد عُدَّ هذا التصاحب انزياحاً عن المألوف؛ لأنّه لا يعقل أن يكـون للشتاء كلبة تحرسه وتحميه وتحافظ عليه، كما تحافظ على الإنسان وتحرسه وتحميه هو وممتلكاته، ولهذا فهي مما يتعلّق بخصوصية الإنسان.

وسؤالنا هو: ما الذي سوّغ لنا هذا التصاحب؟ إنّها علاقة التّشابه ـ من باب شبكة العلاقات الكنائيّة ـ إذ إنّ الكَلْبَ أو الكَلْبَة إذا كَلِبَ بِلَحْمِ بعض الناس يأخُذه شبه جنون، فإذا عقَرَ إنساناً كَلِبَ، أي: أصابه دَاءُ الكَلَبِ، فَيَعْوِي عُوَاءَ الكَلْبِ، ويمزّق ثِيَابَه ويَعَضُّ من يصيبه، وينتهي أمره إلـى أن يأخذه العُطاس فيموت من شدّة العَطَش ولا يَشْرَب[1]. قال أبو زيد الأنصاري: "ويقال بِـهِ كُـلاَبٌ وَسُلاَسٌ إذا ذَهَبَ عَقْلُهُ سُلِسَ سُلاَساً وَكُلِبَ كُلاَباً ـ وأضاف قائلاً ـ لم يَعْرِف الرّيَاشِـيّ الكُـلاَبَ والسُّلاَسَ. قال أبو الحسن: الحَرْفَانِ مَعْرُوفَانِ فقولهم كُلِبَ الرَّجُلُ إنَّما يُرِيدُونَ أنَّ عَقْلَهُ ذَهَبَ فَصَارَ كَأَنَّ بِهِ دَاءَ الكَلَبِ، وكذلك سُلِسَ الرّجل؛ يقال رجلٌ مَسْلُوسٌ ومَأْلُوسٌ إذا ذَهَبَ عَقْلُهُ"[2]. قال القاسـم ابن حنبل المري[3]:

بُنَاةُ مَكَارِمٍ وأُساةُ كَلْمٍ

دِمَاؤُهُمُ مِنَ الكَلَبِ الشِّفَاءُ

وكذلك الشِّتاء الشَّديد القاسي على الإنسان والحيوان ببرده وحدّته، فإنّه مثل الكَلْبَة الكَلِبَة؛ لأنّـه إذا اشْتَدَّ بَرْدُه، وحَدَّتْ قَسْوَتُه، صار كالكَلْبَة المَسْعُورَة، يَعْقِر من يتعرض له من الناس، فيُجمّد الدّم في عروقهم، ويقطع عنهم سبل عيشهم، ويتلف أشجارهم، ومحاصيلهم، وحيواناتهم إلى أن يصير آخر

---

(١) ينظر: العين ٣٧٥/٥(كلب).

(٢) النوادر في اللّغة ٥٦٨.

(٣) البيت في: الحيوان ٥/٢؛ وعجزه في الاشتقاق ٢١؛ المعاني الكبير في أبيات المعاني ٢٤٣/١؛ أنوار الربيع في أنواع البديع ١١٢/٦.

أمر مَنْ تصيبيه شدّة الشتاء الموت من شدة البرد والجوع. قال ابن فارس: "وفي كلامهم: ذَهَبَ كَلَبُ الشِّتاءِ، ووُجِدَ الدِّفءُ، وسَاخَ الثَّرَى، ومَأَدَ العِرقُ وأَوْرَقَ العُودُ، واختَلَفَتْ رُؤُوسُ الإبلِ، ولَفَظَتِ الأَرضُ النَّبَاتَ"(١).

ومن الألفاظ ــ كذلك ــ ما رواه الخليل عن أهل اللّغة من العرب حول لفظة (النُّضْج)، فقال: "نَضِجَ نَضْجاً ونُضْجاً، والنُّضْجُ الاسْمُ والنَّضْجُ المصدر. يقال: جادَ نُضْجُ هذا اللَّحْمُ وقد أَنْضَجَه الطّاهي، وأَتَى به وهو نَضِيْجٌ مُنْضَجٌ"(٢). قال الراغب: "يقالُ: نَضِجَ اللَّحْمُ نُضْجاً ونَضْجاً: إذا أَدْرَكَ شَيَّه"(٣). وقال ابن القطّاع: "ونَضِجَت الفَاكِهَةُ واللَّحْمُ نَضْجاً ونُضْجاً: طابا"(٤). وهذا هو الأصل في دلالة اللّفظة الحقيقيّة، وهو المعنى المراد في قوله تعالى: ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾ [النساء:٥٦]، إلاّ أنّ دلالة هذه اللّفظة قد انتقلت إلى معنى مجازي آخر، فأصبحت تدلّ على إحكام الرأي والأمر، وهي دلالة عقليّة مجرّدة. قال الخليل: "ورجُلٌ نَضِيجُ الرَّأي والأمرِ أي: مُحْكَمُه"(٥). وهذا ما أكّده ابن فارس بعد أن بيّن أصل دلالة تلك اللّفظة فقال: "ويُسْتَعار هذا فيقال: هو نَضِيجُ الرَّأي: مُحْكَمُه"(٦). وهنا نرى أنّ دلالة لفظة (النُّضْج) قد انتقلت من معناها المادّيّ المحسوس الدّال على إدراك طبخ الشّيء وطيبته، وهو المعنى الحقيقي للّفظة، إلى معنى مجازي تجريدّي لتدلّ على إحكام الرأي والأمر.

---

(١) متخيّر الألفاظ ٢٢٤.

(٢) العين ٦/٤٤(نضج).

(٣) المفردات ٨١٠.

(٤) الأفعال ٥٠٦.

(٥) العين ٦/٤٤(نضج).

(٦) مقاييس اللّغة ٥/٤٣٧.

وعليه فإنّ أمر التصاحب بين المتضايفين في قول الخليل: (نَضِيجُ الرَّأي والأمْر) لا يمكن قبوله من الناحية المنطقيّة على مستوى تركيب الإضافة. إذ كيف ينضج الرأي والأمر، وهما من الأمور المعنويّة؟ وهذا يقودنا إلى القول: إنّ لفظة (النُّضْج) ليست من مصاحبات الأمور المعنويّة، وإنّما تتصاحب مع ما هو مادّيّ محسوس، كأن نقول: نَضِيجُ اللَّحْمِ، الفَاكِهَةِ، التَّمْرِ، الثِّمَارِ، وغيرها من الألفاظ التي تترافق معها معجمياً. لكنّ القائل خالف المألوف، فقال: (نَضِيجُ الرَّأي والأمر)، حيث ابتعد دلالياً عن المصاحبة المباشرة بين المضاف (نَضِيج) والمضاف إليه (الرأي).

لذلك مثّل هذا النوع من التصاحب نوعاً من البعد المعجميّ الذي لا يقبله الخطاب التلقائي العاديّ. ولكن لمّا كان النَّضِيجُ يدلّ على بلوغ النهاية في شَيِّ الشَّيْءِ وطيبة مذاقه، جاز لنا عن طريق التّشابه ــ من باب شبكة العلاقات الكنائيّة ــ أن نطلق على إحكام الرأي والأمر قولنا: (نَضِجَ الرَّأيُ والأمْرُ)، و(الرَّجُلُ نَضِيْجُ الرَّأي والأمْر)؛ لأنّ الرأي والأمر إذا بلغا إلى درجة كبيرة مِنْ عَدَم النَّقْد والانتقاد والتجريح وصلا إلى بلوغ النهاية التي يرضى عنها الإنسان، ويقبل بها. الأمر الذي يشبه حبة الفاكهة التي إذا بلغت نهايتها استوت وطاب مذاقها. أي أنّ سبب انتقال دلالة هذه اللّفظة إلى الدّلالة الجديدة كان التّشابه في بلوغ نهاية النَّضِيْج بين اللَّحْم وأصناف الفاكهة والخضراوات، من جهة، والرأي والأمر، من جهة أخرى. قال ابن سيده: "ورَجُلٌ نَضِيج الرأي: مُحْكمه على المَثَل"(١).

وقال الخليل على لسان أهل اللّغة من العرب حول لفظة (الوَصْم): "الوَصْمُ: صَدْعٌ أو كَسْرٌ غيرُ بائنٍ في عَظمٍ ونحوِهِ، في عُودٍ وكلِّ شَيءٍ. ووُصِمَ الرُمحُ فهو موصومٌ، وهو صَدْعُ الأنبوبِ طُولاً"(٢). وهذا ما ذهب إليه ابن فارس حين قال: "الوَصْمُ: الصَّدْعُ مِنْ غَيْرِ بَيْنُونَةٍ، يقال: بهذه

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم ٣٥٦/٧.

(٢) العين ١٧٢/٧(وصم).

القَناةِ وَصْمٌ"[١]. وهذا يعني أنّ أصل الاستعمال اللّغويّ للفظة (الوَصْم) يدلّ على الكَسْر غير البائن، وهو المعنى الحقيقي للّفظة، إلاّ أنّ هذه الدّلالة قد انتقلت عن طريق المجاز الذي علاقته التّشابه إلى دلالة عقليّة مستحدثة رواها الخليل بقوله: "ورجلٌ مَوْصُومُ الحَسَب: في حَسَبه وَصْمٌ أي عيب"[٢]. وهذا ما أكّده الزمخشري بقوله: "ومن المجاز: إنّ في حَسَبِك لوَصْماً: عَيْباً"[٣]. واستدلّ على ذلك بقول الشاعر[٤]:

فإنْ تكُ جَرْمٌ ذاتَ وَصْمٍ فإنّنا

دَلَفْنا إلى جَرْمٍ بألأَمَ مِنْ جَرْمِ

يظهر لنا ممّا تقدّم أنّ ما رواه الخليل: (رجلٌ موصُومُ الحَسَب) يحمل نوعاً من اللاملاءمة بين المضاف (مَوْصُوم) والمضاف إليه (الحَسَب)؛ لأنّ كلمة (موصوم) لا تتصاحب إلاّ مع كلمة تناسبها، وتتعلّق بها، كأن نقول: مَوْصُومُ الرُّمْحِ، العُودِ، السَّهْمِ... الخ. لكنّ القائل هنا ابتعد كثيراً عن المصاحبة المباشرة معجمياً؛ لأنّه قال: (مَوْصُومُ الحَسَبِ)، إذ كيف يُوصَم الحَسَب وهو من الأمور المعنويّة، والوصْم لا يكون إلاّ لما هو ماديّ؟ الأمر الذي جعل الدّلالة بعيدة تحتاج إلى تأويل. فكأنّ القائل أراد أن يقول: إنّه لمّا كان الوَصْم يدلّ على الكسر غير البائن في الأشياء المادّيّة ممّا يؤدي إلى عيبها وضَعْفِ تَمَاسُكِها، جاز لنا عن طريق التّشابه ـ من باب شبكة العلاقات الكنائيّة ـ أن نطلق على مَنْ كان في حَسَبِهِ عيبٌ قولنا: (رَجُلٌ مَوْصُومُ الحَسَبِ)؛ لأنّ مَنْ كان في حسبه عيبٌ يُضْعِفه، ويُذِلّه، ويُسْقِطه مِنْ أعين الناس، وهذا ما يشبه وَصْم الرُّمْح، وغيره. فتحت

(١) مجمل اللّغة ٧٥٣.

(٢) العين ١٧٣/٧(وصم).

(٣) أساس البلاغة ١٠٢٥.

(٤) البيت دون عزو في: مقاييس اللّغة ١١٧/٦؛ مجمل اللّغة ٧٥٣؛ لسان العرب ٦٣٩/١٢.

عنوان (باب الرُّذَالِ والذُّنابَى وَالدِّعْوَةِ) يقول ابن فارس: "وَفُلانٌ ضَئِيلُ الحَسَبِ، مُلْصَقٌ، مَأشُــوبٌ، مَوصُومٌ"[1]. أي أنّ سبب انتقال دلالة لفظة (الوصم) إلى الدّلالة الجديدة كان التّشابه في العَيْب بين الرُّمْحِ والسَّهْمِ والعُوْدِ من جهة، والحَسَبِ من جهة أخرى. قال ابن السّكّيت: "وما في حَسَبِ فُــلاَنٍ قُرَامَةٌ، ولا وَصْمٌ وهو العَيْبُ"[2].

من خلال أمثلة هذا الفصل، نلاحظ أنّ الإضافة باب آخر من أبواب التوسّع الــدلالي فــي اللّغة العربيّة، يفتح لأبنائها أفقاً واسعاً رحباً كي يلبوا ما يدور في خلدهم، ويتعاملوا مع ما يجــري حولهم. وذلك من خلال عمليّة انزياح التراكيب اللّغويّة التي يقومون بها، ويتلاعبون فيها ـــ علــى مستوى اللّغة الفنيّة ـــ فتصبح تلك التراكيب كاذبة غير معقولة وغير متوقعة، وربّما قد تصل إلــى نقطة مسدودة تصعب معها عمليّة التأويل.

وهناك أمثلة أخرى يمكن الرجوع إليها في أماكنها لمَنْ طلب الاستزادة[3].

(١) متخيّر الألفاظ ١٣١.

(٢) تهذيب الألفاظ ٢٦٥.

(٣) ينظر: الملحق (٥) في آخر الرسالة.

الخاتمة

رأينا في هذا البحث عمليّتي صراع بين عناصر اللّغة داخل التركيب اللّغوي، الأولى: عمليّة صراع رأسيّة أطلق عليها العلاقات التقابليّة العموديّة، والأخرى: عمليّة صراع أفقيّة قامت بين الألفاظ في تسلسلها، وتتابعها، وتآلفها في سلسلة الكلام كخط مستقيم، أطلق عليها العلاقات التسلسليّة الأفقيّة، وهي موضوع بحثنا.

واللّغة العربيّة تتوسّع دلاليّاً من خلال التركيب الإسنادي سواء أكان الاسمي أم الفعلي، إذ يقتضي قانون اللّغة أن يكون المسند ملائماً للمسند إليه في كلّ جملة إسناديّة. لكن قد يخرق أبناء اللّغة هذا القانون ــ على مستوى اللّغة الفنيّة ــ فتصبح الجملة كاذبة قد تصل إلى نقطة غير مفهومة وغير معقولة وغير متوقعة أبداً، عندها تصبح الجملة بحاجة إلى تفسير.

وللفضلات دور كبير في التوسّع الدّلالي في اللّغة العربيّة، إذ يحكم المفعول به ــ الفضلات بشكل عام ــ قانون الملاءمة (التجانس) اللّغوي مع الفعل والفاعل في التركيب، لكن قد يحصل انزياح لهذا القانون ــ على مستوى اللّغة الفنيّة ــ يؤدي إلى امتداد دلالي أوسع يحتاج إلى توضيح، وربّما يصل الانزياح إلى درجة شذوذ الاستعمال ، عندها لابدّ من استرجاع الموقف اللّغوي لتغليب الرأي. أمّا الوصف فإنّه يفتح فضاءات واسعة في شتّى الأصناف الأدبيّة واللّغويّة.

ومن أبواب التوسّع الدّلالي في اللّغة العربيّة باب الإضافة، لما يتمتّع به المتضايفان من علاقة قويّة قد يخرقها أبناء اللّغة ــ على مستوى اللّغة الفنيّة ــ ممّا يؤدي إلى انزياح العلاقة فيما بينهما قد تصل إلى درجة عدم القبول والفهم، حتى تصبح بحاجة إلى تأويل.

أمّا علاقات التّشابه فإنّها من العلاقات المسوّغة لانتقال الدلالة من مجال إلى آخر في العلاقات التسلسلية الأفقيّة، وقد تضمنت المادة اللّغويّة في معجم العين علاقات التّشابه التالية:

١. علاقة التّشبيه البليغ.

٢. علاقة الاستعارة (المكنيّة والتصريحيّة).

٣. علاقة الكناية عن صفة.

فالاستعارة تمثل عماد الانزياح الاستبدالي الذي يتعلّق بجوهر المادة اللّغويّة. أمّا شبكة العلاقات الكنائيّة فأثرها واضح في انتقال الدلالة، وإنتاج الدلالات الجديدة التي لا يمكن الوصول إليها إلا عن طريق إعمال العقل الذي يربط بين المعنى المعجمي لمفردات التركيب الكنائي، والمعنى الجديد الذي آل إليه.

الملاحق اللّغويّة

ملحق (١)

المادة اللّغويّة	الجزء/ الصفحة
أذن	١٩٩/٨
أرز	٣٨٣/٧
أرى	٣٠٢/٨
أصل	١٥٦/٧
أفر	٢٨٢/٨
بثر	٢٢٣/٨
بسط	٢١٧/٧
بلي	٣٣٩/٨
بول	٣٣٨/٨
تلع	٧٠/٢
تيع	٢٢٦/٢
ثفر	٢٢٠/٨
جلو	١٨٠/٦
جيش	١٥٨/٦
حضن	١٠٥/٣
حفز	١٦٤/٣
حلف	٢٣١/٣
خذم	٢٤٦/٤
خم	١٤٧/٤
دق	١٨/٥
ذرو	١٩٣/٨
رتج	٩١/٦
رجل	١٠١/٦
رفث	٢٢٠/٨

المادة اللّغويّة	الجزء/ الصفحة
رنو	٢٧٤/٨
روغ	٤٤٥/٤
زلج	٦٩/٦
ستر	٢٣٦/٧
سع	٧٤/١
سقف	٨٢/٥
سك	٢٧٢/٥
سل	١٩٢/٧
سور	٢٨٩/٧
شرع	٢٥٢/١
صدى	١٣٩/٧
صلو	١٥٣/٧
صنو	١٥٨/٧
صون	١٥٧/٧
طلق	١٠١/٥
عد	٧٩/١
عر	٨٥/١
عسق	١٣٠/١
عصب	٣٠٨/١
عصر	٢٩٢/١
عصف	٣٠٦/١
عقب	١٧٨/١
عقد	١٤٠/١
قد	١٦/٥

المادة اللّغويّة	الجزء/ الصفحة
قرف	١٤٦/٥
قزع	١٣٢/١
قص	١٠/٥
قصب	٦٧/٥
قطع	١٣٥/١
قعر	١٥٥/١
كش	٢٦٩/٥
لبق	١٣٧/٥
لحد	١٨٢/٣
لذع	٩٩/٢
لوص	١٥٦/٧
مزع	٣٦٨/١
مور	٢٩٢/٨
نبض	٤٩/٧

المادة اللّغويّة	الجزء/ الصفحة
نشج	٣٧/٦
نض	١١/٧
نضل	٤٢/٧
نضو	٥٨/٧
نظم	١٦٥/٨
نعش	٢٥٨/١
نمل	٣٢٩/٨
هبل	٥٣/٤
هدر	٥٣/٤
هر	٣٥٠/٣
هرط	١٨/٤
وهج	٦٦/٤
يدي	١٠١/٨

ملحق (٢)

المادة اللّغويّة	الجزء/ الصفحة
أبد	٨٥/٨
أبر	٢٩٠/٨
أبي	٤١٨/٨
أزم	٣٩٥/٧
أسن	٣٠٧/٧
أوب	٣١٦/٨
أوق	٢٤٠/٥
بج	٢٦/٦
بحر	٢١٩/٣
برح	٢١٥/٣
برد	٢٧/٨
برق	١٥٥/٥
بزو	٣٩١/٧
بضع	٢٨٥/٣
بطح	١٧٤/٣
بل	٣١٩/٨
ترب	١١٦/٨
ثعلب	٣٤٠/٢
ثلج	٩٨/٦
جرس	٥١/٦
جمد	٨٩/٦
جنح	٨٣/٣
حبو	٣٠٨/٣
حرد	١٨٠/٣

المادة اللّغويّة	الجزء/ الصفحة
خدر	٢٢٨/٤
خرع	١١٧/١
خضر	١٧٥/٤
خيس	٢٨٧/٤
دحض	١٠١/٣
دسّ	١٨٥/٧
دعو	٢٢١/٢
دنر	٢٢/٨
ذرب	١٨٣/٨
ربس	٢٥٢/٧
رجل	١٠١/٦
رعد	٣٣/٢
رمد	٣٨/٨
روي	٣١١/٨
سجل	٢٦٦/٧
سري	٢٩١/٧
سطر	٢١٠/٧
سلخ	١٩٨/٤
سن	١٩٦/٧
سنح	١٤٥/٣
شخص	١٦٥/٤
شص	٢١١/٦
شوك	٣٨٩/٥
شيط	٢٧٥/٦

ملحق (٣)

المادة اللّغويّة	الجزء/ الصفحة
بتل	١٢٤/٨
برد	٢٧/٨
بزق	٩٣/٥
بعج	٢٣٦/١
بعق	١٨٣/١
بلي	٣٣٩/٨
بيت	١٣٨/٨
ثلج	٩٨/٦
جدر	١٧٨/٣
جذب	٩٥/٦
جرس	٥١/٦
جزم	٧٣/٦
جزي	١٦٤/٦
جمل	١٤١/٦
حرق	٤٤/٣
حط	١٣٦/٤
حقن	٥٠/٣
حنك	٦٤/٣
خرق	١٤٩/٤
خنع	١٢١/١
خيط	٢٩٣/٤
دخ	١٣٨/٤
بتل	١٢٤/٨
برد	٢٧/٨

المادة اللّغويّة	الجزء/ الصفحة
در	٦/٨
درهم	١٢٥/٤
دعو	٢٤٠/٢
دنق	١١٨/٥
ذيل	١٩٧/٨
ربك	٣٦٦/٥
رتع	٦٧/٢
رجل	١٠١/٦
رسو	٢٩٠/٧
رعو، رعى	٢٤٠/٢
رفل	٢٦٣/٨
رهق	٣٦٦/٣
رهن	٤٤/٤
ريش	٢٨٣/٦
زرع	٣٥٣/١
زعق	١٣٣/١
عضو	٢٦٨/١
در	٦/٨
درهم	١٢٥/٤
دعو	٢٤٠/٢
دنق	١١٨/٥
ذيل	١٩٧/٨
ربك	٣٦٦/٥
رتع	٦٧/٢

ملحق (٤)

المادة اللّغويّة	الجزء/ الصفحة
أوز	٣٩٨/٧
بجس	٥٨/٦
بذر	١٨٢/٨
بشع	٢٦٦/١
بطن	٤٤٠/٧
بظر	١٥٩/٨
بلج	١٣٣/٦
بهم	٦٢/٤
تأق	١٩٩/٥
ثرّ	٢١١/٨
ثقب	١٣٩/٥
ثمر	٢٢٣/٨
جذّ	٢٢/٣
جزل	٦٧/٦
جسد	٤٧/٦
جعد	٢١٨/١
جفر	١١٠/٦
جلي/جلو	١٧٩/٦
حسر	١٣٣/٣
حقب	٥٢/٣
حلس	١٤٢/٣
حن	٢٩/٣
حوش	٢٦١/٣
خدع	١١٥/١

المادة اللّغويّة	الجزء/ الصفحة
خذم	٢٤٦/٤
خشع	١١٢/١
خشن	١٧٠/٤
خفض	١٧٨/٤
خلع	١١٨/١
خلق	١٥١/٤
خوص	٢٨٥/٤
درأ	٥٩/٨
دعس	٣٢٣/١
دفق	١٢٠/٥
دكّ	٢٧٤/٥
ذفّ	١٧٧/٨
ذمّ	١٧٩/٨
ربض	٣٥/٧
فرض	٢٨/٧
رسب	٢٥٠/٧
رفل	٢٦٣/٨
زلج	٦٩/٦
زلق	٩٠/٥
سجو	١٦١/٦
سدر	٢٢٤/٧
سلق	٧٦/٥
سلّ	١٩٢/٧
سملق	٢٥٤/٥

المادة اللّغويّة	الجزء/ الصفحة
سهمج	٤/١١٥
شجو	٦/١٥٦
شرد	٦/٢٤١
شغر	٤/٣٥٨
شفه	٣/٤٠٢
شمر	٦/٢٦١
شمس	٦/٢٣٠
شمط	٦/٢٤٠
شيب	٦/٢٩١
صرد	٧/٩٧
صلت	٧/١٠٥
صلق	٥/٦٣
صمّ	٧/٩١
ضبّ	٧/١٤
ضبط	٧/٢٣
ضرب	٧/٣٠
ضرج	٦/٤١
ضلّ	٧/٨
ضمر	٧/٤١
ضوج	٦/١٥٩
طبي	٧/٤٦٠
طثر	٧/٤١١
طمس	٧/٢٢١
طير	٧/٤٤٧
طير	٧/٤٤٧
سهمج	٤/١١٥

المادة اللّغويّة	الجزء/ الصفحة
ظمأ	٨/١٧٣
عتل	٢/٦٩
عشب	١/٢٦٢
علف	٢/١٤٤
لهم	٤/٥٦
فشغ	٤/٣٦٠
فلز	٧/٣٦٨
قبص	٥/٦٩
قتل	٥/١٢٧
قحف	٣/٥١
قحل	٣/٤٦
قذر	٥/١٣٣
قذف	٥/١٣٥
قرد	٥/١١٤
قرص	٥/٦١
قرضب	٥/٢٤٦
قرع	١/١٤٤
قشب	٥/٤٥
قصم	٥/٧٠
قعس	١/١٣٠
قمل	٥/١٧٥
قوس	٥/١٨٨
قوم	٥/٢٣١
كبد	٥/٣٣٣
كبو	٥/٤١٦
فشغ	٤/٣٦٠

ملحق (٥)

المادة اللّغويّة	الجزء/ الصفحة
آف	٤١٠/٨
أمم	٤٢٦/٨
بضع	٢٨٥/١
بيض	٦٨/٧
توب	١٣٨/٨
ثمر	٢٢٣/٨
جلى	١٧٩/٦
جنب	١٤٦/٦
حجر	٧٣/٣
حرب	٢١٣/٣
حرث	٢٠٥/٣
حصى	٢٦٧/٣
حقر	٤٣/٣
خلم	٢٧٤/٤
دأب	٨٥/٨
دفأ/دفو	٨٠/٨
دثر	٢٢/٨
دوم	٨٦/٨
ذكر	٣٤٦/٥
ذنب	١٩٠/٨
ذيل	١٩٧/٨
ربض	٣٥/٧
ربق	١٥٧/٥
رخم	٣٨/٧
ردي	٦٧/٨
رع	٨٧/١
رم	٢٦٠/٨
رود	٦٣/٨
سبط	٢١٨/٧
سقف	٨١/٥
سكر	٣٠٩/٥
سلب	٢٦١/٧
سن	١٩٦/٧
شحم	١٠٠/٣
شرس	٢٢٨/٦
شيع/شوع	١٩٠/٢
صبغ	٣٧٤/٤
صرف	١٠٩/٧
صفو	١٦٢/٧
ضأن	٦١/٧
طرق	٩٦/٥
طلق	١٠١/٥
طمح	١٧٦/٣
عجس	٢١٣/١
عجم	٢٣٧/١
عق	٦٣/١
عقب	١٧٨/١
عقبل	٣٠١/٢

المادة اللّغويّة	الجزء/ الصفحة
علو	٢/٢٤٥
عمد	٢/٥٧
عوى	٢/٢٧٠
فتح	٣/١٩٤
قوم	٥/٢٣١
كبد	٥/٣٣٢
كبس	٥/٣١٥
كهر	٣/٣٧٦
لدم	٨/٤٦
مزق	٥/١٤٧
موت	٨/١٤٠

المادة اللّغويّة	الجزء/ الصفحة
ندى	٨/٧٧
نسخ	٤/٢٠١
نضد	٧/٢٣
نفذ	٨/١٨٩
ودق	٥/١٩٨
وذر	٨/١٩٦
وسم	٧/٣٢١
وصم	٧/١٧٢
وعر	٢/٢٤١
وقد	٥/١٩٧
يدي	٨/١٠١

الفهارس الفنيّة

فهرس الآيات

الآية	رقم الآية	السورة	رقم الصفحة
وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ	٢٢	البقرة	٧٤
وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ	٢٦	البقرة	١٠٥
وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ	٤٣	البقرة	٢٠
لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا	١٠٤	البقرة	١٤٧
نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ	٢٢٣	البقرة	٣٥
كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ	٢٦١	البقرة	١٨١
فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا	٢٦٤	البقرة	١٥٢
وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ	٤٦	النساء	٥٥
كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا	٥٦	النساء	١٩٩
مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ	٧٩	النساء	٢٠
وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا	٦	الأنعام	٦٦
وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ	٣٨	الأنعام	١٧٣
وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ	١٢٦	الأنعام	٤٦
ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ	١٤٣	الأنعام	١٥٤
حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا	١٨٩	الأعراف	١٩٢
وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ	٧	الأنفال	١٩٦
لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ	٢٧	الأنفال	٦٥

الآيـة	رقم الآية	السورة	رقم الصفحة
فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ	٥	التوبة	١٠٢
وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ	١٢	التوبة	٥٥
وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ	٢٥	التوبة	١٤٩
عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ	١٠٩	التوبة	١٤٣
لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ	٤	يونس	١٠٤
قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ	٨٠	هود	١٦٧
فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ	١٩	يوسف	٨٠
إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ	٢٦	يوسف	١٣٩
وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ	٢٧	يوسف	١٣٩
ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ	٤٩	يوسف	١٤٦
وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ	١٢	الرعد	١٣٢
فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ	١٨	إبراهيم	١٢٨
وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ	٤٣	إبراهيم	٣٩، ٤٠
وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ	٢٢	الحجر	٥٣
فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ	٩٤	الحجر	٥٤
وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً	٨	النحل	١٠١
وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ	٦٦	النحل	٦٨

الآية	رقم الآية	السورة	رقم الصفحة
وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ	١٣	الإسراء	١٧٣
وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا	٢٦	الإسراء	٣٤
إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ	٢٧	الإسراء	٣٤
وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا	٢٩	الإسراء	١٩٠
وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ	١٨	الكهف	١٩٧
وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا	٤٧	الكهف	٧٧
تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا	٢٥	مريم	٩٤
فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ	١٢	طه	١٧٨
كُلُواْ وَٱرْعَوْاْ أَنْعَٰمَكُمْ	٥٤	طه	٩٩
يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ	١٠٢	طه	١٤٢
كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ	٣٣	الأنبياء	٦٩
يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ	١٠٤	الأنبياء	١١٧
وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا	٧٣	الحج	١٧٠
أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا	٤٣	النور	١٣٢
فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا	٤	الفرقان	١٨
وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ	٧	الفرقان	١٨٧
حَتَّىٰ نَسُواْ ٱلذِّكْرَ وَكَانُواْ قَوْمًۢا بُورًا	١٨	الفرقان	١٥٧

الآية	رقم الآية	السورة	رقم الصفحة
وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ	١٧	النمل	١٧٣
فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ	٦٥	العنكبوت	١٠١
يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ	٤٣	الروم	٣٨-٣٩
يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا	٤٨	الروم	٥٣
سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ	١٩	الأحزاب	١١٤
وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ	٢٨	سبأ	١٢٥
وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ	٣٧	يس	١٠٢
مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ	٩٢	الصافات	١٤٠
فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ	٥٤	الزخرف	١٩٢
ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ	٤٩	الدخان	١١٢
هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ	٢٩	الجاثية	١٤١
سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ	٢٩	الفتح	٤٨
مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ	١٨	ق	٤٣
وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ	٣٤	النجم	١٩
وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ	١٣	القمر	٢٠
إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا	١٩	القمر	٥٣
يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ	٣٥	الرحمن	١٩
وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ	٥٤	الرحمن	٩٤

الآية	رقم الآية	السورة	رقم الصفحة
فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ	٢٨	الواقعة	٩٥،٩٦
وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ	١٤	الحاقة	٩٧
يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا	١١	نوح	٦٦
وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا	١٧	نوح	٥٧
ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ	٢٢	المدثر	١٣٧
يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا	١٠	الإنسان	١٣٧
زَمۡهَرِيرٗا وَلَا شَمۡسٗا فِيهَا يَرَوۡنَ لَا	١٣	الإنسان	١٩
وَدَانِيَةً عَلَيۡهِمۡ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتۡ قُطُوفُهَا تَذۡلِيلٗا	١٤	الإنسان	٨٨
وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا	٢١	الإنسان	١٠٤
عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ	١	عبس	١٣٧
وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ	٣٨	عبس	١٦٠
مَّآءٖ دَافِقٖ	٦	الطارق	١١١
لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى	١٥	الليل	٨٢
ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ	١٦	الليل	٨٢
إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرٗا	٦	الشرح	٢٠
فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ	٧	الزلزلة	٢٠
وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ	٨	الزلزلة	٢٠
وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ	١	الهمزة	٢٠

الآية	رقم الآية	السورة	رقم الصفحة
وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ	٣	الفيل	٢٠
فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ	٢	الكوثر	٥٩

فهرس الأحاديث

الحديث	رقم الصفحة
"لَعَنَها اللهُ فإنَّها لا تُبالي مَنْ ضَرَبَت!"	١٧٧
" كُلُّكُم رَاعٍ، وكُلُّكُم مَسؤول عن رَعِيَّتِهِ"	١٠٠
"يَتْبَعُ المَيِّتَ ثَلاثَةٌ، فَيَرْجِعُ اثنَان ويَبقَى واحِدٌ، يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ"	١٧٤

فهرس الأمثال

المثـــــــل	رقم الصفحة
"إنّه نَسِيجُ وَحْدِهِ"	٦٠
"ثار ثائرُه"	٧٦
"كَادَتِ الشَّمسُ تكُونُ صِلاءً"	٨٢
"لاَ تَجْنِ مِنَ الشَّوْكِ العِنَبَ"	٩٤
"مَقْتَلُ الرَّجُلِ بَيْنَ فَكَّيْهِ"	١٠٦
"أنْوَمُ مِنْ كَلْبٍ"	١٩٧

فهرس الأشعار

بيت الشعر	الشاعر	رقم الصفحة
ألا أبْلِــغ أبا سُفيــانَ عَنّي فأنْتَ مُجَــوَّفٌ نَخِبٌ هَــــواءُ	حسّان بن ثابت	٤٠
فَصَحَوْتَ عَنها بَعْدَ حُبٍّ داخِلٍ والحُبُّ تُشْــرِبُهُ فُؤادَك داءُ	زهير بن أبي سلمى	١٠٥
بُنــاةُ مَكَــارِمٍ وأُسَــاةُ كَلْمٍ دِمَــاؤُهُمُ مِنَ الكَلَــبِ الشِّفَاءُ	القاسم بن حنبل المرّي	١٩٨
لا بَلْ هو الشّوقُ مِنْ دارٍ تَخَوّنَها مَرّاً سَحَابٌ ومَرّاً بارِحٌ تَرِبُ	ذو الرمّة	٦٥
كأنّــها دَلْوُ بئرٍ جَدَّ ماتِحُــها حتى إذا ما رآهَا خَانَهُ الكَرَبُ	ذو الرمّة	٨٠
وقد أغتدي قَبلَ العُطاسِ بِسابِحٍ أقَبَّ كيَعفُورِ الفَــلاةِ مُحَنَّــبِ	امرؤ القيس	٥٦
جَانِيكَ مَنْ يَجْني عَليكَ وقَدْ تُعْدِي الصِّحاحَ فَتَجْرَبُ الجُرُبُ	–	٩٤
وكُلُّكُمُ قد نَــالَ شِبْــعاً لِبَطْنِه وشِبْعُ الفتى لُؤْمٌ إذا جَاعَ صَاحِبُهْ	–	١٠٣
ويُدْعَى ابن مَنْجُوف أمَامِي كَأنَّهُ خَصِيٌّ أتَى للمَاءِ مِنْ غَيْرِ مَشْرَبِ	–	١٠٤
أمْ دمنةٌ نَسَفَتْ عنها الصَّبا سُفَعاً كما تُنَشَّــرُ بعد الطِّيَّةِ الكُتُبُ	ذو الرمة	١١٦
بلادٌ بها عَقَّ الشبابُ تَميمَتـــي وأولُ أرضٍ مَسَّ جِلْدِي تُرابُها	–	١٢٠
يا هِنْــدُ لا تَنْــكِحِي بُــوهَةً عَــلَيْه عَقِيقَــتُه أحْسَــبَا	امرؤ القيس	١٢٠
وَخَوتْ جِرْبَةُ النُّجومِ فَمَا تَشْـ ـرَبُ أرْوِيَّةٌ بِمَرْيِ الجَنُــوبِ	الأعشى	١٣١
وحَائِلٍ مِنْ سَفِيرِ الحَوْلِ جَائِلُهُ حَوْلَ الجَرَاثِيمِ في ألوَانِهِ شُهَبُ	ذو الرمّة	١٦٠
قَوْمٌ هُمُ الأنْفُ، والأذْنابُ غَيْرُهُمُ ومَنْ يُسَــوِّي بأنْفِ النَاقَةِ الذَّنَبا	الحطيئة	١٨٤
خَيْرُ دَلاَةٍ نَهَلَ دَلاَتِيْ	–	٨٠
قَاتِلَتِي وَمِلْؤهَا حَيَاتِيْ	–	٨٠

بيت الشعر	الشاعر	رقم الصفحة
في صَحْنِ بَهماءَ يَهْتِفُ السَّمَامُ بها في قَرْقَرٍ بلُعَابِ الشَّمْسِ مَضْرُوجِ	ذو الرمة	١٧٠
مِنَّا الخَراطِيمَ ورَأْساً عُلَّجا	العجّاج	١٨٣
وبَركٍ هُجُودٍ قد أثارتْ مَخَافَتي نَوادِيها أمْشي بِعَضْبٍ مجرّد	طرفة بن العبد	٧٠
ألا يا قَتْلَ قَدْ خَلُقَ الجَـديدُ وَحُبُّكِ ما يَمحُّ وَما يَبيدُ	الأعشى	١١٠
أضَـاءَ مِظَلَّتَـهُ بالسِّـرا جِ واللَّيلُ غَامِرُ جُدَّادِهَا	الأعشى	١٢٣
قد تَيَّمَتْني طَفْلَـةٌ أمْلُـودُ	–	١٨٨
بِفَاحِـمٍ زَيَّنَـهُ التَّجْعِيـدُ	–	١٨٨
مَا قَـابِضُ الكَفَّينِ إلاّ جَـعْدُ	–	١٨٩
فَرَاغَ وقَدْ نَشِبَتْ في الزِّما عِ واستَحْكَمَتْ مثلَ عَقْدِ الوَتَرْ	أبو ذؤيب الهذلي	٣٨
... ... لَسْتَ بالفَاني ولا كَلِّ الظُّفُرْ	طرفة بن العبد	٤٦
بِمُستَأسِدِ القُرْيَـانِ حُوٍّ نَبَاتُهُ فَنُوَّارُهُ مِيلٌ إلى الشَّمسِ زَاهِرُه	الحطيئة	٥٢
ولا يُنْجِـي مِنَ الغَمَراتِ إلاّ بُرَاكَاءُ القِتَالِ أو الفِرَارُ	بشر بن أبي خازم	٧١
تَزَادُ لَيَـالـيَّ في طُولِـها فليسَتْ بطَلْقٍ ولا سَاكِرهْ	أوس بن حجر	٥٢
أرْعَى النُّجُومَ ومَا كُلِّفْتُ رِعْيَتَها وَتَارَةً أتَغَشَّى فَضْلَ أطْمَارِي	الخنساء	١٠٠
خُذِلْـتُ على لَيْلَةٍ سَـاهِرَهْ بِصَحْرَاءَ شَرْجٍ إلى نَاظِرَهْ	أوس بن حجر	١٢٨
سُمْشٌ مَوَانِعُ كُلَّ لَيْلَةِ حُرَّةٍ يُخْلِفْنَ ظَنَّ الفَاحِشِ المِغْيَارِ	النابغة الذبياني	١٣٢
تَقُـولُ بُثَيْنَـةُ لَـمَّا رَأتْ فُنُوناً مِنَ الشَّعَرِ الأحْمَرِ	جميل بثينة	١٣٤
أرْعَنَ جَرَّارٍ إذا جَرَّ الأثَرْ	العجّاج	١٤٩

بيت الشعر		الشاعر	رقم الصفحة
كَمَا أَرْشَقَتْ مِنْ تَحْت أَرْطَى صَرِيمَةٍ	إلى نَبْأةِ الصـــوتِ الظِّبَاءُ الكَوَانِــسُ	ذو الرمّة	٩٨
وذَاكَ أَوَانُ العِرْضِ جُنَّ ذُبَابُهُ	زَنَابِيرُهُ وَالأَزْرَقُ المُتَلَمِّسُ	المتلمس الضبعي	١٦٥
يُنْحَتُ مِنْ أَقْطَـاره بفَـأسِ		العجّاج	٧٨
مِنْ أَرْضِيه إلى مَقِيلِ الحِلْسِ		العجّاج	٧٨
وما نَجا مِنْ حَشْرِها المَحْشُوشِ	وَحْشٌ ولا طَمْشٌ مِنَ الطُمُوشِ	رؤبة بن العجّاج	٧٧
كِــلا أبَوَيْكُمْ كان فَرْعاً دِعامَةً	ولكنّهم زَادُوا وأَصْبَحْتَ نَاقِصاً	الأعشى	١٨٥
فما تَنْفَــكُّ بَيْنَ عُوَيْرِضَــاتٍ	تَمُدُّ بِرَأْسِ عِكْرِشَــةٍ زَمُوعِ	الشمّاخ	٣٨
فكَــأَنّـــهُنَّ رِبَابَةٌ وكَــأَنَّهُ	يَسَرٌ يُفِيضُ على القِدَاحِ ويَصْدَعُ	أبو ذؤيب الهذلي	٥٤
كأنَّ أَتِيَّ السَّيْلِ مَدَّ عليـــهمُ	إذا دفعَتْهُ في البَدَاحِ الجَرَاشِعُ	أسامة بن حارث الهذلي	٦٣
رَضِيتِ بأَدْنَى عَيْشِنا وحَمِدْتِنا	إذا صَدَرَتْ عَنْ قَارِصٍ ونَقِيعِ	لبيد	١٥٧
ونادى بِهِ ماءٍ إذا ثار ثورةً	أُصَيْبِحُ أعلى نُقْبَةِ اللَّونِ أَطْرَقُ	ذو الرمة	٧٦
ولَقَدْ يَروعُ قُلُوبَهُنَّ تَكَلُّمِــي	ويَرُوعُني مُقَلُ الغَزَالِ المُرْشِقِ	القطامي	٩٨
فتُوضِحَ فالمِقْراةِ لم يَعْفُ رَسْمُها	لِما نَسَجَتْها من جَنُوبٍ وشَمْــأَلِ	امرؤ القسي	٦١
يَبْدَحْنَ في أَسْؤُقٍ خُرْسٍ خَلاخِلُها	مَشْيَ المِهارِ بِمَاءٍ تَتَّقِي الوَحَلا	—	٦٤
جُنُــوحَ الهَــالكيِّ عَلَى يَدَيْــهِ	مُكِبًّا يَجْتَلِــي نُقَبَ النِّصَــالِ	لبيد	١٠٨
خَرَجْتُ بِهَا أَمْشِــي تَجُرُّ وَرَاءَنَا	عَلَى أَثَرَيْنا ذَيْلَ مِرْطٍ مُرَحَّلِ	امرؤ القيس	٩٥

بيت الشعر	الشاعر	رقم الصفحة
ولقد أبيتُ على الطَّوى وأظلّهُ ... حتى أنالَ بِهِ كَريمَ المأكَلِ	عنترة	١٢٠
مِسَحٌ إذا ما السَّابحَاتُ على الوَنَى ... أثرْنَ الغُبارَ بالكَديدِ المُركَّلِ	امرؤ القيس	١٥٠
تَرَى العَبَسَ الحَوليَّ جَوْناً بكُوعِها ... لها مَسَكاً مِنْ غيرِ عَاجٍ ولا ذَبْلِ	جرير	١٣٧
فرَمَيْتُ غَفْلَةَ عَينِه عن شَاتِهِ ... فأصَبْتُ حَبَّةَ قَلْبِها وَطِحَالَها	الأعشى	١٨٢
يُثِرن الحَصَا حتى يُبَاشِرْن بَرْدَه ... إذا الشَّمس مَجَّتْ رِيقَها بالكَلاكلِ	النابغة الذبياني	١٧١
تَرَى سَيْقَه لا يَنْصُفُ السَاقَ نَعْلُه ... أجَلْ لا وإنْ كانت طِوالاً مَحَامِلُهْ	ذو الرمة	١٧٨
كأنَّ في أذنابِهِنَّ الشُّولِ	أبو النجم	١٣٦
مِنْ عَبَسِ الصَّيْفِ قُرُونَ الأيَّلِ	أبو النجم	١٣٦
لأفراسِه يَوْماً على الدَّرْبِ غارةٌ ... تُصَلْصِلُ في أشْداقِهِنَّ الشَّكَائمُ	القطامي	١٩٣
بِمَصْرَعِنا النُّعْمانَ يَوْمَ تألَّبَتْ ... علينا تَميمٌ من شَظًى وصَمِيمِ	–	١٩٦
فأصبَحْتُما مِنها على خَيْرِ مَوطِنٍ ... بعيدَينِ فيها عن عُقوقٍ ومأثَمِ	زهير بن أبي سلمى	١٢٢
هَل الحَدَثُ الحَمْراءُ تَعْرِفُ لَونَها ... وتَعْلَمُ أيُّ السّاقِيَيْنِ الغَمائمُ	المتنبي	١٣٤
سَقَتْها الغَمامُ الغُرُّ قَبْلَ نُزُولِهِ ... فلمّا دَنا مِنْها سَقَتْها الجَماجِمُ	المتنبي	١٣٥
... ... تَكادُ تَنْقَدُّ منهُنَّ الحَيَازيمُ	ذو الرمة	١٣٩
عَجِبْتُ لها أنّى يكونُ غِناؤُها ... فَصِيحاً ولم تَفْغَرْ لِمَنْطِقِها فَما	حميد بن ثور	١٤٠
أو مُذْهَبٌ جُدَدٌ عَلى ألْواحِهِ ... النّاطِقُ المَبْرُوزُ والمَخْتُومُ	لبيد	١٤١
لَعِبَتْ عَلَى أكْتافِهِم وحُجُورِهِمْ ... وليداً وسَمَّوني مُفيداً وعَاصِماً	لبيد	١٧٠
فإنْ تَكُ جَرْمٌ ذاتَ وَصْمٍ فإنَّنا ... دَلَفْنا إلى جَرْمٍ بألأمَ مِنْ جَرْمِ	–	٢٠١

بيت الشعر	الشاعر	رقم الصفحة
لَوْلاَ ابن عُتْبَة عَمْرٍو والرَّجاءُ لَهُ ما كانَتِ البَصرَةُ الرَّعْنَاءُ لِي وطَنا	ـ	١٤٨
لمّا رَأَتْنِي خَلَقَ المُمَوَّهِ بَرَّاق أصلادِ الجَبينِ الأجْلَهِ	رؤبة بن العجاج	١٥٢
وصَاحبٍ قد طَوَى كَشْحاً فَقُلْتُ لَهُ إنّ انْطِواءَك هذا عَنْك يَطْوِينِي	ـ	١١٧
وَصَالِيَاتٌ للصَّلا صُلِيُّ	العجّاج	٨١
جمعت حروف النداء وكلّ الذي علمتني المدائح كيما أفوز بعطف الجموع ندى في لعاب العطايا / مقطوعة شعريّة	حكمت النوايسة	٢٦

جريدة

المظان والأصول

المظانّ والأصول العربيّة

* القرآن الكريم

١. **إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر**، أحمد بن محمد البنّا (ت١١١٧هـ)، تحقيق شعبان محمد إسماعيل، ط١، عالم الكتب – بيروت، مكتبة الكليّات الأزهريّة – القاهرة، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م.

٢. **الأجناس من كلام العرب وما اشتُبه في اللّفظ واختلف في المعنى**، أبو عبيد القاسم بن سلاّم الهروي (ت٢٢٤هـ)، تصحيح: امتياز علي عرشي الرامفوري، دار الرائد العربي، بيروت- لبنان، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.

٣. **أدب الكاتب**، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة (ت٢٧٦هـ)، تحقيق: محمد الدّالي، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م.

٤. **الأزمنة وتلبية الجاهليّة**، أبو علي محمد بن المستنير قطرب (ت٢٠٦هـ)، تحقيق: حنّا جميل حدّاد، ط١، مكتبة المنار،الأردن ــ الزرقاء، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م.

٥. **أساس البلاغة**، الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، دار الشعب، القاهرة، ١٩٦٠م.

٦. **الأسلوبيّة والأسلوب**، عبد السلام المسدّي، ط٤، دار سعاد الصبّاح، القاهرة، ١٩٩٣م.

٧. **الاشتقاق**، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت٣٢١هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخارجي، مصر،(د.ت).

٨. **إصلاح المنطق**، ابن السكّيت (ت٢٤٤هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر وزميله، ط٢، دار المعارف بمصر، ١٣٧٥هـ = ١٩٥٦م.

٩. **الأصول في النحو**، أبو بكر بن السّراج محمد بن سهل (ت٣١٦هـ)، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٧م.

١٠. **الأضداد في اللّغة العربيّة**، محمد حسين آل ياسين، ط١، مطبعة المعارف، بغداد، ١٣٩٤هـ=١٩٧٤م.

١١. **أعلام الموقعين عن رب العالمين**، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزيّة (ت٧٥١هـ)، راجعه، وقدم له، وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت لبنان، ١٩٧٣م.

١٢. **الأفعال**، أبو القاسم علي بن جعفر بن علي السعدي المعروف بابن القطاع (ت٥١٥هـ)، تقديم وضبط: إبراهيم شمس الدين، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت – لبنان، ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م.

١٣. **إكمال الإعلام بتثليث الكلام**، محمد بن عبد الله بن مالك الجياني (ت٦٧٢هـ)، تحقيق: سعد ابن حمدان الغامدي، ط١، مكتبة المدني – جدة، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤.

١٤. **الألسنيّة العربيّة،الألسنية٢**، ريمون طحّان، ط١، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٢م.

١٥. الألفاظ الكتابيّة، عبد الرحمن بن عيسى الهمذاني الكاتب (ت٣٢٠هـ)، راجعه وقدم له: السيد الجميلي، ط١، دار الكتاب العربي ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م.

١٦. **الأمالي**، أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي (ت٣٥٦هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت– لبنان،(د.ت).

١٧. **انزياح المصاحبات المعجميّة – دراسة في شعر أمل دنقل** (بحث)، يحيى القاسم، مجلّة جامعة البعث، جامعة البعث، حمص، المجلّد الواحد والعشرون، العدد(١)، ذو القعدة، ١٤١٩ هـ = آذار ١٩٩٩م.

١٨. **الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبيّة**، أحمد محمد ويس، ط١، المؤسّسة الجامعيّة ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م.

١٩. **أنوار الربيع في أنواع البديع**، علي صدر الدين بن معصوم المدني (ت١١٢٠هـ)، تحقيق: شاكر هادي شاكر، ط١، مطبعة النعمان – النجف، ١٣٨٩هـ = ١٩٦٩م.

٢٠. **البحث الدّلالي عند الراغب الأصفهاني** (رسالة ماجستير)، محمود مصطفى القويدر، الجامعة المستنصريّة، بغداد، ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م.

٢١. **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادي (ت٨١٧هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلميّة، بيروت– لبنان،(د.ت).

٢٢. **البلاغة والأسلوبيّة**، محمد عبد المطلب، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ١٩٨٤م.

٢٣. **بنية اللّغة الشعريّة**،" جان كوهن"، ترجمة: محمد الولي وزميله، ط١، دار توبقال، الدار البيضاء – المغرب، ١٩٨٦م.

٢٤. **تاج العروس من جواهر القاموس**، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت١٢٠٥هـ)، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج وزملائه، طبعة الكويت، صدر منه(٢٦) جزءاً، ١٣٨٥هـ = ١٩٦٥م/ ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.

٢٥. **التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن الكريم- دراسة دلالية مقارنة**، عودة خليل أبو عودة، ط١، مكتبة المنار، الأردن- الزرقاء، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م

٢٦. **التطوّر اللّغوي التاريخي**، إبراهيم السامرائي، ط٢، دار الأندلس، بيروت – لبنان، ١٤٠١هـ = ١٩٨١م.

٢٧. **التطوّر النحوي**،"براجستراسر"، مطبعة السماح، ١٩٢٩م.

٢٨. **تفسير مجاهد**، أبو الحجّاج مجاهد بن جبر المخزومي (ت١٠٤هـ)، تحقيق: عبد الرحمن الطاهر بن محمد السورتي، ط١، قطر، ١٣٩٦هـ = ١٩٧٦م.

٢٩. **التكملة والذيل والصلة لما فات صاحب القاموس من اللّغة**، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت١٢٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى حجازي، ط١، الهيئة العامّة لشؤون المطابع الأميريّة، القاهرة، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.

٣٠. **تهذيب اللّغة**، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت٣٧٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون وزملائه، دار القومية العربيّة، ١٣٨٤هـ = ١٩٦٤م.

٣١. **جامع البيان في تفسير القرآن**، أبو جعفر محمد جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م.

٣٢. **جمهرة اللّغة**، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت٣٢١هـ)، تعليق: إبراهيم شمس الدين، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م.

٣٣. **الجيم**، أبو عمرو الشيابي (ت١٨٨هـ)، تحقيق: إبراهيم الإبياري وزملائه، الهيئة العامّة لشؤون المطابع الأميريّة، القاهرة، ١٣٩٥هـ = ١٩٧٥م.

٣٤. **الحروف**، أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابي (ت٣٣٩هـ)، تحقيق: محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦م.

٣٥. **الحيوان**، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٣، إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ١٣٨٨هـ = ١٩٦٩م.

٣٦. **دروس في الألسنيّة العامّة**،" فردينان دي سوسير"، ترجمة: صالح القرمادي وزميله، الدار العربيّة للكتاب، ١٩٨٥م.

٣٧. **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ)، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت – لبنان، ١٤٠٩ = ١٩٨٨م.

٣٨. **دلالة الألفاظ**، إبراهيم أنيس، ط٢، مكتبة الانجلو المصريّة، ١٩٦٣م.

٣٩. **ديوان أبي الطيب المتنبّي**، تحقيق: عمر فاروق الطباع، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت- لبنان،(د.ت).

٤٠. **ديوان الأعشى**، تحقيق: فوزي عطوي، دار صعب - بيروت، ١٩٦٨م.

٤١. **ديوان الحطيئة**، دار صادر - بيروت، ١٤٠١هـ = ١٩٨١م.

٤٢. **ديوان الخنساء**، المكتبة الثقافيّة، بيروت - لبنان،(د.ت).

٤٣. **ديوان الشمّاخ**، تحقيق: صلاح الدين الهادي، دار المعارف بمصر،(د.ت).

٤٤. **ديوان العجّاج**، تحقيق: سعدي ضنّاوي، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٧م.

٤٥. **ديوان القُطامي**، تحقيق: إبراهيم السامرائي وزميله، ط١، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٠م.

٤٦. **ديوان النابغة الذبياني**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعارف،(د.ت).

٤٧. **ديوان الهُذليين**، ط٣، دار الكتب والوثائق القوميّة، القاهرة، ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٣م.

٤٨. **ديوان امرئ القيس**، تحقيق: حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٥م.

٤٩. **ديوان أوس بن حجر**، تحقيق: محمد يوسف نجم، ط٢، دار صادر، بيروت ١٣٨٧هـ = ١٩٦٧م.

٥٠. **ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي**، تحقيق: عزة حسن، ط٢، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م.

٥١. **ديوان جرير**، دار صادر، دار بيروت، بيروت، ١٣٨٤هـ = ١٩٦٤م.

٥٢. **ديوان جميل بثينة**، تحقيق: إميل يعقوب، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م.

٥٣. **ديوان حسان بن ثابت**، ط١، دار الفكر اللبناني، بيروت، ٢٠٠٣م.

٥٤. **ديوان حميد بن ثور الهلاليّ**، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.

٥٥. **ديوان ذي الرمّة**، ط٢، المكتب الإسلامي، دمشق، ١٣٨٤هـ = ١٩٦٤م.

٥٦. **ديوان زهير بن أبي سلمى**، تحقيق: محمد حمود، ط١، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٥م.

٥٧. **ديوان شعر المتلمّس الضبعي**، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، الشركة المصرية، ١٣٩٠هـ = ١٩٧٠م.

٥٨. **ديوان طرفة بن العبد**، تحقيق: فوزي عطوي، ط١، الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت – لبنان، ١٩٦٩م.

٥٩. **ديوان عنترة بن شداد العبسي**، ط١، دار القلم العربي، حلب – سورية، ١٤١٩هـ = ١٩٩٩م.

٦٠. **ديوان لبيد بن ربيعة**، ط١، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤م.

٦١. **الشعر**،" أرسطو طاليس"، ترجمة وتحقيق: شكري عيّاد، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٣٨٦هـ = ١٩٦٧م.

٦٢. **الصاحبي في فقه اللّغة وسنن العرب في كلامها**، أبو الحسين أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: مصطفى الشويمي، مؤسسة أ. بدران للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ١٣٨٢هـ = ١٩٦٣م.

٦٣. **صحيح البخاري**، أبو عبدالله بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة (ت ٢٥٦هـ)، ط٢، دار الكتب العلميّة، بيروت – لبنان، ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م.

٦٤. **صحيح سنن ابن ماجة**، محمد ناصر الدين الألباني، ط١، المكتب الإسلامي– بيروت، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٦م.

٦٥. **صحيح مسلم**، أبو الحسين مسلم بن الحجّاج القُشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، مكتبة الرشيد، الرياض، ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م.

٦٦. **الصّحاح، تاج اللّغة وصحاح العربيّة**، إسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٦٧. **الصعود إلى مؤتة**، حكمت النوايسة، ط١، أزمنة، عمّان - الأردن، ١٩٩٦م.

٦٨. **صفوة التفاسير**، محمد علي الصابوني، مكتبة جدة، دار الفكر، بيروت - لبنان(د.ت).

٦٩. **الصورة الفنية في المثل القرآني**، محمد حسين علي الصغير، دار الرشيد، ١٩٨١م.

٧٠. **علم الدّلالة والمعجم العربي**، عبد القادر أبو شريفه وزملائه، ط١، دار الفكر، عمان، ١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م.

٧١. **علم الدّلالة**، أحمد مختار عمر، ط١، مكتبة دار العروبة، الصفاة - الكويت، ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م.

٧٢. **علم الدلالة**، "بالمر" ترجمة: مجيد الماشطة، مطبعة العمال المركزية، بغداد، ١٩٨٥م.

٧٣. **علم اللسانيّات الحديثة**، عبد القادر عبد الجليل، ط١، دار صفاء، عمّان - الأردن، ١٤٢٢هـ = ٢٠٠٢م.

٧٤. **علم اللّغة العام**،" فردينان دي سوسير"، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، آفاق عربيّة، بغداد، ١٩٨٥م.

٧٥. **علم اللّغة المعاصر - مقدّمات وتطبيقات**، يحيى عبابنة وآمنة الزعبي، دار الكتاب الثقافي، إربد - الأردن، ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م.

٧٦. **علم اللّغة**، علي عبد الواحد وافي، ط٥، مكتبة مصر بالفجالة، ١٣٨٢هـ = ١٩٦٢م.

٧٧. **العين**، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي وزميله، دار الرشيد، ١٩٨٢م.

٧٨. **غريب الحديث**، أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربي (ت٢٨٥هـ)، تحقيق: سليمان بن إبراهيم بن محمد العايد، ط١، دار المدني، جدة، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م.

٧٩. **غريب الحديث**، أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي (ت ٣٨٨هـ)، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، مطبوعات جامعة أم القرى – مكة المكرمة، دار الفكر – دمشق، ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م.

٨٠. **الفرق بين الحروف الخمسة**، ابن السيد البطليوسي (ت٥٢١هـ)، تحقيق: علي زوين، مطبعة العاني – بغداد، ١٩٧٦م.

٨١. **فقه اللّغة وأسرار العربيّة**، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي(ت٤٣٠هـ)، دار مكتبة الحياة، بيروت،(د.ت).

٨٢. **في البلاغة العربيّة – علم المعاني**، وليد عبد المجيد إبراهيم، ط١، مؤسسة الورق، عمّان، ٢٠٠٠م.

٨٣. **في الفكر اللّغوي**، محمد فتيح، ط١، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٠هـ = ١٩٨٩م.

٨٤. **القاموس المحيط**، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادي (ت٨١٧هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.

٨٥. **قواعد الشعر**، أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب (٢٩١هـ)، تحقيق: رمضان عبد التواب، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٥م.

٨٦. **الكلمة – دراسة لغويّة معجميّة**، حلمي خليل، ط٢، دار المعرفة الجامعيّة،(د.ت).

٨٧. **كنز الحفّاظ في كتاب تهذيب الألفاظ**، أبو يوسف يعقوب بن اسحاق السكّيت، المطبعة الكاثولوكيّة – بيروت، ١٩٨٥م.

٨٨. **لحن العامّة في ضوء الدراسات اللّغويّة الحديثة**، عبد العزيز مطر، الدار القوميّة، القاهرة، ١٣٨٦هـ = ١٩٦٦م.

٨٩. **لسان العرب**، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت،(د.ت).

٩٠. **اللّغة العربيّة معناها ومبناها**، تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٩٤م.

٩١. **اللّغة والإبداع - مبادئ علم الأسلوب العربي**، شكري محمد عيّاد، ط١، انترناشينال برس، القاهرة، ١٩٨٨م.

٩٢. **اللّغة والمعنى والسياق**،" جون لاينز"، ترجمة: عباس صادق الوهاب، ط ١، دار الشؤون الثقافيّة العامّة، بغداد، ١٩٨٦م.

٩٣. **اللّغة**،" جوزيف فندريس"، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي وزميله، مكتبة الانجلو مصريّة، القاهرة، ١٣٧٠هـ = ١٩٥٠م.

٩٤. **اللّمع في العربيّة**، أبو الفتح عثمان بن جنّي (ت٣٩٢هـ)، تحقيق: حامد المؤمن، ط٢، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربيّة، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م.

٩٥. **مبادئ اللغة**، أبو عبد الله الخطيب الإسكافي (ت٤٢١هـ)، تحقيق: يحيى عبابنة وزميله، ط١، وزارة الثقافة، عمّان - الأردن، ١٩٩٧م.

٩٦. **متخيّر الألفاظ**، أبو الحسين أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: هلال ناجي، ط١، مطبعة المعارف، بغداد، ١٣٩٠هـ = ١٩٧٠م.

٩٧. **المثلّث**، ابن السيد البطليوسي (ت٥٢١هـ)، تحقيق: صلاح مهدي الفرطوسي، دار الرشيد، ١٤٠١هـ = ١٩٨١م.

٩٨. **مجاز القرآن**، أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت٢١٠هـ)، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، ط١، الناشر: محمد سامي الخانجي، القاهرة، ١٣٧٤هـ = ١٩٥٥م.

٩٩. **المجرّد في غريب كلام العرب ولغاتها**، أبو الحسن الهُنائيّ المعروف بكُراع النّمل (ت٣١٠هـ)، تحقيق: محمد بن أحمد العمري، ط١، دار المعارف، ١٤١٣هـ = ١٩٩٢م.

١٠٠. **مجمع الأمثال**، أبو الفضل أحمد بن محمد أحمد بن إبراهيم الميداني (ت٥١٨هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت – لبنان، (د.ت).

١٠١. **مجمل اللّغة**، أبو الحسين أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر، بيروت – لبنان، ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م.

١٠٢. **مجموع أشعار العرب، وهو مشتمل على ديوان رؤبة بن العجّاج**، ط٢، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م.

١٠٣. **المحكم والمحيط الأعظم**، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت – لبنان، ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م.

١٠٤. **المحيط في اللّغة**، إسماعيل بن عبّاد (ت٣٨٥هـ)، تحقيق: محمد حسين آل ياسين، ط١، عالم الكتب، بيروت – المزرعة، ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م.

١٠٥. **مختار الصّحاح**، محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي (ت٦٦٦هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت– لبنان، ١٤٠١هـ = ١٩٨١.

١٠٦. **المخصّص**، أبو الحسن علي بن إسماعيل المعروف بابن سيده (ت٤٥٨هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م.

١٠٧. **مذكرات في علم الأسلوب**، شكري محمد عيّاد، ط ١، دار المعارف، السعوديّة، ١٩٨١م.

١٠٨. **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي**، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي (ت٧٧٠هـ)، تصحيح: مصطفى السّقا، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر،(د.ت).

١٠٩. **المعاني الكبير في أبيات المعاني**، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٤م.

١١٠. **معجم النحو**، عبد الغني الدقر، ط٢، الشركة العربيّة للتوزيع، بيروت، ١٩٨٢م.

١١١. **المعجم الوسيط**، ط٣، دار عمران، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

١١٢. **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، جمال الدين بن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ)، تحقيق: مازن المبارك وزميله، ط٦، دار الفكر، ١٩٨٥م.

١١٣. **مفردات ألفاظ القرآن**، أبو القاسم محمّد الراغب الأصفهاني (ت٤٢٥هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داودي، ط١، دار القلم بدمشق ودار الشاميّة ببيروت، ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م.

١١٤. **مقاييس اللغة**، أبو الحسين أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الكتب العلميّة، إيران،(د.ت).

١١٥. **مقدّمة التفسير**، الراغب الأصفهاني، نشرت ضمن كتاب (الخوالد من آراء الراغب الأصفهاني) (ت٤٢٥هـ)، صلاح الدين بن عبد اللطيف التاهي، ط١، دار عمار – عمان، دار الجبل – بيروت، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

١١٦. **المنتخب من غريب كلام العرب**، أبو الحسن الهُنائي المعروف بكُراع النّمل (ت٣١٠هـ)، تحقيق: محمد بن أحمد العمري، ط١، شركة مكة، مكة المكرمة، ١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م.

١١٧. **المنجّد في اللّغة**، أبو الحسن الهُنائيّ المعروف بكُراع النّمل (ت٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد مختار عمر وزميله، مطبعة الأمانة، القاهرة، ١٣٩٦هـ = ١٩٧٦م.

١١٨. **النظريّة الأسلوبيّة في النقد الأدبي**(بحث)، عبد السلام المسدّي، مجلّة القلم التونسيّة، صفاقس، العددان(١١- ١٢)، ١٩٨٧م.

١١٩. **نظريّة البنائيّة في النقد الأدبي**، صلاح فضل، ط٢، دار الشؤون الثقافيــة العامّــة، بغــداد، ١٩٨٧م.

١٢٠. **نظريّة اللّغة الأدبيّــة**،" خوسيه ماريا بوثيلو إيفانكوس"، ترجمة: حامد أبو أحمد، ط١، مكتبــة غريب، القاهرة، ١٩٩٢م.

١٢١. **نظريّة المنهج الشكلي – نصوص الشكلانيين الروس**،" ايخنباوم بوريس"، ترجمة: إبــراهيم الخطيب، الشركة المغربيّة للناشرين المتحدين – الرباط ومؤسسة الأبحاث العربيّة، بيروت، ١٩٨٢م.

١٢٢. **النّوادر في اللّغة**، أبو زيد الأنصاري (ت٢١٥هـــ)، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد، ط١، دار الشروق، بيروت، ١٤٠١هـــ = ١٩٨١م.

Conclusion

The researcher explained in this research the process of conflict between language element within linguistic constructions, the first one: the vertical conflict process called paradigmatic relation, and other horizontal conflict process among words in their sequence and relations in speech sequence as direct line called systematic relation in this research's subject.

That is the importance of research to include results upon other researchers who conclude the detailed results as follows:

1. The research filled the gap in the scope of semantics in the Arabic language regarding the recent theories.
2. Explaining linguistic relations (vertical and horizontal) – especially horizontal – in the Arabic language, this is illustrated without details.
3. The way of semantic elaboration in the Arabic depends on the change from the fact to "Majaz" first, after that from Majaz to the fact second.
4. Words in the Arabic relates to each other depending on the linguistic tradition.
5. The Arabic elaborates semantically through predictive construction whether nominative or verb. The linguistic rule requires that predicate suitable fro verb to be predictive sentence. But native speakers may break there rules on the level of artistic language – to be false sentence requiring interpretation.
6. Adjectives play big role in elaborating and increasing semantically in the Arabic that the object is – generally complement governed by the rule of relativity in language between verb and subject in the construction. This rule can be broken on the level of artistic language – leading to abroad semantic extension to need more Explanations that breaking reaches the level, misunderstand able.

7. one of semantic extensions in the Arabic language is description to include wide fields in different forms, literature and linguistics.
8. Idafah is other aspect of semantic extension in the Arabic due to the strong relation between Mutaifan that may be broken by native speakers on the artistic language level – leading to breaking their relation to the extent of disapproval and misunderstanding to need interpretation.
9. Metaphor in important in altering breaking that related to the soul of linguistic material.
10. The effect of a group of relations is clear in differentiating the meaning, creating new meanings that we can't reach only by the use of brain to link between the semantic meaning of constructions' vocabulary and the new concluded meaning.
11. The words group in the linguistic constructions and linked within groups of rules that link, regulate them in this grouping.
12. The native speakers may break the linguistic rules leading to the gap or relativity between words in the linguistic construction reaching the extent of disapproval and misunderstanding.
13. Through collocations, we can know the meaning of words whether original or developed "Majazeh".
14. for words in dictionary (Al – Ain), there are different semantic aspects, making them used in numerous contexts.

Mahmoud Mustafa Al – Quwaider